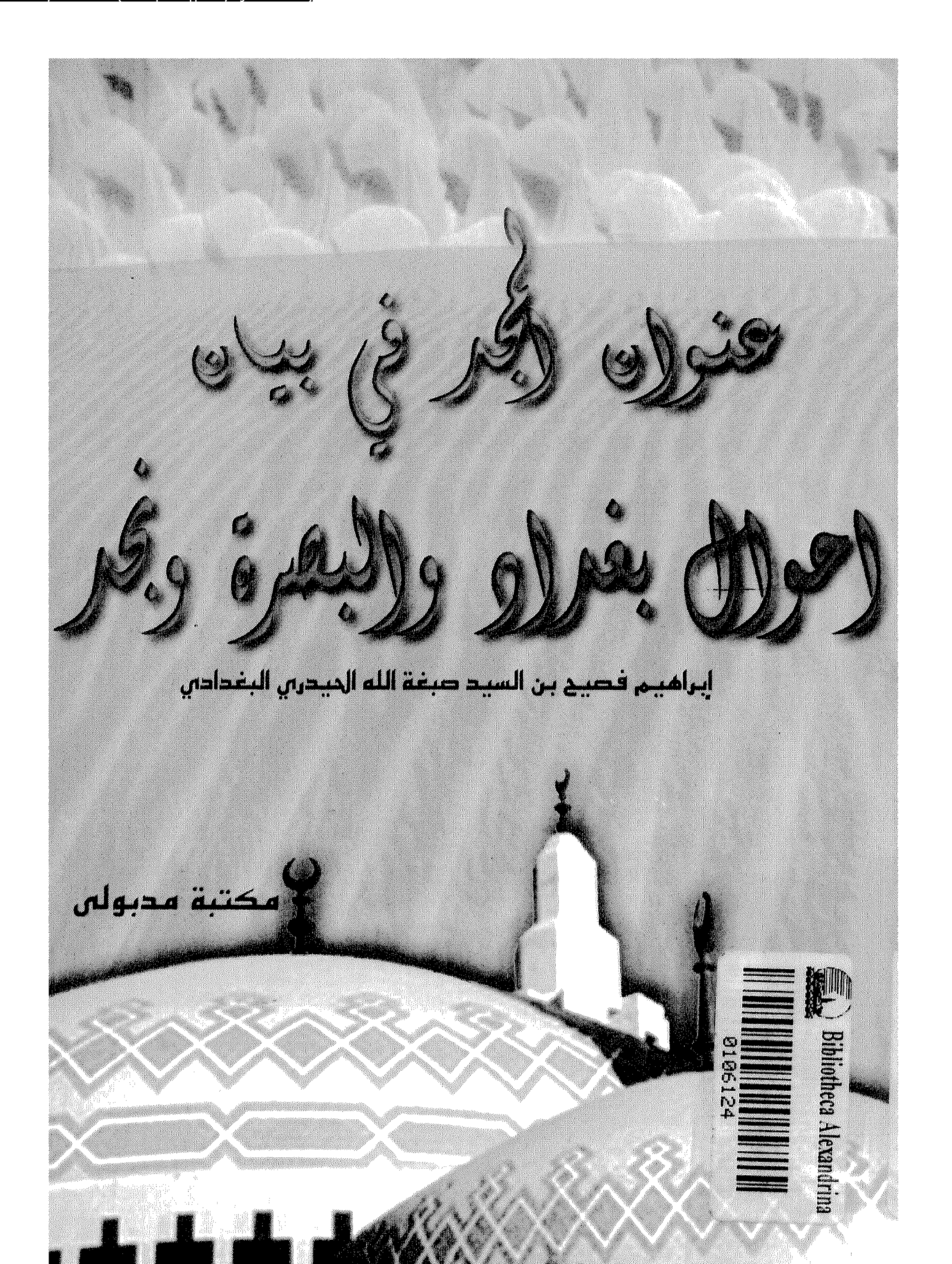

عنوان المجد في بيان
أحوال بغداد والبصرة ونجد
إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي
مكتبة مدبولى
Bibliotheca Alexandrina
0106124


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنوان المجد في بيان
أحوال بغداد والبصرة ونجد

الكتاب: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد

تأليف: إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي

الناشر: مكتبة مدبولي – ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة

ت: ٥٧٥٦٤٢١ – تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

الطبعة الأولى: دار منشورات البصري – بغداد

الطبعة الثانية: مدبولي – ١٩٩٩

الجمع والتوضيب: المركز العربي للدراسات والنشر

وحدة التجهيزات الفنية

ت: ٥٧٥١٤٨٦

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

كتاب

عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد

تأليف

إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي

مكتبة مدبولي



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحتويات

المقدمة

هو الباقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تاهت العقول فى بيداء معرفة كنه ذاته المقدسة، وعجزت الأفهام عن درك حقائق مصنوعاته المؤسسة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين بمعجز آياته، وعلى آله وصحبه الذين عمروا البلاد بالآثار والحسنة واقتفوا أثر دلالاته. أما بعد فيقول الفقير المحتاج إلى عفو ربه السيد إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدرى البغدادى، وإنى قبل هذا سافرت من بلدى مدينة السلام إلى دار الخلافة قسطنطينية حماها عن كل سيء رب البرية. ومنها إلى مصر والحجاز، وعدت إليها ثانياً لأستوفى الوقوف على بدائعها بالحقيقة لا بالمجاز، ثم خرجت منها إلى البلاد السورية وبعض البلاد الأناضولية فاطلعت على تلك البلاد وأحوال العباد ثم رجعت إلى بلدى مدينة السلام ذات الثغر البسام، ومكثت فيها بين أهلى وأحبابى غير قليل من الأعوام إلى أن رمتنى الأقدار بسهام النيابة إلى البصرة المسماة بخزانة العرب وقبة الإسلام. فلما وردتها ورأيت ما فيها من عجائب الأنهار وغرائب النخيل والأشجار المتنعة العد والحصر مع ما فيها من المد والجزر فى اليوم مرتين. بحيث تمتلئ الأنهار والسواقى وكل عين، وقد آلت إلى الخراب فلم يبق منها إلا الاسم واندرست آثارها فلم يبق منها إلا الرسم والوسم أحببت أن أؤلف كتاباً فى بيان أنهارها ونخيلها وأشجارها، وبيان بيوتها القديمة من ذوى الثروة العظيمة مع

بيان أحوال بغداد، وقد كنت قبل هذا قد ألفت فى دار الخلافة أحسن الكلام فى مدينة السلام. إلا أنى أردت أن أجمع أحوال البلدتين فى هذا الكتاب وأحوال أراضى نجد وقبائله وما يليه من البلاد، مع تصدير الكتاب ببعض ما ذكره الحكماء فى سياسة الملوك. فشرعت فى ذلك ورتبته على مقدمة وثلاثة مسالك وخاتمة، وسميته «عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد».

توطئـــــة

إعلم أن مـن حكم الله تعـالى وضـع وجود السـلطان فى الأرض أن اللـه تعالى حـبا نوع الإنسان على عدم الإنصات لما خلق فيه من القوة الـغضبية والشهوانية الموجبتين للـفسـاد فـى العـالم واخـتلال نـظامه، وبوجـود السلـطان يدفع الـفسـاد ويـضـبط الـنظام. فمـثل العالم بـلا سلـطان كمـثل الحـوت فى الماء، الـكبير يـبتلع الصـغير، والقـوى يملك الـضعيف، ولما لـم يكن لـلعالم البحرى سلطان قاهر لم ينتظم امر مـعاشـهم ولم يتهنوا بالحـياة. وهـذا مـعنى قـول بـعض العلمـاء المتـقدمين: «لو رفـع السلطان مـن الأرض ما كـان لله تعـالى فى أهـل الأرض من مراد» يـعنى أن اللـه تعـالى قـد تـعلقت إرادتـه العلية بتكليف الـناس بالأوامر والـنواهى الـتى أوحاها إلى نبيه (ص) لتكون باعثة لثواب بعض وعـقـاب بعـض. فلـو رفع الـسلـطان مـن الأرض ذهـب كـل إلى مـا شـاء وحـصـل الرج، واخـتل نـظام الـعـالم. فـيلـزم مـن ذلك أن لا يـكون لـه تعـالـى مـراد فى أهـل الأرض من التكليف. بل يكون خلق الناس كسائر الحيوانات وهـو مـحال. ومن حكم الله تعالى فى إقامـة الـسلـطان فى الأرض إشـارة إلى وحدانـية اللـه تعالـى. فإنه كـمـا لا يـسـتـقيم الأمـر بتـعداد الـسلـطان بـل يخـتل بالـتـعـدد، كذلك لا يمـكن وجود هـذا العـالم بدون إله واحـد منـفرد بخـلـقه وإيـجاده من الـعدم واتـقانه عـلى أبدع وجـه «لـو كـان فيـهمـا آلهة إلا الـلـه لفسـدتا» وهـذا معـنى قـول عـلى رضـى اللـه عنه وكرم الـله وجـهـه: أمران جليلان لا يصـلح أحـدهـما إلا بالـتفـرد ولا يصلح الآخر إلا بالمشـاركة، وهـما الملك والـراى. فكما لا يسـتقيم الملك بالـشركة لا يسـتقيـم الـراى بالتفرد ثم إن السـلطان زادت شـوكته وصـولته وتمت اسـتقـامتـه. اعتـدل مـزاج رعـيتـه وتم أمـره، وقـد مثل بـعض الـحكمـاء للـسـلطان الـكثـير الـشـوكة والـصـوبة والاستـقـامة مثلا حـسـناً، وهـو أن مثل الـسلطان كمـثـال بيت فيـه سـراج وحـوله ناس مشـتغلـون بصـناعتـهم. فبـينمـا هـم فى شـغـلهم طفـئ الـسـراج

فكفوا أيديهم عن الشغل، وتعطلوا عن صنائعهم فتحركت الحيوانات المؤذية لما رأت تلك الظلمة كالحيات والعقارب، ونهض اللص بحيلة للسرقة، وهاج البرغوث مع حقارته، وظهرت أمارته الضارة فكذلك السلطان اذا كان ذا شوكة وصولة واستقامة كانت منافع العالم عامة. فكانت الدماء محقونة، والأموال مصونة، والأعراض محفوظة، والأعداء مخفوضة، وخفت الأشرار، وظهرت الأخيار، واستقام أمره بلا التماس، وعظم فى أعين الناس، وإذا اختل أمر السلطان وضعفت صولته، قلت شوكته، ولم تكن له استقامة دخل فى العالم الفساد، وفاح قبح أهل القبح والفساد وخف فى أعين الناس روح يظهر التناقض فى أمور دولته، ولو جعل قهر السلطان وكذا جوره حولاً كاملاً فى كفة الميزان، وجعل فساد الرعية وجورهم وهرجهم ساعة واحدة فى الكفة الأخرى مع عدم وجود السلطان، كان هرج ساعة أعظم وأثقل من وجود السلطان. ستقول هذا سر قول الفضيل (جور ستين سنة خير من هرج سنة) وقال العلماء من السلف والخلف إن استقامت لكم أمور السلطان فأكثروا حمد الله تعالى وشكره، وإن جاءكم بما تكرهونه وجهوه إلى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه من جرائمكم، وأقيموا عذر السلطان لانتشار الأمور عليه وكثرة ما يزاحمه من ضبط جوانب الملك ورفع كيد الأعداء وتوارد أمور شاقة عليه متعذرة الرد إلا بالعناء، ولهذا قال بعض الحكماء: هموم الناس صغار وهموم الملك كبار، ومما نقلناه من المثال عن بعض الحكماء هو تفصيل ما أجمله بعضهم بقوله: لا تتوطن إلا بلداً فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار. وقال حكماء العرب: مثل مضار السلطان فى جنب منافعه مثل الغيث الذى أحيى الله تعالى به الأرض بعد موتها، فبث فيها آثار رحمته من النبات والرزق. فإن الغيث قد يتداعى به البنيان، وتكون فهى الصواعق المهلكة لبعض الناس والدواب، وتموج به البحار فتشتد به البلية على من فيها. فلا يمنع ذلك عن أن ينظر الناس إلى آثار رحمة الله تعالى فى الأرض التى أحياها وأنبت فيها النبات والرزق والمنافع التى لا تحصى، فيعظموا نعمة ربهم ويشكروها، ولا يلتفتوا إلى الأذية الخاصة. فإن العبرة بالعموم، وإلى هذا المعنى أشار بعض الشعراء بقوله:

لا ترج شيئاً خالصاً نفعه   فالغيث لا يخلو من العبث

وقد ضبط بعض الحكماء ضابطاً فقال: كل أمر جسيم من أمور الدنيا يكون ضروره خاصاً ونفعة نعمة عامة. وكل شيء يكون نفعه خاصاً وضرره عاماً فهو بلاء. ثم إن نسبة السلطان إلى الرعية كنسبة الروح إلى الجسد فإذا صفت الروح من الأكدار مرت إلى الجوارح سليمة وجرت بوصف سلامتها فى جميع أجزاء الجسد، وإن تكدرت الروح وانزعجت وفسد مزاجها اعوج أمر الجسد واختلف أمر الجوارح بأسرها وصار تكدره منحرفة عن اعتدال المزاج، ومرضت الحواس وتعطل نظام الجسد وآل إلى الفساد والهلاك، لأن كل عضو حاسته تأخذ بقسطه من كدر الروح وصفائها، وقال كعب: مثل السلطان والإسلام والناس مثل الفسطاط فى العمود والأطناب. الناس لا يصلح بعضهم إلا ببعض. ومع ما نقلناه عن الحكماء من أن السلطان كلما زالت صولته وظهر قهره كان أمره فى رعيته أتم وأنفذ. فالذى ينبغى على ما ذكره أهل العقول المستقيمة أن يكون السلطان مع إظهاره قهره رؤوفاً شفيقاً حليماً صبوراً متأنياً غير عجول ذا بذل وإعطاء فإن من لا رأفة ولا شفقة ولا حلم عنده آلت رعيته إلى الضعف، وهو مؤد إلى ضعف السلطان إذ لا سلطان إلا بالملك، ولا ملك إلا بالرعية، ولا رعية إلا بالعدل، ولا عدل إلا بالرأفة وقلة الطمع، ومن لا يكون متأنياً فى الأمور قد يزل به قدم العجلة إذ قد يظهر للمرء فى بادئ نفسه ما هو حسن ولكن بعد تأمل وإمعان فكر يظهر قبحه كما قيل.

قد يدرك المتأنى بعض حاجاته   وقد يكون من المستعجل الزلل

ومن ليس له بذل وعطاء فقد تصرف عن محبته قلوب الرعية ويؤول الأمر إلى عدم الاستقامة. ومما يؤيد هذا ما نقل من أمر على بن أبى طالب كرم الله وجهه مع معاوية بن أبى سفيان فإن علياً لما كان صائناً لبيت المال عن الضياع إلا بحق انصرفت عنه قلوب قريش وغيرهم، ومالت إلى معاوية لما عنده من بذل المال وسعة الحال. مع علمهم بفضل على ومقامه الأسنى على معاوية، ولقد أجاد من قال:

إذا ملك لم يكن ذا هبة   فدعه فدولته ذاهبة

ولكن يجب عليه أن لا يكون مبذراً ولا مقتراً. بل يعطى كل ذى حق حقه من أهل العلوم والوزراء والأمراء والكتاب وسائر العونة والنزاة والغزاة والمساكين. لأن من يكون بخيلاً فقد انصرفت عنه قلوب الرعية، وصار مكروهاً عند الناس، وكان فى معرض عدم الراحة وعدم استقامة أموره، وطالت عليه ألسنة الرعية. فيكون موجباً لعدم نفاذ أمره وحكمه على مقتضى ما يحب ويشاء. ومن أحسن التمثيلات ما قاله بعض الحكماء من أن مثال السلطان مثال النار، ومثال الرعية مثال الخشب، فما كان معتدلا منها لم يحتج إلى النار، وما كان أعوج احتاج إليها لتعديل عوجه. فإذا فرطت النار احترق الخشب قبل أن يتسقيم عوجه، وان قلت النار لم يستقم الخشب بل يبقى معوجاً، وإذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب. فكذلك السلطان فى أطواره وأحواله، إن أفرط أهلك الرعية، وإن فرط لم يستقيموا، وإن اعتدل اعتدلوا، ومما يليق بكل عاقل كامل أن لا يغفل عن خطر السلطان وبليته العامة، وعما يتطرقه من الأمور الشاقة فى ضبط جوانب الملك فيعذره ويشكره على أحواله فإن السلطان لا يسكن خاطره، ولا يصفو قلبه، ولا يستقر لبه. فالخلق فى شغل منه وهو مشغول. والرجل يخاف عدواً واحداً وهو يخاف ألف عدو، ويضيق الرجل بتدبير أهل بيته ومعيشة نفسه وهو مكلف بتدبير سياسة جميع أهالى مملكته، فكلما رتق فتقاً من حواش ملكه انفتق آخر، وكلما قمع عدواً أرصدت له أعداء مع ما يعانيه من اختلاف طبائع الناس وله نفس واحدة ثم يُسأل عداً عن جميعهم، وهم لا يسألون عنه، وإلى هذا المعنى أشار (ص) بقوله الشريف: مالكم والأمراء لكم صفوا أمرهم وعليهم. وروى أنه لما حج هارون الرشيد لقيه عبد الله العمرى فى الطواف فقال له: ياهارون فقال لبيك يا عم. فقال: كم ترى ههنا من الخلق؟ قال لا يحصيهم إلا الله تعالى. فقال عبد الله العمرى: أعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم. فانظر كيف تكون؟ فبكى هارون وجاش فجعلوا يعطونه منديلاً للدموع. هذا ولا يخفى على كل ذى لب أن هذا الأمر من أعظم مصائب السلطان – كان الله تعالى فى عونه. قال أبو بكر المالكى الطرطوسى فى تفسير قوله تعالى: «لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» يعنى لولا أن الله تعالى

أقام السلطان فى الأرض لدفع القوى الضعيف، وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال، ولا يستقر لهم قرار فتفسد الأرض ومن عليها ثم امن الله تعالى بإقامة السلطان فيأمن به الناس فيكون فضله على الظالم كف يده، وعلى المظلوم أمانه بكف يد الظالم عنه. وروى كثير عن مرة عن النبى (ص) أنه قال: «السلطان ظل الله فى أرضه يأوى إليه كل مظلوم من عباده. فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإذا جار كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر» وقال بعض العلماء: ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نبى مرسل أو ملك. وقوام أمر السلطان ودوامه وربط ملكه بقوام العدل والإنصاف الحاكمة بهما الشريعة المحمدية الجامعة لجميع مصالح العباد، المطابقة أحكامها للعقول المستقيمة، وأمن منهما من أمارات الذل والزوال. كيف وهى وضع إلهى، ويظهر شؤم مخالفتهما ولو بعد مدة طويلة. هذا ومما يلزم على السلطان أن يراعى أهل الفقه والعلم بأداء حقهم واحترامهم. فإن فى ذلك زينة ملكه. لأن قيام الشريعة بهم كما ورد فى الآثار، ومما جرت عليه عادة الملوك الماضية. كيف لا وقد ذكر تعالى الفقهاء بقوله «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» ومن لوازم السلطان أن لا يغفل عن أحوال رعيته بالفحص عنها، ولا يتحجب وكلاؤه وأمراؤه عن فقرائهم. بل الحرى أن لا يتحجب الإمام أيضاً. فإن التحجب غفلة وجهل بأحوال الناس. قال بعض الحكماء: يضيع أمر الناس إذاكان الأمير متحجباً وكان الرأى عند من لا يقبل النصح، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه. ويجب على السلطان أن يخشى الله تعالى فى جميع أفعاله وأقواله وحركاته، وأن يصغى للحق وإن كان مراً، ولا يأمن من آفات الدنيا، والأقدار الإلهية جارية غير مأمونة. قال بشر بن السرى: بينما الحجاج جالس فى الحجر إذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف. فوكل الحجاج بعض من معه فقال: إذا فرغ من طوافه ائتنى به. فلما فرغ أتاه به فقال: من أنت؟ قال: من أهل اليمن. قال: أفلك علم بمحمد بن يوسف؟. قال: نعم. قال: فأخبرنى عنه. قال: لقد تركته أبيض بضاً، سميناً طويلاً، عريضاً. قال: ويلك ليس عن هذا أسألك. قال: فعم تسأل. قال: عن سيرته وطعمته،

قال: فأجور السير وخبث الطعم، وأعدى العداة على الله تعالى فى أحكامه. قال: فغضب الحجاج، وقال: ويلك أما علمت أنه أخى، قال: بلى، وأنت أما علمت أن الله تعالى ربى. وأنه هو امنع لى منك أكثر منك لأخيك؟ فقال؟ أجل، ارسله يا غلام فسكت. فانظر إلى وقوف الحجاج وخوفه عند ذكر الله تعالى مع شدة بأسه وجوره وظلمه الذى بلغ عنان السماء. ومن الأمور المهمة التى ورد بها الشرع الشريف واتفق عليها العقلاء وبها نظام الأمور اللين وترك الغلظة، ومنها التشاور وعدم استعمال من أظهر الحرص فى طلب الولاية على الأعمال والولايات. فإن هذه الخصال من أساس استقامة الملك. أما اللين وترك الغلظة فلقوله تعالى لنبينا الأعظم محمد (ص) «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» وقوله تعالى:« واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» وروى أن النبى (ص) كان جالساً مع أصحابه فجاء رجل فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقالوا: هذا الأبيض المتكئ. فقال الرجل: ياابن عبد المطلب. فقال النبى (ص) قد اجبتك. فانظر إلى تواضعه (ص) وجلوسه مع أصحابه كأحدهم بحيث لا يمتاز بشئ عنهم، ولم يعرفه الرجل بهيئة مخصوصة، إنه قد يبلغ بالتواضع واللين مالا يبلغ بالكبر والغلظة. الا ترى أن الريح بهبوبها لا عن شدة تنعطف بها أغصان الأشجار. وإذا اشتدت انكسرت الأغصان. بل ربما قلعت أصولها. ومما ذكرناه من الأمر باللين وترك الفظاظة والغلظة لا ينافيه ما ذكر فى بعض التواريخ من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع بأمر معاوية من استعمال شوكة الملوك توجه إلى الشام ولما رأى معاوية بهيئة الملوك قال له: ما هذا يامعاوية؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذه الروم يعنى قرب الروم من بلاد الشام يقتضى تعاطى هذه الحالة لإظهار شوكة الأمراء وصولتهم. فهو لغرض دينى لا شهوانى. فاقره عمر رضى الله عنه على ذلك لما رأى أن مصلحة الدين فيه، ووجه عدم المنافاة أن اللين وترك الغلظة طور وراء طور الوقار والشوكة لمصلحة الدين. وا[illegible] هذا من ذلك. بل اللائق بحال إمام المسلمين فى زماننا هذا أن يكون فى غاية الشـ[illegible] والمهابة والصولة لما ترى من تبدل الزمان والأحوال وكثرة الأعداء وشوكتهم وصولتهم. فلكل مقام مقال. ولكل زمان حال. وأما المشاورة وعدم الاستقلال فى

الرأى فلقوله تعالى خطاباً لأفضل خلقه وأعلمهم وأعقلهم وأكملهم خلقاً وخلقاً نبينا محمد (ص) «وشاورهم فى الأمر». فانظر إلى هذه الإشارة اللطيفة فإن نبينا (ص) مع كونه أكمل العالمين عقلاً وفضائل حتى قال بعض العارفين: لو وزن عقله (ص) بعقول العالمين أجمعين لرجح عقله على الجميع. أمره بمشاورة أصحابه لما فى المشاورة من حسن الأدب مع الجليس ومساهمته فى الأمور. لأن نفوس الجلساء تميل إلى ذلك، فأدب الله نبيه به ليكون مأدبة لسائر الملوك والأمراء والجلساء. والاستبداد بالرأى من أقبح ما يوصف به الرجل - ملكاً كان أو غيره - ومن ألطف ما قيل فى المشاورة قول بعض الأدباء وقد أجاد:

أقرن برأيك رأى غيرك واستشر ... فالأمر لا يخفى على رأيين

فالمـــــرء مرآة تريه وجهـــه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

وأما عدم استعمال من طلب الولاية فمما رواه البخارى ومسلم أن رجلا قال: يا رسول الله استعملنى. فقال النبى (ص): «إنا لا نستعمل على عملنا من أراده» والسر أن الولاية أمانة وتصرف فى أرواح الخلائق وأموالهم والإسراع إلى الأمانة دليل على الخيانة، وهى تستدعى فساد قلوب الرعية على الملك، لأنه إذا بذلت حقوقهم واتلفت أموالهم فسدت نياتهم وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء عليه، والله سبحانه وتعالى عند القلوب المنكسرة فيؤول الأمراء إلى الاختلال والزوال. وبالجملة أن هذا أوان تعسر فى زماننا لقلة أهل العفة والاستغناء إلا من ظهرت عليه إمارة الخيانة والارتكاب والجسارة من العمال يجب عدم استعماله، بل يجب على السلطان أن يتحرى فى تجربة الرجال ليكون أقرب إلى امتثال الحديث، وإن قل الأمناء لفساد الزمان، ومالا يدرك كله لا يترك كله. واللائق بحال السلطان أن يكون واعياً متفحصاً على أحوال رجاله ورعيته ليضع كل شىء فى محله، ويكون مشغولاً بتمرين نفسه وتطبيعها أمهات الفضائل، وهى الحكمة والشجاعة والعفة العدالة فالحكمة فضيلة القوة العقلية، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوانية، والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب فيها، وبها يتم نظام جميع الأمور، ولذا قيل

بالعدل قامت السموات والأرض. فقوة العدالة حالة للقوى الثلاث فى انتظامها على التناسب تحت الترتيب الواجب. فليست قوة العدالة جزءاً من الفضائل، بل هى عبارة عن الحالة العارضة لجملة الفضائل، فإنه مهما كان بين السلطان وجنوده وأعوانه ورعيته ترتيب حسن يكون السلطان بصيراً، وتكون الجنود والأعوان والرعية ذات انقياد وطاعة. يقال إن للسلطان عدلا، ولا يتم العدل بكون بعضهم بهذه الصفات دون الكل، وكذلك العدل فى مملكة البدن. فالعدل فى أخلاق النفس يتبعه العدل فى المعاملة والسياسة، والعدل فى المعاملة وسط بين رذيلتى الغبن والتغابن، هو أن يأخذ ما له أخذه ويعطى ما له إعطاءه، والغبن ما ليس له، والتغابن أن يعطى فى المعاملة ما ليس عليه حمد ولا أجر، والعدل فى السياسة أن يترتب أجزاء المدينة وفق الترتيب المشاكل لترتيب أجزاء النفس حتى تكون المدينة فى ائتلافها وتناسب أجزائها وأركانها على طبق الغرض المطلوب من الاجتماع، وهو التعاون الذى به يحصل نظام العالم. بحيث يكون كالشخص الواحد، وينقسم السكان إلى مخدوم ولا يخدم كالملك، وإلى خادم ليس له بمخدوم كالعبد، وإلى من يكن مخدوماً من وجه وخادماً من وجه آخر كأعوان الملك، والمرء مع أهل بيته مثلاً كما فى قوى النفس. فإن بعضها مخدوم لا يخدم كالعقل المستفاد، وبعضها خادم بمخدوم كالقوة الدافعة للعضلات، وبعضها خادم من وجه ومخدوم من وجه آخر كالمشاعر الباطنة، وبمثل هذا الترتيب قامت السموات والأرض حتى صار العالم كله كالشخص الواحد متعاون القوى والأجزاء على الترتيب الحسن بتقديم ماحقة التقدم وتأخير ما حقه التأخر. فليس فى الإمكان أبدع مما كان، والإنسان بين أن يحصل الفضائل ويكمل فيلتحق بالمجردات ويقرب من الله تعالى، وبين أن يبقى برذائل الشهوة والغضب والجهل فيلتحق بالبهائم ويهلك فى الدارين على ما تقرر فى علم الاخلاق. وبالجملة أن العدل أعظم الأركان التى بها قوام السلطة والملك ودوام الدولة. فإن العدل ميزان الله تعالى فى الأرض الذى يؤخذ به للضعيف من القوى والمحق من المبطل قال الله تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» وقد شبهوا الملك بالرجل فاعتبر السلطان رأسه، والوزير قلبه، والأعوان

يديه، والرعية رجليه، والعدل وجهه، وهو موجب لاجتماع الرعية على محبته المقضى إلى استقامة أمره ونظام ملكه، وإذا عدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد عنه، وعز الملوك بالعدل. كما أن شرفها بالعفو. وعدة السلطان ثلاثة أمور: مشاورة النصحاء وثبات الأعوان وترويج سوق العدل. ثم العدل ينقسم إلى قسمين: قسم إلهى جاءت به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الله تعالى، وهو الشرائع، وقسم يشبه العدل وهو السياسة الاصطلاحية، ويستحيل أن يدوم بقاء السلطان أو تستقل رعيته فى حال إيمان أو كفر بلا عدل قائم ولا ترتيب للأمور ثابت. وتوافقت حكماء العرب وغيرهم على هذه الكلمات. فقالوا: الملك بناء والجند أساسه فإذا قوى الأساس دام البناء وإذا ضعف الأساس انهار البناء. فلا سلطان إلا بجند، ولا جند إلا بمال، ولا مال إلا بالعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل. فصار العدل أساساً لسائر الأساسات، والعدل النبوى الذى هو العدل الإلهى عبارة عن الأحكام الشرعية المحفوظة بالعلماء الوارثين لعلوم الأنبياء الذين خصهم الله بكرامة الرفعة بقوله تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» فلا مندوحة لاحد عن امتثال امرهم لأنهم الموصلون إلى النبى (ص) الموصل إلى الله تعالى. وكما أن السلطان الحازم لا يتم حزمه إلا بمشاورة وكلائه ووزارئه الحاذقين، كذلك لا يتم عدل إلا باستقامة العلماء الصادقين. روى أنه استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يجد عنده حاجباً ولا بواباً، فقيل له فى المسجد، فأتى المسجد فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه، فقال له الهرمزان: عدلت فامنت فنمت. وقالت الحكماء: من حرم العدل فلا خير له ولا للناس فى سلطانه. وقال يحيى بن أكثم القاضى: ما شيت المأمون فى بستان والشمس عن يسارى والمأمون فى الظل، فلما رجعنا وقعت الشمس أيضاً على، فقال المأمون: تحول مكانى واتحول مكانك حتى تكون فى الظل كما كنت وأقيك الشمس كما وقيتنى، فإن أو العدل أن يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى، فعزم على فتحولت، وقال بعض الحكماء: رم ما شئت بالإنصاف وأنا زعيم لك بالظفر به، ومن الأمور المهمة التى تجب رعايتها على السلطان وأعوانه تقوى الله

تعالى والخوف منه سراً وعلناً، وإذا كان مبتلياً بالمعاصى فعليه أن يتستر ولا يتجاهر بالمعاصى ولا يهتك محارم الله تعالى، فإن ذلك يكون موجباً لاستخفاف الرعية به مع كون الفسق موجباً لزوال النعمة، وعمّا قريب تكون اللذة عذاباً والعفة عتاباً، فكم ملك أزالت ملكه الشهوات، وهدمت قواعد دولته قلة المبالاة بالطاعات.

قال أبو جعفر المنصور: مازال أمر بنى أمية مستقيماً حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهتهم مصروفة فى قصد الشهوات وإيثار اللذات، ومن الأمور المهمة عدم تقليد الأعمال المهمة غير أربابها.

سئل بعض الكاملين: ما بال ملك آل ساسان صار إلى ما صار إليه بعدما كان فيه من القوة وشدة الأركان؟ فأجاب بأنهم قلدوا كبار الأعمال صغار العمال ولهذا أطبق الحكماء على أن موت ألف من الرجال الكاملين أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة. وفى الأمثال: زوال الدول باصطناع السفل. وقال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: أظلم الناس لنفسه اللئيم الذى إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف، وتكبر على ذوى الفضل. وقالت الحكماء: أسرع الخصال فى هدم قواعد السلطان وأعظمها فى إفسادها وتفريق الجمع عنه رفع السفلة وإظهار المحاباة لقوم دون قوم، والميل إلى قبيلة دون قبيلة. وقيل لبعض الملوك بعد زوال ملكه: ما الذى أذهب ملكك؟ فقال: رفعى للسفلة وثقتى بدولتى، واستبدادى بمعرفتى، وإغفالى إلى أستشارتى، وإعجابى بشدتى، وإضاعة الحيلة والتدبير فى وقت حاجتى، والتأنى عند عجلتى، ومن الأمور المهمة اتصال الأخبار. فقد سئل بعض العارفين: ما الذى أذهب ملك بنى مروان؟ فقال: تحاسد الأكفاء وانقطاع الأخبار.

روى أن يزيد بن عمر كان يحب أن يضع نصر بن سيار، وكان لا يرفع إلى الخليفة ما يرد عليه من نصر من أخبار خراسان، فلما رأى نصر بن سيار ذلك أنشد يقول:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... فيوشك أن يكون لها ضرام

فان النار من عودين تذكى ... وإن الحرب أولها كلام

فقلت تجاهلاً يا ليت شعرى   أأيقاظ أميـة أم نيـام؟

ومن الأمور التى لا يدوم معها الملك العجب. قال الحكماء: ومن العجب العجاب دوام الملك مع الكِبر والإعجاب.

روى عن النبى (ص) أنه قال للعباس رضى الله عنه: «أنهاك عن الشرك بالله تعالى والكبر فإن الله تعالى يحتجب منهما». وقال الأحنف بن قيس: ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها فى نفسه، ولم تزل الحكماء تتحامى عن الكبر وتأنف منه، ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب، فقال: وددت أنى مثلك فى ظنى، وأن أعدائى مثلك فى الحقيقة، وقال بعض الحكماء: وقد يدوم الملك مع معظم النقائص، فرب جاهل ساد قومه ورب أحمق رأس عشيرته. فمنهم الأقرع بن حابس، الذى قال فيه النبى (ص): «ذلك الأحمق المطاع، ولا يدوم مع الكبر والإعجاب، وقد حرم الله الجنة على المتكبرين». فقال تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً» فقرن الكبر بالفساد، وقالوا: إن الكبر يوجب المقت، والمقت البغض، ومن مقته رجاله لم يستقم حاله، ومن أبغضته بطانته كان كمن غص بالماء، ومن كرهته الحُماة تطاولت عليه الأعداء. والإعجاب يكون سبباً لحمل صاحبه على الاستبداد وترك مشاورة الرجال، ومن الأمور التى لا تدوم مع الملك الكذب.

قالت الحكماء العرب وغيرهم: ست خصال لا تغتفر من السلطان، الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن. أما الكذب فلأنه إذا كان كذاباً لم يوثق بوعده ووعيده، فلم يرج خيره ولم يخف أحد من بأسه، ولا بهاء لسلطان لا يرجى خيره ولا يرهب بأسه، وأما الخلف فما ذكره الحكماء من أن خراب البلاد وفساد العباد مقروناً بإبطال الوعد والوعيد من الملوك. وأما الحسد فإنه إذا كان حسوداً لم يشرف أحد به، وإذا ضاعت الأشراف هلكت الأتباع، ولا يصلح الناس إلا باشرافهم. قال بعض الشعراء:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم   ولاسراة إذا جهالهم سادوا

وأما الحدة فلأنها تكون موجبة لانفضاض الرعية عنه، وأما البخل فلأنه إذا كان

بخيلاً لم يناصحه أحد، ولا تصلح الولاية إلا بمناصحة، وأما الجبن فأنه إذا كان جباناً اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره. ومن الأمور الموجبة لفساد أمر الرعية وهدم قواعد السلطنة الاحتجاب. قال بعض الحكماء: إذا احتجب السلطان فكأنه مات، وقال بعضهم: لا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا إلى سلطانهم، فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يتصرفون فى أرواح الخلائق وأموالهم على ما يشاؤون لأمتهم من وصول المظلوم إلى السلطان.

قال بعض الحكماء: من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة، وأعظم أسباب الخراب أن يكل السلطان أمر رعيته إلى أعوانه، ولا يتفحص عن أحوالهم، وإذا علم خيانتهم لا يصغى إلى شكوى المظلومين، ولا يفتش عن حقيقة تلك الشكوى، وكذلك الوزراء بالنسبة إلى سائر العمال، إلا أن السلطان إذا جرب صدق أحد وكلائه وسداد رأيه وسعيه فى مهام الملك فعليه أن يثق به ويعتمد عليه، وينفذ أحكامه، ولا يصغى إلى كلام الواشى عليه، ولا يستعجل فى عزله.

روى أنه قال معاوية بن أبى سفيان لصعصة بن صرحان: صف لى عمرو بن الخطاب رضى الله عنه. فقال: كان عالماً برعيته، عادلاً فى قضيته، عارياً عن الكبر، قبولاً للعذر، سهل الحجاب، مصون الثياب، متحرياً للصواب، رقيقاً للضعيف، غير محاب للقوى، ولا جاف للقريب. ومن الكلمات الجامعة ما قاله بعض الحكماء: المنفعة توجب المحبة، والمضرة توجب البغضة، والمضادة توجب العداوة، والمتابعة توجب الالفة، والصدق يوجب الثقة، والأمانة توجب الطمأنينة، والعدل يوجب اجتماع القلوب، والجور يوجب الفرقة، وحسن الخلق يوجب المودة، وسوء الخلق يوجب المباعدة، والانبساط يوجب المؤانسة، والانقباض يوجب الوحشة، والكبر يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفع، والجود يوجب الحمد، والبخل يوجب الذم، والتوانى يوجب التضييع، والجد يوجب رجاء الأعمال، والهويناء توجب السلامة، وإصابة التدبير توجب بقاء النعمة، وبالتأنى يسهل المطالبة، وبلين كتف المعاشرة تدوم المودة، وبخفض الجانب تأنس النفوس، وبسعة خلق المرء يطيب عيشه، والاستهانة توجب التباعد، وكثرة الصمت توجب الهيبة، وبعدل المنطق تجلب

الجلالة، وبالنصفة تكثر المواصلة، وبالأفضال يسمو القدر، وبصالح الأخلاق تزكو الأعمال، وباحتمال المؤن يجب السؤدد، وبالحلم عن السفيه تكثر أنصارك عليه، وبالرفق والتؤدة تستحق اسم الكرام، وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل.

واتفق حكماء العرب وغيرهم على أربع كلمات: الأولى لا تحمل نفساً شيئاً ما لا تطيق. الثانية لا تعمل عملاً لا ينفعك. الثالثة لا تغتر بالمؤن. الرابعة لا تثق بمال وإن كثر ومن أعظم الأمور التى بها عز السلطان الطاعة.

وروى أنه قال ملك فارس لموبذان: أى شيء واحد يعتز به السلطان؟ قال: الطاعة. قال: فما ملاك الطاعة؟ قال: التودد إلى الخاصة والعدل على العامة.

وروى الفهرى أنه لما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حيمر فقال: يا سعد ما صلاح الملك؟ قال: معدلة سابقة وهيبة وازعة، ورعية طايعة، فإن المعدلة حياة الأنام، وفى الهيبة نفى الظلام، وفى طاعة الرعية التألف والألتزام، ويجب طاعة الإمام على الرعية، وطاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله (ص) فإن طاعة الإمام عصمة كل فتنة، ونجاة كل شبهة، وحرز لمن دخل فيها والتجأ إليها من كل مفسدة، وليس للرعية أن تعترض على الإمام فى تدبيره من أمور السياسة لحفظ قواعد الإسلام، بل عليه الانقياد والطاعة، وعلى الإمام الاجتهاد بالمعدلة فالإمامة عصمة للعباد وحياة للبلاد، أوجب الله تعالى الطاعة لمن خصه بفضل الإمامة وحمله عبئها، فقرن طاعته بطاعته وطاعة الرسول (ص) فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم». فمن خرج عن طاعة الإمام فقد انقطعت عصمته وبرئ من الذمة، لأن طاعته حبل الله المتين، ودينه القويم. فيجب على كل مسلم الإخلاص والنصيحة الصادقة مع الإمام فإنه ما مشى قوم على سلطان ليذلوه إلا أذلهم الله تعالى قبل أن يموتوا، وعلى السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لأمورهم بحسن السيرة والعدل فيهم، والتعديل بينهم بالرفق والرأفة والشفقة. كما أن حق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة والصدق وعدم الخيانة.

قال سليمان بن داود عليهما السلام: الرحمة والعدل يحرزان الملك.

روى بعض المؤرخين: إنه لما غزا سابور ذو الاكتفاء ملك الروم وأخرب بلاده وقتل جنوده وأفنى بطارقته. قال له ملك الوم إنك قتلت جنودى وأخربت بلادى فأخبرنى بالأمر الذى تسببت به حتى قويت على ما أرى، وبلغت فى السياسة ما لم يبلغه ملك فإن كان مما تضبط به الأمور أديت لك الخراج وصرت كبعض الرعية فى الطاعة لك. قال له سابور: إنى لم أزد فى السياسة على ثمانى خصال. لم أهزل فى أمر ونهى، ولم أخلف فى وعد واثبت على العنا لا على الهوى، وضربت للأدب لا للغضب، وأودع قلوب الرعية المحبة من غير جزاء، والهيبة من غير ضغينة. وعممت بالقوة ومنعت بالفضول. فأذعن له وأدى إليه الخراج.

روى أنه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمغيرة لما ولاه الكوفة: يا مغيرة ليأمنك الأبرار ويخافك الفجار. وقال حكماء الهند: افضل السلطان من أمنه البرىء وخافه المجرم، وشر السلطان من خافه البرىء وأمنه المجرم، وقالوا: سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها، وقالوا: شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء والقوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء. وقالوا: الملك العادل كالنهر الصافى ينتفع به الأخيار والأشرار، وبصلاح السلطان يكون صلاح الدنيا. قال معاوية بن أبى سفيان لابن الكرى: صف لى الزمان. فقال: أنت الزمان إن تصلح يصلح وإن تفسد يفسد، وفى المثل السائر: الناس على دين ملوكهم، وكذا قيل الدين والسلطان توأمان.

روى أنه قال أردشير لأبنه: يا بنى إن الملك والدين أخوان لا غناء لأحدهما عن الآخر، فالدين أساس والملك حارس، وما لم يكن له أساس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع. يا بنى: اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، ومشورتك لأهل الدين، وسرك لمن عناه ما عناك، وليكن من اهل العقل. ومن الأمور المهمة استثناء البلاد القريبة من الثغور لبعض الرعايات، ولا سيما إذا كانت كثيرة القبائل والعشائر، أكثر أهاليها سكان البادية متفرقة الأحوال والأخلاق، بعيدة المزاج عن التمدن، بحيث يتعذر ويشق ضبطها إلا بعد ممارستها وتمرينها بزمان طويل، ويصعب إجراء السياسة بينهم إلا برفق ومماشاة كسواد العراق، وذلك بأخذ الأمور

معهم بلطف، فإن فى ذلك من المنافع والمصالح الغائبة ما لا يخفى على من نظر من بعيد إلى بعيد. فإن الهجوم على المصالح الشاقة دفعة لا ينتج إلا عناء، وتكون مقاصده ناقصة ومطالبه غير سديدة. فإن التأنى فى الأمور يوجب الظفر، ومعاملة الناس على مقتضى عقولهم من سمات الحكمة، كما ورد: كلم الناس على قدر عقولهم. فإذا تطبعت النفوس سهلت الأمور. وحسنت عاقبة الأمور فالحكيم من نطق بالحكمة وباشر الأمور بالتدريج والاستثناء، إن امتنع وخالف أمور السياسة المعتبرة لدى سلطان العصر، واستلزم وخرق القواعد والقوانين الكلية فلا بد أن يعتبر بعض لوازمه. فإن الاستثناء ولو مؤقتاً فى مثل هذه المواضيع يوجب الظفر فى المطالب المهمة. ومن أعظم الأمور المهمة التعمير بحفر الأنهار المندرسة، والحرث بمساعدة الفلاحين والتخفيف فيما يرتب عليه، وحث العامة على تعليم الصنائع والمعارف، بحيث لا يحتاجون إلى صنائع الدول الأجنبية، وبناء المدارس والمكاتب وتعليم الأولاد العلوم الدينية وغيرها، كعلم النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع واللغة والعروض والأنساب والمنطق والحكمة والهيئة والطب والهندسة والحساب، وتعلم سائر الألسن وغيرها من الآلات التى تزيد العالم قوة ومعرفة بأحكام الدين والسياسة. فإن العالم بالفقه إذا خلا من معرفة هذه العلوم لم يوثق بفقاهته لقصوره عن درك العبارات الدقيقة من كتب الفقه. بل يستحيل أن يدرك معانى القرآن والحديث، والمأمور بإدارة محل إذا كان جاهلاً مطلقاً، أو عارياً عن أكثر هذه العلوم كانت سياسته ناقصة، وإن كان ذا فهم وفطنة، ويجب تعلم علم الفقه والحديث والتفسير والسير، وكذا التواريخ واللايق بالسلطان توسيع الدائرة بترويج المذاهب الأربعة بين القبائل والعشائر، تسهيلا على العباد، لأن اختلاف الأئمة رحمة فى حق الناس. على أن ذلك أقوى أسباب العمارة، لأن ترويج المذاهب الأربعة يكون سبباً لحفظ عقائد العلماء عن الرفض وسائر الاعتقادات المخالفة لأهل السنة والجماعة وإذا كانت الرعية على مذهب أهل السنة كان السلطان أميناً من خيانة رعيته وميلهم إلى المبتدعة. ألا ترى أن الأمراء والوزراء لما غفلوا عن عشائر العراق، ولم ينصبوا بينهم العلماء كيف ارتد أكثرهم عن مذهب أهل السنة، وصار ميلهم إلى الرفض أكثر، وإن

كانوا من العرب، حتى أنهم إذا ضاقت بهم المسالك ولوا وجوههم إلى نحو العجم، وما ذلك إلا لاتحاد المذاهب، وبالجملة إن الغفلة عن ترويج العلوم الدينية وعن تثبيت كل عشيرة وقبيلة على أحد المذاهب الأربعة بإرسال العلماء إليهم وتعليمهم أمور الدين على قواعد أهل السنة وعدم الاعتناء بذلك خطر عظيم بحسب المآل، وترويج المذاهب الأربعة بين القبائل والبلدان مع كونه مستلزماً لمصالح مهمة دينية ودنيوية لا يمنع من اعتبار السياسة العرفية والقوانين النظامية. ألا ترى أن ملوك الإسلام الماضين كيف اعتبروا الأمور الدينية، وروجوا العلم والعلماء لمصالحهم المهمة، ومع ذلك كانت لهم قوانين عرفية فى ضبط أمور السياسة بين العباد، ومن أسباب العمارة ترويج التجارة بتسهيل الطرق لخروج الأموال، وبحفظ أموالهم ورعايتهم. ومن أسباب العمارة جلب القبائل والعشائر التى فى البادية إلى المدن وترغيبهم إلى الحرث وتعلم الصنائع والمعارف، كما أسكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سبعين ألفاً من أشراف العرب فى البصرة وسببت خزانة العربة رقى الإسلام، والبصرة اليوم بلاقع، وذلك إنما يكون بقوة دافعة أو بعطاء ولطف ومماشاة طويلة، وعلى السلطان وعلى وكلائه ووزرائه تسوية الأحكام بين الخواص والعوام وبين المسلم وسائر أهل الكتاب فى إجراء الأحكام وإظهار الحقوق كما هو مقتضى شريعتنا المحمدية، وإعلام العوام بأنه ليس لأحد عليهم سبيل، وأنه لا فرق بينهم وبين أشراف الناس فى الحكم بمقتضى الأمر الألهى، وأنه لا حاكم عليهم سوى السلطان ووكلائه وأمرائه ونوابه نيابة عن السلطان. فإن ذلك من أعظم أسباب العمارة. نعم إن لخواص الناس رعاية بإكرامهم واحترامهم وتنزيلهم منازلهم لا تبصر فيهم فى أرواح العامة وأموالهم. فهذا ما يتعلق بالسلطان وأما الأمور المتعلقة بالرعايا والمتبعة. فأما الوكلاء والوزراء فيجب عليهم الصدق والعدل والعفة والنصح والخدمة النافعة وعدم الطمع، فإن ذلك يكون سبباً للفوز فى الدراين. على أن عدل ساعة خير من عبادة ألف شهر، والعدل أقوى أسباب نظام العالم، والجور أسرع إلى الخراب واختلال النظام كما سبق، ويجب عليهم التسوية بين الغنى والفقير والشريف والوضيع فى إجراء الأحكام، فإن المحاباة والميل إلى بعض دون بعض دليل على الخيانة فى الدين والدولة، ويجب عليهم التفحص

عن أهل الفضل والمعرفة والعفة والصدق ليقلدوهم أهم الأمور وإن أبوا عنها فإن أقبح المظالم تقليد القضاء والإمارة والعمالة أرباب الخيانة والكذب والارتكاب والجهل والتكبر والجور. فقد روى النبى (ص) أنه قال: «من قلد إنساناً وفى رعيته أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين»، وروى عن أنس رضى الله عنه عن النبى (ص) أنه قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» فإن وجد اثنان أحدهما أورع والآخر أفقه، فالأورع أولى لأنه يمكنه أن يقضى بعلم غيره على ما ذكر فى المضمرات، وبالجملة. إن التحرى على الوكلاء والوزراء فى الحكم بين الرعية وفى تقليد الأمور واجب، وعليهم أن يتجسسوا عن أحوال الخواص والعوام بأنفسهم خفية، وبأعوانهم المفتشين الصادقين الخالين عن الأغراض من ذوى العفة، الذين لا يفترون على الناس، فإن وزر العباد على الوزراء لا على السلطان. لأنه وكل الأمور إليهم، وهو نفس واحدة لا يمكن أن يحيط نفسه بأحوال العباد والبلاد. نعم على السلطان أن لا يكل الأمر إلا إلى الوزراء الصادقين من ذوى العفة والعدل والمروءة والرحمة حسب التجربة، ومن ظهر منه نوع ارتكاب وجور وعدم إنصاف فعليه أن لا يقلده أمراً من الأمور. فإن فعل فهو مسؤول يوم القيامة، وأما القضاة والنواب وأرباب الفتوى فوجب عليهم الحكم بالعدل وعدم الارتشاء والعفة والورع والديانة والاحتياط والحكم بالقول الراجح المفتى به دون المرجو وإجراء أدب القضاء بين الداعى والمدعى عليه، والتسوية بينهما، وإن كان أحدهما شريفاً والآخر وضيعاً، وكان أحدهما مسلماً والآخر نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً.

فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى (ص) أنه قال: «من ولى عشرة فحكم بينهم بما أحبوا وكرهوا جيئ به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، فإن حكم بما أنزل الله ولم يرتش فى حكمه ولم يخف فك الله غله، وإن حكم بغير ما أنزل الله وارتشى فى حكمه وخاف فيه شدت يساره إلى يمينه ثم رمى به فى جهنم».

وروى عن بريدة عن أبيه عن النبى (ص) أنه قال: القضاة ثلاثة. اثنان فى النار وواحد فى الجنة. رجل عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار فى الحكم فهو فى النار. ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على

جهل فهو في النار. هذا والقضاء من المناصب العالية، وهي من أعظم المصائب على أهل الورع والديانة. لأنه مزلة الأقدام، ولذا اجتنب عنه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، وصبر على الحبس والسجن حتى مات فيه. وقيل إنه ضرب ولم يقبل القضاء، وقال: البحر عميق كيف أعبره بالسباحة. وقال أبو قلابة: ما وجدت القاضي إلا كسابح بحر، وقد دعي أبو قلابة إلى القضاء فهرب إلى الشام فوافق موت قاضيها، فهرب إلى اليمامة، واجتنب كثير من السلف، وأما سائر العلماء والمدرسين فأكثرهم قد اعتمد على الرتب والجاه وصرف النظر عن كسب العلوم، وكثير منهم في سائر البلاد قد تقلد التدريس مع عدم الاستعداد التام، ولذا قل العلماء الفحول من ذوي التحرير والتقرير في البلاد. فيجب على الولاة أن لا يقلدوا أحداً مدرسة إلا إذا كان عالماً بجميع العلوم، وله قوة التقرير فيها مع التحرير ليروج سوق العلم، وأنت ترى أنه إذا مات عالم في زماننا وترك ولداً جاهلاً نصبوه في محل أبيه، ولم ينظروا إلى حرمة العلم ورعايته بنصب أهله، بل يلتفتون إلى كونه ولد العالم المتوفى، والعلم لا يكون موروثاً، بل إنما يكون بالجد والتحصيل، ولو نظرنا إلى جهة كونه ولد العالم المتوفى لآل الأمر إلى زوال العلم، والعلم لم يبق إلى الآن إلا برعاية أهل العلم، ولو روعيت جهة لما وصل إلينا شيئ من العلم. نعم أولاد العلماء لهم حق الرعاية على الولاة بحثهم على تعلم العلوم والمعارف، والنسب لا يجدي نفعاً، كما قال بعض الكاملين من أهل النسب.

لسنا وإن كنا ذوي نسب يوماً على الأنساب نتكل

نبغي كما كانت أوائلنا تبغي ونفعل مثل ما فعلوا

وقال بعضهم:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

واكثر أهل الأنساب في هذا العصر قد اتكلوا على أنسابهم، وتقاعدوا عن طلب العلم والمعارف. فصاروا كآحاد الناس ولم يتفطنوا أن شرف المرء بالفضل والكمال

والمعرفة لا بالعظام البالية، واللائق بالعاقل أن يحصل الكمالات، ويخرج نفسه من دناءة الجهل. فإن العلم يرفع والخط ينفع والجهل يضع.

وأما التجار فحرفتهم التى هى التجارة من الحرف المستحسنة. فقد روى بعض أهل العلم أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يكتسب بالتجارة، والاكتساب من الحلال من الطاعات، ولذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام يكتسبون. فروى أن آدم عليه السلام كان يزرع الحنطة، وكان نوح عليه السلام نجاراً، وكان داود عليه السلام يصنع الدروع، وكان سليمان عليه السلام يصنع المكتل، وعيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه، ونبينا محمد (ص) من الغنائم، وقد تاجر (ص) قبل النبوة. فعلم أن طريق الاكتساب فرض بقدر الكفاية لنفسه وعيالة وقضاء ديونه، والكاسب حبيب الله تعالى على ما قيل فى المثل المشهور. ثم إن طرق الاكتساب على ما ذكره بعض الفقهاء التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة، والصناعة أنواع كثيرة ويجب على التجار تعلم مسائل المعاملات الشرعية.

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يطوف السوق، ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: لا يبع فى سوقنا من لم يتفقه فى الدين. فينبغى لهم أن يتعلموا علم الحساب والدفتر وقواعد التجارة. والتجارة والصناعة فرض كفاية. لأنها لو تركت لبطل المعاش وهلكت الناس واختل نظام العالم فشرع الحكيم المطلق تعالى المبادلة على وجه لا يخل بنظام الكونين، ويجب على المكتسب أن يراعى فى معاملته العدل ويتجنب الغش وإخفاء العيب.

حكى عن يونس بن كفديد أنه كان عنده حلل مختلفة الأثمان، فذهب إلى الصلاة وترك ابن أخيه فى الدكان فجاء إعرابى وطلب حلة بأربعمائة. فعرض عليه حلة من الحلل التى تقوم بمائتين، فاستحسنها واشتراها بأربعمائة، وذهب فاستقبله يونس ورأى حلته فى يده وعرفها، فقال: بكم اشتريتها؟ فقال: بأربعمائة. فقال: لا تساوى أكثر من مائتين فأرجع حتى تردها، فقال: هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة وأنا راضٍ بها ولا أردها. فقال له يونس أنك وإن نصبتها فإن النصح فى

الدين خير من الدنيا بما فيها. فرده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم ثم توجه إلى ابن أخيه وقال له: أما خشيت الله تعالى حتى ربحت مثل الثمن وتركت النصح للمسلمين. فقال له ابن اخيه: والله ما أخذها إلا رضى بها فقال له: هل رضيت له ما رضيت لنفسك. وذكر فى شرح المشكاة أن ابا حنيفة رضى الله عنه تصدق بجميع ما أتى به وكيل إليه لما خلط ثمن ثوب معيب ببيع مخفياً قبل، وكان المال ثلاثين ألفاً، ويجب على المكتسب أن لا يثنى على السلعة، ولا يحلف عليها، ويجب عليه أيضاً أن يصدق فى سعر الوقت، ولا يلبس ولا يخون فى المقدار، ولا يطفف، والمحتكر ملعون.

قال أبو يوسف: كلما يضر بالناس حبسه ماكولا أو غيره، وان كان ذهبا وفضه فأنه يأثم بالحبس، وأن قلت مدته، ومن حبس غلة أرضه لا يكون محتكرا: لكن لو امتنع عن البيع عند شدة احتياج المسلمين إليها يكون مسيئاً، ومن جلب من بلد أخر فقد اختلفوا فيه، والاحتياط أن يبيع بسعر وقته.

وروى عن النبى (ص) أنه قال «من جلب طعاماً فباعه بسعر وقته يومه فكأنما تصدق به» وعنه (ص): «ما من جالب يجلب طعاماً من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهداء» ثم قرأ: «وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله» فإنه تعالى سوى فى هذه الآية بين درجة المجاهدين فى سبيل الله والمكتسبين المال الحلال. فدلت الآية على أن التجارة بمنزلة الجهاد، وأما أرباب الحرف من الصناعة والفلاحة فيجب عليهم أيضاً الصدق وعدم الغش والسعى التام. وبالجملة فإن عالم الدنيا هو عالم الأسباب ونظامه بنظام الأحكام والصنائع والحرف فاللايق. يحال إخواننا المسلمين أن يتيقظوا من يوم البطالة والغفلة. فإن سائر الملل قد حازوا أنواع المعارف والصنائع بعد أن كانو من قبل عارين عن كل معرفة، وكان المسلمون من قبل أحسن المسالك فى أمور المعاش، وكان غيرهم يحتاجهم وهم لا يحتاجون غيرهم فى شيئ، وقد انعكس الأمر فى هذا العصر، فيجب عليهم أن ينهضوا من نومة الغفلة ويتعاضدون على تعلم المعارف والصنائع ليعودا إلى سيرتهم الأولى، ويستغنوا عن غيرهم ويتحاببو ويتعاضدوا

علـى تقـوية الدين والـدولة ويتـركـوا القال والـقيـل، ويجـتنبـوا عن فـلان طويل وفـلان عـريض ويراعـون قـوله تعـالى: «إنمـا المؤمنـون أخـوة» فإن ذلـك يكون سـبـباً لـعمـارة الممـالك الإسـلامـية، وتـزداد به قوة الـدولة الموجبة لقـوة الدين فـإنه لا تقـوى الدولة إلا بالعمارة، ولا يقوى الدين إلا بقوة الدولة على ما جرت به عادة الله تعالى.

ومن أقـوى أسباب الـعمارة فـتح الأنهـار وإجراء السـفن والمراكب فـيهـا، وإحداث سكك الحديد، فإنه موجبة لقرب الطريق الموجـب لسهولة التجارة والاكتـسـاب الباعث على الـعمـارة. هـذا ويجب علـى الرعايـا إطاعة السـلطان ووزرائه فـى سياسـتهـم وفيـما أحـدثوه من إضـافـة السـياسـة، ولا تشـمئـز قـلوبهـم منهـا وعـمـا أحدثـوه من الأمـور السـياسيـة فإن بالـسـياسـة تنضـبـط أمور الناس عـلى وجه لا يكـون لأحد مداخلـه.. فـى شـيئ مـن الأحـكـام وسـائر الأمـور وتـنقـطـع المحـابـاة والالـتـزامـات فـى الـتـصـحـيـحـات، وتكسب الرعية والعامة اتم الراحة، وتأمن عـن إبطال الحقوق، كما كان يقع فى الأزمنة السـابقة أنواع الـسـيـاسـات كإحـداث المجالس الـسـديدة فـى سياسـة حكامـه وغيـرها فى زمـن الملـوك الماضـيـة. فـقـد ذكـر أقـضـى الـقـضـاة أبـو الحـسـن الـبـارودى فـى الاحكـام السلطانية أن الديوان محـفوظ بحفظ مـا تعلق بحقوق السلطنة مـن الأعمال والأموال، ومن يقـوم فيها من الجـيوش والعمال، وفى تسـميته ديواناً وجـهان. أولهما أن كسـرى أطلـع ذات يوم عـلـى كـتـاب ديوانـه فرآهـم يحـسـبـون مع أنفـسـهـم فقـال: ديـوانه – أى مجـانـين فسمـى موضـعهم بهذا الاسم، ثم حـذفت الهاء لكثـرة الاستـعمـال، والثانى أن الـديوان اسـم للـشـيـاطين بـالـفـارسـيـة فـسـمـى الكـتـاب باسـمـهـم لحـذاقـتـهم بـالأمـور ووقوفهم.

وذكـر الـعـلامة المقـريزى فـى تاريخ مـصـر أن كـتـابة الديـوان على ثلاثـة أقسـام. كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الإنشاء والمكاتبات، ولا بد لكل من استـعمـال هـذه الأقسـام الـثـلاثة. ثم ذكـر ديوان العسـاكر والجيوش وقـال: أول من وضـع ديـوان الجند بخيلهـم كلهراسب أحد ملوك الطبقة الثانيـة من الفرس، وان كيـفـياد قبله أخذ العشـر من الغلات وصـرفه فى مصـارف جـنده، وأما فى الإسـلام فـقد أخرج البخـارى ومسـلم من حـديث حذيفـة رضى الله عـنه أنه قال: قـال رسـول الـله (ص) اكتـبوا إلى من تـلفظ

بالإسلام من الناس. فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل. الحديث ذكره البخارى فى باب كتابة الإمام الناس.

أقول: وهذا من أقوى الدلائل على أن للسلطان أن يكتب عدد نفوس تبعته ومن اختلج فى نفسه الإنكار فقد أخطأ، وخالف الشرع المبين. على أن فى كتابة الأنفس إحاطة بمن يصلح للعساكر ومن يصلح للحرث، من يصلح للصناعات ومن يصلح للرئاسة والعمالة والكتابة والخدمة وغير ذلك. فيضع كل أحد فيما يليق. واللائق بكل مسلم مقتدر على الحرب أن يدخل فى سلك العساكر لحماية الدولة التى بها حماية الدين وسد ثغور الأعداء. بل يجب عليهم وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين، ثم ذكر المقريزى أن أول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ونقل عن ابن شهاب بن عمر رضى الله عنه أنه أول من دون الدواوين، وروى فى ذلك روايات منها عن خالد بن الوليد رضى الله: عنه انه قال لعمر رضى الله: عنه كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديواناً وجندوا جنوداً. فدون ديواناً وجند جنداً. فأخذ عمر رضى الله عنه بقوله ودعا عقيلا بن أبى طالب ومخرقة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال: اكتبوا الناس على منازلهم فبدأوا ببنى هاشم وكتبوهم، ثم أتبوعهم أولاد أبى بكر وقومه، ثم عمر وقومه ثم القبائل، ثم رفعوا ذلك إلى عمر رضى الله عنه فلما نظر فيه قال: أبدأوا بقرابة رسول الله (ص) الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمراً حيث وضعه الله فشكره العباس رضى الله عنهما على ذلك وقال وصلت رحمك.

قيل لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضى الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين وقال: ما يحل للوالى من هذا المال؟ فقالوا جميعاً: أما الخاصة فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحملاته إلى حجه وعمرته، والقسم بالسوية، وأن يعطى أهل البلاد على قدر بلادهم، ويبدأ بأهل الفيء منهم، ويفهم من هذا ترجيح العساكر على غيرهم. أقول: وأنت ترى أن السلطان نصره الرحمن فى عصرنا هذا وقد جعل لكل واحد من العساكر والوزراء والعلماء والأمراء والأشراف والعمال والكتاب وغيرهم

من الفقراء فى كل بلدة من بلاده حصة من بيت المال، مع ماله من الخدمات الوافية للحرمين الشريفين وأهلهما من إرسال الصرف وغيره. شكر الله تعالى سعيه وأدام ظله - وقال المقريزى: إنه كانت عادة الخلفاء من أمية وبنى العباس والفاطميين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تجىء أموال الخراج ثم تفرق من الديوان فى الأمراء والعمال والأجناد على قدر رتبهم، وبحسب مقاديرهم، وكان يقال لذلك فى صدر الإسلام العطاء، وما زال الأمر على ذلك إلى أن كانت دولة العجم فغيروا هذا الاسم، وفرقوا الأراضى إقطاعات على الجند، وأول من من فرق الإقطاعات على الجند نظام الملك وزير ألب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق، وذلك أن مملكته اتسعت فرأى أن يسلم إلى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل على قدر إقطاعه لأنه رأى أن فى تسليم الأراضى إلى المقطعين عمارتها، لاعتناء مقطعيها بأمرها بخلاف ما إذا شمل جميع أعمال المملكة ديوان واحد، فإن الخرق يتسع ويدخل الخلل فى البلاد، ففعل نظام الملك ذلك وعمر، بها البلاد، وكثرت بها الغلال، واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك. أقول: الإقطاع من الأمور المستحسنة الباعثة للعمارة، ولكن إعطائها على الجند والعسكر ليس بجيد لأن اللائق بحال العسكر أن يكون مشغولاً بعلوم الحرب فقط، وأن يكون تحت الضبط، فلو كان مشغولاً بتعمير الأراضى لفاته على الحرب، وخرج عن الضبط والتعمير، والحراثة إنما تليق بغير العسكر من سائر الناس، والطابع المرتب فى عصر سلطان العصر هو عبارة عن الإقطاع، وهو من جملة أسباب العمارة إذا كان بطريق غير شاق على المقطعين، بأن يكون على سبيل العشر، ولو كان بأكثر من ذلك كالخمس لم تبق فائدة تامة للمقطع فلا يرغب ويهتم بالعمارة. وبالجملة إن أقوى أسباب العمارة تخفيف الرسومات على الفلاحين وعلى أراضى الملك، ثم إن المقريزى ذكر الدواوين التى كانت مرتبة فى مصر سابقاً بقول: فأولها ديوان المجلس وهو على ما نقله بن الطوير أصل الدواوين قديماً، وفيه علوم الدولة بأجمعها، وفيه عدة كتاب، ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين أو معينان، وصاحب هذا الديوان هو المتحدث فى الإقطاعات ويلحق بديوان النظر وله المرتبة والمسند والحاجب وغير ذلك، وله الخدمة الخاصة، وله دفتر المجلس وصاحبه من

الأستاذين، ثم يتولاه أجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحاً لرأس الدواوين، ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان، ديواناً بالقصر الباطن ويضبط فيه ما ينفق فى الدولة من المهمات وما يرد إليها من ملوك الدنيا وما يعطى إلى أرباب الرتب والجهات أهل الصدقات، ويعلم فيه مابين كل سنة من التفاوت، وما ينفق فى مهم فتح الخليج، وما ينفق فى سماطى الفطر والنحر، وما يخرج من الاكفان لمن يموت من أرباب الجهات المحتويات وما ينحر للضحايات، وما يعطى من الكسوة للأولاد والأقارب، وما ينفق فى شهر رمضان وغير ذلك من العطايا.

الثانى ديوان النظر. قال ابن الطوير: أما ديوان الأموال فإن أجلها من يتولى النظر عليهم، وله العزل والولاية، ومن يده عرض الأوراق فى أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير، ولم ير فيه نصرانى الاحترام ويتعلق بنواب الدولة وله المرتبة وبين يديه حاجب من أمراء الدولة.

الثالث ديوان التحقيق: وهو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين، ولا يتولاه إلا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب، ويلحق برأس الديوان يعنى متولى النظر.

الرابع. ديوان الجيوش. قال ابن الطوير: والخدمة فى ديوان الجيوش قسمان. الأول: ديوان الجيش، وفيه مستوف أصيل ولا يكون إلا مسلماً. وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدى الخليفة داخل عتبة باب المجلس، وله المسند وبين يديه الحاجب، وترد عليه أمور الأجناد، وله العرض، ولهذا الديوان خازنان، ومن هذا الديوان تعمل أوراق الجزايات، والقسم الثانى من هذا الديوان ديوان الرواتب، ويشتمل على أسماء كل مرتزق وفيه كاتب أصيل، وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة أنفس، والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من استمر، ومباشرة من استجد، وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقبلى، وفى هذا الديوان عدة عروض.

العرض الأول يشتمل على راتب الوزير وهو فى الشهر خمسة آلاف دينار، وراتب غيره من الحواشى على مقتضى مراتبهم.

العرض الثانى حواشى الخليفة، وأولهم الأستاذون على رتبهم وجوارى خدمهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة، وصاحب الدفتر، ومساد التاج، وزمام الأشراف، وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار فى كل شهر، ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له فى كل شهر عشرة دنانير، وتزيد عدتهم على ألف نفس، والطبيبان الخاصان كل واحد منهما خمسون دينار، ومن دونهما من الأطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير.

العرض الثالث يتضمن أرباب الرتب بحضرة الخليفة. فأولهم كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون ديناراً، ولكل واحد من كتابه ثلاثون ديناراً، ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون ديناراً. ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل واحد منما سبعون ديناراً، وبقية العساكر والسوقان من خمسين إلى أربعين إلى ثلاثين ديناراً.

العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضى القضاة، ومن يلى قاضى القضاة مائة دينار، وداعى الدعاة مائة دينار.

العرض الخامس يشتمل على من يجرى مجراهم، وأولهم من يتولى ديوان النظر، وجاريه سبعون ديناراً، وديوان التحقيق جاريه خمسون ديناراً، وديوان المجلس أربعون ديناراً، وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون ديناراً، وكاتبه خمسة دنانير، وديوان الجيش وجاريه أربعون ديناراً، والموقع بالقلم الجليل ثلاثون ديناراً.

الديوان الخامس: ديوان الإنشاء والمكاتبات، وكان لا يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف، ويتسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة، وهو الذى يأمر بتنزيلها والإجابة عنها للكتاب، والخليفة يستشيره فى أكثر أموره، ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه، وهذا أمر لا يصل إليه غيره، وربما بات عند الخليفة ليالى، وكان جاريه مائة وعشرون ديناراً فى الشهر، وهو أول أرباب الإقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفات، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه بالقصر، ولا يجتمع بكتابه أحد إلا الخصوص، وله صاحب

من الأمراء الشيوخ الفراشون، وله المرتبة والمسند والدواة. لكنها بغير كرسى، وهو من أخص الدواوين ويعملها أستاذاً من أستاذى الخليفة.

الديوان السادس: ديوان التوقيع بالقلم الدقيق، وكان لابد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الأنبياء والخلفاء. فهو يجتمع به فى أكثر الأيام، ومعه استاذ مؤهل لذلك. فيكون الاستاذ ثالثهما، ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه مكارم الاخلاق، وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست، ويكون عنده دواة محلاة فإذا فرغ من المجالسة التى فى الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل من الند المثلث الخالص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانى مرة، وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق، وله سند وفراش يقدم إليه ما يوقع عليه، وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل عليه أحد إلا بأذن، وهو يلى صاحب ديوان المكاتبات فى الرسوم والكساوى وغيرها.

الديوان السابع: ديوان التوقيع بالقلم الجليل. وهى رتبة جليلة، ويقال لها الخدمة الصغرى، وله المسند بغير حاجب وإنما فراش لترتيب ما يوقع فيه.

الديوان الثامن: ديوان مجلس النظر فى المظالم. كانت الدولة إذا خلت من وزير جلس صاحب الباب فى باب الذهب بالقصر، وبين يديه النقباء والحجاب فينادى المنادى بين يديها: يا أرباب الظلامات فيحضرون. فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت إلى الولاة والقضاة رسالة بكشفها، ومن تظلم ممن ليس من أهل البلد أحضرت قصة بأمره فيتسلمها الحاجب فإذا جمعها أحضرها إلى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها، ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما أشار إليه الموقع الأول فى خريطة إلى الخليفة فيوقع عليه. ثم تخرج الخريطة إلى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع إلى صاحبه، فإن كان له وزير صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضى القضاة، ومن جانبيه شاهدان معتبران، وعن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه صاحب الباب وأسفهسلار، العساكر، وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقاتهم، ويكون الجلوس بالقصر فى مجلس المظالم

فى يومين من الأسبوع، وكان الخليفة إذا رفعت إليه القصة وقع عليها هذه العبارة: يعتمد ذلك إن شاء اله تعالى، ويوقع فى الجانب الأيمن منها فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس. فيوقع عليها جليلاً، ويخلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت، وكانت علامتهم الحمد لله رب العالمين، وكان الخليفة يوقع فى المسامحة والتسوية والتحبيس قد انعمنا بذلك: أوقد أمضينا ذلك.

الديوان التاسع: صاحب الباب، وينعت صاحب هذه الخدمة أولا بالمعظم وله نائب، وتسمى الخدمة بالنيابة الشريفة، وأنها مميزة ولا يليها إلا أعيان العدول وأرباب العمائم وينعت بمدى الملك، وهو الذى يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نواب الباب فى خدمته. فيحفظهم وينزهلم بالأماكن المعدة لهم، ويقدمهم للسلام على الخليفة، والوزير مع صاحب الباب. فيكون صاحب الباب يميناً وهو يساراً، ويلى رتبة صاحب الباب الاسفهسالار وهو زمام، على زمام وإليه أمور الأجناد.

الديوان العاشر: ديوان قاضى القضاة، وكان من عادة الدولة إذا كان وزير فإن الوزير يقلد القضاء رجلاً نيابة عنه، وهذا حدث من عهد الأمير بدر الجمالى، وإذا كان الخليفة مستبداً ليس له وزير قلد القضاء رجلاً ونعته بقاضى القضاة، ورتبته أجل رتب أرباب العمائم وأرباب الاقلام، ويكون فى بعض الأوقات داعياً فيقال له (ح) قاضى القضاة وداعى الدعاة، ولا يخرج شيئ من الأمور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء، ويجلس الشهود حواليه يميناً بحسب تاريخ عدالتهم، وبين يديه خمسة من الحجاب، اثنان بين يديه يقابلان اثنين، وله كرسى الدواة، وهى محلاة بالفضة تحمل إليه من خزائن القصور، ولها حامل بجامكية فى الشهر على الدولة، ويقدم له من الأصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء، وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، وعليها من خزانة السروج سرج محلى تقبل وراءه دفتر فضة، ومكان الجلد حرير، وتأتيه فى المواسم الأطواق، ويخلع عليه الخلع المدهشة بلا طبل ولا بوق إلا إذا كان ولى الدعوة مع الحكم. فإن الدعوى فى خلعها الطبل والبوق والبنود الخاص. نظير البنود الخاص التى يشرف بها الوزير، وحوالى قاضى القضاة القراء، وبين يده المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير، ويحمل بنواب الباب

والحجاب، ولا يتقدم عليه أحد فى محضر هو حاضره من صاحب سيف وقلم، ولا سبيل إلى قيامه لأحد وهو فى مجلس الحكم، ولا يعدل شاهد إلا بأمره. ويجلس بالقصر فى يومى الإثنين والخميس أول النهار وللسلام على الخليفة، ونوابه لا يفترون عن الأحكام ويحضر إليه وكيل بيت المال، وكان النظر فى ديوان الضرب ليضرب من الدنانير، وكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه، ويختم عليه ويحضر لفتحه، وكان القاضى لا يصرف إلا بجنحة، ولا يعدل أحد الا بتزكية عشرين شاهداً. عشرة من مصر وعشرة من القاهرة، ولا يحتمى أحد على الشرع، ومن فعل ذلك أدب، والسقيف للخليفة، وهى موضع من جملة القصر الكبير يقف عنده المتظلمون، وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين. فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال: لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره، ويفوض أمره إلى الوزير أو القاضى أو الوالى، وكان الكتاب إلى الأعمال نصارى. أقول إذا علمت ما نقلناه لك من هذه المجالس المرتبة على تلك الترتيبات ارتفع عن خاطرك أيها الواقف على ترتيب المجالس فى هذا العصر على الوجه المخصوص بما يختلج فيه شائبة الإنكار. لأن لكل سلطان أن يخترع فى سياسة الملك ما يليق بعصره مع رعاية الشرع الشريف، والشرع ولله الحمد فى غاية الرعاية لدى السلطان كما هو معلوم من نصب شيوخ الإسلام والنواب والمفاتى فى دار الخلافة وغيرها من البلاد، وغاية الأمر أنهم جعلوا للنواب مجالس، وهو من الأمور الحسنة إلى النائب بعد هذا سدت عليه سبب الارتشاء وإبطال الحقوق بالمحاباة كما شاهدنا من أكثر نواب عصرنا قبل هذا. حتى أن بعض القضاة الجهلة كان يتوسط وكلاء المحكمة بعمل أحكام الشرع ملعبة عاملهم الله تعالى بعدله، ولله الحمد على زوال تلك الحالة الشنيعة التى كانت تخزى الإسلام لدى سائر الملل، ولا بأس بتسمية القاضى مفتش الأحكام. كما أنه لا بأس بتسميته داعى الدعاة فى زمن ملوك مصر الماضين. لأن مفتش الأحكام بمعنى أنه ناظر على حكام الشرع ونوابه ومفتش عن أحوالهم وأحكامهم، وهو حسن. نعم يجب أن يكون المتفش والنائب من العلماء الأعلام، وكذا من يجلس معهما ثم إن جميع ما ذكرته إنما هو لأجل إيقاظ

الرعية من الغفلة، وحثهم على الاهتمام والسعى فى الحرث وكسب العلوم والمعارف والتشبث بأسباب العمارة، وترك مالا يعنى من القال والقيل والبطالة، وحث الوزراء والأمراء على التشبث بأسباب العمارة وحث الناس عليها، ورعاية الرعايا بتخفيف الأثقال عنهم. فقد ذكر المقريزى فى تاريخ مصر نقلاً عن أبى قبيل أنه روى عن بعض مشايخ مصر أن الذى كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرون القرى فى أيدى أهلها كل قرية بكرى معلوم لا ينقص عنها إلا فى كل أربع سنين من أجل الظمأ وتنقل اليسار فإذا مضت أربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلاً جديداً فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة، ولا يحمل عليهم. من ذلك ما ثنى عليهم فإذا بنى الخراج جمع، وكان للملك من ذلك الربع خالصاً لنفسه يصنع به ما يريد، والربع الثانى لجنده، ومن يقوى به على حرب عدوه وجباية خراجه ودفع عدوه، والربع الثالث فى مصلحة الأرض وما تحتاج إليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها والقوة للزراعين على زرعهم وعمارة أرضهم، والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك لنائبة تنزل أو حاجة بأهل القرية، والذى يدفن فى كل قرية من خراجها هو كنوز فرعون، ومن عمارة بعض ملوك مصر أنه أرسل وبه فتح إلى أسفل الأرض وإلى الصعيد فى وقت تنظيف الأرض والترع من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها، وأنه كان عند تناهى العمارة يزل أربع وقبات برسيم إلى الصعيد وإلى أسفل الأرض وإلى أى كورة فإن وجد لها موضعاً خالياً فزرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة، وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخاً فى مثلها، والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ ولم تزل الفراعنة تلك هذه المسالك إلى أيام فرعون موسى فإنه عمرها عدلاً وسماحة، وتتابع الظمأ ثلاث سنين فى أيامه فترك لأهل مصر خراج ثلاث سنين، وأنفق على نفسه وعساكره من خزانته، ولما كان فى السنة الرابعة أضعف الخراج واستمر فاعتاض ما أنفق، وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أن أسأل المقوقس عن مصر: من أين تأتى عمارتها وخراجها؟ فسأله عمرو فقال له المقوقس: عمارتها وخراجها من وجوه خمسة. أن

يستخرجها خراجها فى إبان واحد عن فراغ أهلها من زرعهم، ويرفع خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم، ويحفر فى كل سنة خلجانها، وتسد ترعها وجسورها، ولا يقبل مطل أهلها بريد البغى. فاذا فعل هذا فيها عمرت، وإن عمل فيها بخلافه خربت، وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه للمقوقس: أنت وليت مصر فمم تكون عمارتها فقال بخصال. أن تحفروا خلجانها، وتسد جسورها وترعها، ولا يؤخذ خراجها إلا من غلتها، ولا يقبل مطل أهلها، ويوفى لهم بالشروط، ويدر الأرزاق على العمال لئلا يرتشوا، ويرتفع عن أهله المعاون والهدايا ليكون قوة. فبذلك تعمر ولا يرجى خرابها.

ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب: إليه بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص. سلام الله عليك، فأنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فإنى فكرت فى أمرك، والذى أنت عليه. فإذا أرض واسعة عريضة رفيعة، وقد أعطى الله أهلها عدداً وجلداً، وقوة فى بر وبحر، وأنها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكماً مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك. واعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحط ولا جدب، ولقد أكثرت من مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج، وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تفيق فترفع إلى ذلك. فإذا أنت تأتينى بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذى فى نفسى. لست قابلاً منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك، ولست أدرى مع ذلك ما الذى نفرك من كتابى وقبضك، فلئن كنت مجرماً كافياً صحيحاً من البراءة النافعة، وإن كنت مضيعاً قطعاً إن الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك، وقد تركت أن أبتلى ذلك منك فى العام الماضى رجاء أن تفيق وترفع إلى ذلك، وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا أن أعمالك أعمال السوء، وما توالى عليك وتلفف واتخذوك كهفاً، وعندى بإذن الله تعالى دواء فيه شفاء عما أسالك فيه. فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه. فإن النهر يخرج الدر، والحق أبلج، ودعنى وما عنه تلجلج. فإنه قد برح الخفاء والسلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص: باسم الله الرحمن الرحيم: لعبد الله أمير المؤمنين من عمرو بن العاص. سلام الله عليك. فأنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فقد بلغنى كتابك يا أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج، والذى ذكر فيه من عمل الفراعنه قبلى، وعما به من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها مذ كان الإسلام. ولعمرى الخراج يومئذ أوفر والأرض أعمر. لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا مذ كان الإسلام وذكرت أن النهر يخرج الدر فحلبتها حلباً قطع درها وأكثرت فى كتابك وأنبت وعرضت وتربت وعملت أن ذلك عن شئ تخفيه على غير خبر. فجئت لعمرى بالمقطعات المقدمات، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق، وقد عملنا لرسول الله (ص) ولمن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأماناتنا. حافظين لما عظم الله من حق أمتنا نرى غير ذلك قبيحاً والعقل به شيئاً فنعرف ذلك لنا، ونصدق فيه قلبنا – معاذ الله من تلك الطعم ومن هذه الشيم والاجتراء على كل مأثم فامض فى عملك فإن الله قد نزهنى عن تلك الطرق الدنيئة والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضاً ولم تكرم فيه أحدا، الله يا ابن الخطاب لا تلحين براد ذلك منى أشد غضباً لنفسى ولها نزاهة وإكراماً، وما عملت من عمل أورى عليه فبه متعلقاً، ولكنى حفظت ما لم تحفظه، ولو كنت ابن يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا، وسكت عن أشياء كنت بها عالماً، وكان اللسان بهامنى ذلولاً ولكن الله عظم من حقك مالا يجهل إليه، فرد عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله.

من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص. سلام الله عليك. فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فإنى قد عجبت من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج وكتابك إلى بينات الطرق، وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحل المبين، ولم أقدمك إلى مصر أجعلها لك طعمة، ولا لقومك، ولكننى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك. فإذا أتاك كتابى هذا فأحمل الخراج. فأنما هو فى المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورن والسلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم: لعمر بن الخطاب من

عمرو بن العاص. سلام الله عليك فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو. وأما بعد. فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج، ويزعم أنى أحيد عن الحق وأنكب عن الطريق وإنى والله ما أرغب عن صالح ما تعلم، ولكن أهل الارض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من أن تخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غناء بهم عنه والسلام.

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص أن أبعث إلى رجلاً من أهل مصر. فبعث إليه رجلاً من القبط. فاستخبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن مصر وخراجها قبل الاسلام. فقال: يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منا شيئ إلا بعد عمارتها، وعاملك لا ينظر إلى ذلك. بل يأخذ ما ظهر له. كأنه لا يريدها إلا لعام واحد فعرف عمر رضى الله عنه ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتذر به.

هذا وكان خبر أراضى مصر بعد نزول العرب فى أريافها واستيطانهم فيها واتخاذهم الزرع معاشاً وكسباً أن متولى خراج مصر كان يجلس فى الوقت الذى تتهيأ فيه قبالة الأراضى، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات، وكتاب الخراج بين يدى متولى الخراج يكتبون ما ينهى إليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس، وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين، فإذا انقضى هذا الأمر خرج من تقبل أرضاً وضمنها إلى ناحيته وزرعها، وأصلح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله، ويحمل ما عليه من الخراج فى أبانه على أقساط، ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه بتلك الأراضى ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة فى ديوان الخراج، ويتأخر من مبلغ الخراج فى كل سنة فى جهات الضمان والمتقبلين، ويقال لما تأخر من مال الخراج البواقى، وكانت الولاة تشدد فى طلب ذلك مرة وتسامح به مرة. فإذا قضى من البواقى وكانت الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة، وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلاً جديداً. فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد، ونقص فيما يحتاج إلى التنقيص منها، ولم يزل عملهم جارياً على هذا المجرى، ولما رأى محمد بن فاتك البطائحى اختلال أحوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضورهم

من كون إقطاعاتهم قد خسرت نفقاتها وساءت أحوالهم لقلة المحصول منها، وأن إقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت مطالب الأفضل ابن أمير الجيوش فى أن يحل الإقطاعات جميعها، وعرفه أن المصلحة فى ذلك تعود على المقطعين والديوان، فأجابه إلى ذلك، وحل جميع الإقطاعات وراكها، وأخذ كل من الأقوياء والمتجبرين يتضررون ويذكرون أن لهم بساتين وأملاكاً فى نواحيهم. فقال: من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل فى هذا الإقطاع إن شاء أجره. فلما حلت الإقطاعات أمر الضعفاء أن يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة فى إقطاعات الأقوياء إلى أن انتهت إلى مبلغ معلوم، وكتبت السجلات، وصار بقاؤها فى أيديهم إلى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد، واحضروا الأقوياء وقال لهم: ما تكرهون من الاقطاعات التى كانت بيد الأجناد؟ قالوا: كثرة تغيرها، وقلة متحصلها وخرابها، وقلة الساكن. فقال لهم: أبذلوا فى كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه، ولا تنظروا فى العبرة الأولى. فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها إلى أن بلغت إلى الحد الذى يرغب كل منهم فيه فأقطعوا فيه، وكتب لهم السجلات. فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم، ولما انتهى إلى المأمون ما يعتمد فى الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها إلى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب أنكر ذلك ومنع ارتكابه ونهى عن الولوج فى بابه، وخرج أمره بإعفاء الكلفة وتضمن ذلك منشور قرىء فى الجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وفى ديوان المجلس والخاص.

ومما لا غنى للأراضى عنه الجسور وهى على قسمين. سلطانية وبلدية. فالجسور. السلطانية هى العامة النفع، وأما الجسور البلدية فإنها عمارة مما يخص نفعها ناحية، دون ناحية ويتولى إقامتها المقطعون والفلاحون من أهل الناحية.

قال أبو بكر بن وحشية فى كتاب الفلاحة: وذكر أن فى مصر إذا زرعوا يخرج من المد ثلثمائة مد، والعلة فى ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل، وكان يزرع الشعير فى أثر القمح وغيره فى الأرض التى غرقت وهى رطبة، وتتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام، وكذلك حصاده فإنه يحصد قبل

القمح ويحتاج الفدان من الذرة إلى ثلاث وقيات ويتحصل من فدانه ما بين عشرين أردباً، ويزرع العدس والحمص، والجلبان لا يزع إلا فى أرق الأراضى حرثاً من الأراضى العالية، ويبذر فى كل فدان من الحمص أردب إلى ثمان وقيات، ومن الجلبان من أردب إلى أربع وقيات، ومن العدس من وقيتين إلى ما دونهما، والكتان إذا زرع يحتاج إلى أن يسبخ بتراب سباخ، وهو إذا طال وقد يقع قضباناً وينشر فى موضعه حتى يجف. فإذا جف صقل وعزل جوزه. فيخرج منه الكتان ويستخرج منه الزيت الحار، ويحتاج الفدان أن يبذر فيه من البذر ما بين أردب وثلث إلى ما دون ذلك، ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة إلى ما دون ذلك، وأجود ما يكون الكتان إذا زرع فى البرلس الجنوبية، وهذه من الأصناف الشتوية، وأما الأصناف الصيفية فاللوبياء والبطيخ والقطن وقصب السكر، ويحتاج القصب إلى أرض جيدة قد شملها الرى وعلاها الماء وقلع ما بها من غلة الحلفاء، ونظفت ثم برشت بالمقلقلات، وهى محاريث كبار لها ستة وجوه وتجرف حتى تمهد ثم تبرش ستة وجوه أخرى وتجرف، ومعنى البرش الحرث. فإذا أصلحت الأرض وطابت ونعمت وصارت تراباً ناعماً وتساوت بالتجريف شقت بالمقلقلات ويرمى فيها القصب قطعتين. قطعة خشناء وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضاً، وتفرز لها جداول يصل الماء منها إلى الأحواض، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أنابيب كوامل وبعض انبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها، ويختار ما قصرت أنابيبه وكثرت كعوبه من القصب فإذا اكمل نصاب القصب أعيد التراب عليه. ولا بد فى النصبان تكون القطعة ملقاة لا قائمة، ثم يسقى من حين نصبه فى أول صيف الربيع لكل سبعة أيام مرة. فإذا أنبت القصب وصار أوراقاً ظاهرة نبتت معه الحلفاء والمقلدة الحلفاء قصد ذلك تفرق أرضه، ومعنى الفراق أن تنكش ارض القصب وتنظف مما نبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء، ويدخل حتى يعلو على أرض القصب نحو شبر، ثم يقطع عنه الماء ويترك الماء فوق الأرض قدر ساعتين أو ثلاث ثم يصرف من جانب أخر حتى ينضب كله، ويجدد عليه ماء أخر كذلك. فيتعاهد ما ذكرناه مراراً فى أيام

متفرقة بقدر معلوم ثم يفطم بعد ذلك. فإذا عمل ما قلنا وفى القصب حقه وإن نقص عن ذلك شئ حصل فيه الخلل، ولا بد للقصب من القطران قبل أن يحلو ولابد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وغرقه كم تقد فينبت قصباً يقال له الخلفة، ويسمى الأول الرأس، وقنود الخلفة أجود من قنود الرأس غالباً، ويحصل من الفدان ما بين أربعين أبلوجة قند إلى ثمانين أبلوجة والأبلوجة تسمى قنطارا فما حوله.

وسبب اتضاع خراج مصر بعد أن كان بحيث لا يحصى أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى كلف عمارة الأرض. فإنها تحتاج إلى أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلها إلى ثلثه. هذا ما كان فى عصر المقريزى.

أقول: وأما مصر فى هذا العصر فإنها على ما شاهدتها وتتبعت ما فيها. أما من حيث العلم ففيها العلماء الأعلام من ذوى التقرير والتحرير، وأما من حيث طلبة العلم فقد بلغوا مراتب الألوف، ولهم المصنفات العديدة فى كل فن، وحق لها أن تسمى اليوم بدار العلم كالنجف قرب بغداد، وأما من حيث التجارة فذلك غنى عن البيان على ما يشهد به جمرك الإسكندرية وتوارد التجار إليها من الدول الأجنبية، وأما من حيث المطابع فهومعلوم من الكتب المطبوعة فيها الواردة إلى جميع البلدان. كتحفة العلامة ابن حجر وحاشية الدار للطنطاوى، وحاشيته لابن عابدين الدمشقى مع فتاواه والخيرية، وغيرها من الكتب الفقيه على مذهب الإمام الأعظم والإمام الشافعى رضى الله عنهما، وكالأغانى وشرح الناموس وشرح مجمع الامثال وإحياء العلوم وتاريخ ابن خلدون وابن خلكان والمقريزى وشرح المواهب المدينة والموطأ المزرقانى والمزهر للحافظ السيوطى وغيرها من كتب الدين والأدب والآلات والتواريخ المعتبرة، وأما من حيث الحراثة والزراعة وحفر الأنهار والخلج وإجراء السفن فهو مما لا يحصى، وإنى لما سافرت إلى حج بيت الله الحرام وزيارة خير الأنام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام من مصر على طريق السويس رأيت العجب من ذلك، وأما من حيث سكك الحديد فمشاهد ومسموع ما ينقل فيها من أموال التجارة والحجاج وسائر الواردين مما يتعجب منه الناظر، ولقد ركبت سكة الحديد من الإسكندرية إلى مصر ومنها إلى السويس فشاهدت خلائق كثيرة وأموالا عظيمة

وتعجبت من ذلك غاية العجب.

هذا وأنت إذا دخلت مصر واسكندرية ونواحيها لا تجد أحداً بلا عمل إلا بعض الغربا. فهى مشحونة بالاعمال والحرثة والصنائع والمطابع والعساكر والمصارف والعلم والعلماء والطلبة والكتاب والتجار والمهندسين والحساب وأهل الكسب من كل صنف. زادها الله تعالى عمارة لنفع الدين والدولة إذا تقرر هذا فليعلم الناس أنه يجب عليهم خدمة الدين والدولة والصدق وببذل الجهد والسعى والإعانة بالأنفس والأموال، ولاتكون همتهم البطالة فإن بذلك تكون قوة الدولة الموجبة لقوة الدين.

روى المقريزى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه أناس من أهل الشام فقالوا: أصبنا دواباً وأموالاً فخذ منها صدقة تطهرنا بها. فقال كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى، وشاور فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: لا بأس به إن لم يأخذه من بعدك. فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك عن الفرس وعن الهجين وعن البرذون والبغل خمسة.

أقول: الظاهر من أخذ عمر رضى الله عنه إلى قول على رضى الله عنه إن لم يأخذه من بعدك وأداه اجتهاده إلى الأخذ لمصلحة بيت المال، ومع ذلك فلو كان على بن أبى طالب رضى الله عنه فى عصرنا هذا ورأى مضايقة المال وسعة العساكر والمصارف اللازمة مع قوة سائر الدول المخالفة للإسلام لحكم بالأخذ لسعة خزائن بيت المال حفاظاً لبيضة الإسلام. كما لا يخفى على من دقق النظر وأنصف، وأول من وضع على الحوانيت الخراج فى الإسلام أمير المؤمنين أبوعبد الله محمد بن أبى جعفر المنصور فى سنة سبع وستين ومائة، وولى ذلك سيد الجرسى، وأول من أحدث مالا سوى مال الخراج بمصر أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر سنة خمسين ومائتين. فإنه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب. فابتدع فى مصر بدعاً استمرت من بعده وقرر على الكلأ الذى ترعاه البهائم ما سماه المراعى، وقرر على ما يخرج من البحر وسماه المصائد إلى غير ذلك، ولما ولى امير المؤمنين أبو العباس أحمد بن طولون عمارة مصر وأضاف إليه أمير المؤمين المعتمد على الله

الخراج والغفور الشامية تنزه عن أدناس المعاون وكتب بإسقاطها إلى جميع الأعمال، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار فى كل سنة، ثم أعيدت المعاون فى ابتناء الدولة الفاظمية عندما ضعفوا ولما استبد السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بملك مصر أمر بإسقاطها وتسمى مكوس مصر. فكتب له القاضى الفاضل مرسوماً وأصل ذلك فى الإسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منها العشر. فكتب إلى ابى موسى الأشعرى وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتى درهم خمسة دراهم، وخذ من كل تاجر من تجار العهد - يعنى أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهماً، ومن تجار الحرب كل عشرة دراهم درهما، فأحدث الولاة بعد ذلك أموالا شيئا بعد شئ وسموها الأموال الهلالية.

وأما الأموال الخراجية فما يؤخذ من الأراضى التى تزرع نخلاً وعنباً وفاكهة وحبوباً ويؤخذ من الفلاحين مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره على طريق الهدية، وكان مكس البهار ثلاثة وثلاثون ألفا وثلاثمائة وأربعة وستون ديناراً، ومكس البضائع والقوافل تسعة آلاف وثلاثمائة وخمسون ديناراً، والنحاس والمرجان خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون ديناراً، ورسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير، ورسوم الخشب الطويل والملح ستمائة وستة وسبعون ديناراً، ورسوم فندق القطن ألف دينار وسوق الغنم وعبور الأغنام والكتان والأبقار بباب القنطرة ألف ومائة دينار وما ورد من الكتان الحطب إلى الصناعة مائتا دينار، ورسوم الغلات كالحبوب وغيرها ستة آلاف دينار، ومكس الأغنام مائة وتسعون ديناراً، وما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون ديناراً، ومكس الورق المجلوب إلى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار، والحصة بساحل الغلة والأقوات سبعمائة وثمانية وستون ديناراً، ودار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار، ودار الجبن ألف دينار، ورسم الحلى الوارد من الوجه البحرى والقطن ألف وعشرون ديناراً، ورسم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة وثلاثون ديناراً، والحلفاء الواردة فى البرد ثمانمائة دينار، ورسم الفحم الوارد إلى

القاهرة عشرة دنانير، ورسوم الدلالة ثلاثمائة دينار، ودكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة دينار، وبيوت الغزل والمصطبة ثلاثمائة وخمسون ديناراً، وذبائح الأبقار ألف دينار، وسوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتا دينار، ومربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون ديناراً، ومعادن جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار، وخاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون ديناراً، وضريبة الذبيحة سبعمائة دينار وحمولة السلجم ثلاثمائة وثلاثون دينار، ودكة الدباغ ثمانمائة دينار، وسوق الدقيق خمسمائة دينار، ومعمل الطير مائتان وأربعون دينار، وتنور الشوى مائة دينار، ومطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون ديناراً، وسوق الدواب بمصر والقاهرة أربعمائة دينار، وسوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً، وقبان الحناء ثلاثون دينارا، ومنغلت الخام بالشاشين ثلاثة وثلاثون ديناراً، وأنولة القصار أربعون ديناراً، وطاقات الأدم ستة وثلاثون ديناراً، وبيوت الفروخ ثلاثون ديناراً، والشعر أربعة دنانير، ورسوم الصبغ والحرير ثلاثمائة وأربعة وثلاثون ديناراً، ووزن الطفل مائة وأربعون دينارا، ومعمل البزر أربعة وثمانون دينارا، والفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون ديناراً.

وذكر ابن أبى على أن الذى أسقطه السلطان صلاح الدين وسامح به مبلغاً عن نيف ألف ألف دينار، وألفى ألف دينار أدرب. سامح بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه عن العاملين. رغبة فى مساعدة الرعايا وتعمير البلاد بالحرث والتجارة والصنائع وغير ذلك مما يوجب النفع مع راحة العباد، وسلك هذا المسلك الحسن بعض ملوك الفاطمية بمصر، ويدل عليه المنشور الذى كتبه قاضى القضاة الملك أبو الحجاج يوسف بن أبى أيوب المغربى، وهو قد علم الكافة ما عراه من إفاضة سحب العدل عليهم والاحسان، والنظر فى مصالح كل قاص ودان وإنا لا ندع ضرراً يتوجه إلى أحد من الرعية الا حسبناه، ولا نعلم صلاحاً يعود نفعاً إلى أحد ال قوينا سببه ووصلناه حسبما يتعين على رعاة الأمم وعملا بالواجب وسلوكاً لمحجة الدولة الفاطمية، واستمراراً على قضاياها وسجاياها الكريمة، وكما نرى النظر فى مصالح الرعايا أمراً واجباً ونصرف إلى سياستهم عزماً ماضياً ورأياً ثاقباً.

كذلك نرى النظر فى أمور الدواوين واستيفاء حقوقها المسروقة إلى حماية البيضة والمحاماة عن الدين والجهاد. ليكون ما نراعيه وننظر فيه جارياً على سنن الواجب. محروساً عن الخلل بإذن الله تعالى من جميع الجوانب، ومن الله نستمد مواد التوفيق فى الحل والعقد، ونسأله الإرشاد الى سواء السبيل والقصد، وما توفيقنا إلا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا نعم الوكيل» وكان القاضى الرشيد ابن الزبير أيام مشارفته الصعيد الأعلى قد طالع المجلس الأفضلى بحال أرباب الأملاك هناك، وأنهم قد استضافوا إلى أماكنهم من أملاك الدواوين أراضى اغتنموها، ومواضع مجاورة لأملاكهم تعدوا عليها وخلطوها وحازوها، ورسم له كشفها وقسم المشاريع بها وارتجعها إلى الديوان يعتمد فى ذلك ما يوجبه حكم العدل المثبت فى كل قطر ومكان، ويؤخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقتة وإنهائه على طيته، فاعتمدوا ما أمروا به من الكشف فى هذه الأملاك، ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن بيده ملك أو ساقية ما يشهد بصحة ما ملكه ومبلغ فدنه وذكر حدود. فلم يحضر أحد منهم كتاباً، ولا أوضح جواباً، وأصدروا إلى الديوان المشاريع بما كشفوه وأوضحوه وجدوا التعدى فيه ظاهراً، والشرع يوجب وضع اليد على من هذه حاله ومطالبة صاحبه بربحه واستغلاله لا سيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأساً، ولا يستند فى ذلك إلى حجة ادخرها، ولكن نحكم بما نراه من المصلحة المرعية والعدل، والذى أقمنا مناره وأحيينا معالمه وآثاره مع الرعية فى تعمير البلاد ومصالح أحوالها واستنباط الأرضين الدائرة، وإنشاء العروش، وإقامة السواقى أمرنا بكتابة هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الأعلى بإقرار جميع الاملاك والارضين والسواقى بأيدى أربابها الآن من غير انتزاع شيئ منها ولا ارتجاعه، وأن يقرر عليها من الخراج ما يجب تقريره، ويشهد الديوان على أمثالهم بمثله إحساناً إليهم لم يزل نتابع مثله ونواليه، وانعاماً ما برحنا نعيده عليهم ونبديه، وقد أنعمنا وتجاوزنا عما سلف ونهينا من يستأنف، وسامحنا من خرج عن التعدى إلى المألوف، وجرينا على سنننا فى العفو والمعروف وجعلناها توبة مقبولة من الجماعة الجانين ومن عاد من الكافة أجمعين فلينتقم الله تعالى منه، وطولب بمستأنفه رأسه وبرئت الذمة من ماله

ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة، وسدت فى وجهه أبواب الشفاعة والسلامة، وقد فسحنا مع ذلك لكل من يرغب فى عمارة ارض حلفاء دائرة، وإدارة بئر معطلة مهجورة فى أن يسلم إليه ذلك، ويقاس عليه، ولا يؤخذ منه خراج إلا فى السنة الرابعة من تسليمه إياه وأن يكون المفرز على كل فدان ما توجيه زراعته لمثله خراجاً مؤيداً وامراً مؤكداً فليعتمد ذلك النواب وحكام البلاد، ومن جرت العادة بحضوره عند المجلس، وإحضار جميع أرباب الملاك والسواقى وإشعارهم ماشملهم من هذا الإحسان الذى تجاوز أمالهم فى إجابتهم إلى ما كانوا يسألون فيه، وتقرير ما يجب على الأملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذى مثلناه، ويجيز الديوان تقريره ويرضاه. مع تضمين الأراضى الدائرة والآبار المعطلة لمن يرغب فى ضمانها ونظم المشاريع بذلك وإصدراها إلى الديوان ليخلد فيه على حكم أمثالها بعد ثبوت هذا المنشور.

ولما سرت هذه المصالح إلى جميع أهل هذه الأعمال حصل الاجتهاد فى تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد، وقد كان للنظر فى المظالم ديوان أفراد للمتظالمين بالتناصف مع الرعية وزجر المتنازعين على التجاحد بالهيبة، وكان من شرط الناظر فى المظالم أن يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع. لانه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحماة وتثبيت القضاة فيحتاج إلى الجمع بين صفتى الفريقين وأن يكون بجلالة القدر، وهى خطة جعلت لفساد الناس وهى كل حكم يعجز عنه القاضى. فينظر فيه من أقوى منه يدا، وأول من نظر فى المظالم من الخلفاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، وأول من افرد للظلامات يوماً يتصفح فيه قصص المظلومين من غير مباشرة النظر عبد الملك بن مراوان. فكان إذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها إلى حكم ينفذ رده الى قاضيه ابن إدريس هو المباشر وعبد الملك الأمير، وعمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم وردها ثم جلس لها خلفاء بنى العباس، وأول من جلس منهم المهدى محمد ثم الهادى موسى، ثم الرشيد هارون، ثم المامون وأخر من جلس منهم المهتدى بالله محمد بن الواثق، وأول من أعلم انه جلس بمصر من الأمراء للنظر فى المظالم الأمير أبو العباس

أحمد إبن طولون.

ولما قدم المعز لدين الله إلى مصر، وصارت دار خلافة استقر النظر فى المظالم مدة يضاف إلى قاضى القضاة، وتارة ينفرد بالنظر فيه أحد عظماء الدولة، ولما ضعف جانب المستنصر بالله أبى نعيم معد بن الظاهر، وكانت الشدة العظمى بمصر قدم أمير الجيوش إلى بدر الجمالى الفاخرة، وولى الوزارة فصار أمر الدولة كله راجعاً إليه، واقتدى به من بعده من الوزراء، وكان الرسم فى ذلك أن الوزير يجلس للمظالم بنفسه، ويجلس قبالته قاضى القضاة، وبجانبه شاهدان معتبران، ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المال، ويوقف بين يدى الوزير صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهم الحجاب والنواب على طبقاتهم، ويكون هذا الجلوس يومين فى الأسبوع، وآخر من تقلد المظالم فى الدولة الفاطمية رزيك بن الوزير الأجل الملك الصالح طلائع بن رزيك فى وزارة أبيه، وكتب له سجل عن الخليفة، وكان السلطان يجلس فى ديوان دار العدل بكرة الإثنين والخميس طوال السنة إلا شهر رمضان للنظر فى المظالم، وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك غالباً. فإذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسى إذا قعد عليه يكاد تلحق الأرض رجله وهو منصوب إلى جانب المنبر الذى هو تحت الملك وسرير السلطنة، وكانت العادة أولاً أن يجلس قاضى القضاة من المذاهب الأربعة رضى الله عنهم عن يمينه اكبرهم الشافعى، وهو الذى يلى السلطان، ثم إلى جانب الشافعى الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى، والى جانب الحنبلى وكيل بيت المال ثم الناظر فى الحسبة بالقاهرة، ويجلس على يسار السلطان كاتب السر، وقدامه ناظر الجيوش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعى الدست تكملة حلقة دائرة. فإن كان الوزير من أرباب الأقلام كان بين السلطان وكاتب السر وان كان الوزير من ارباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية أرباب الوظائف، ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلحدارية والجمدارية والخاصكية، ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعاً عن يمينه ويسرته ذوو السن والقدر من أكابر الأمراء وأرباب الوظائف وهم وقوف، وبقية الأمراء وقوف من وراء أمراء الشورى، ويقف خلف هذه

الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لإعطاء قصص الناس وإحضار الرسل وغيرهم من الشكاة وأصحاب الحوائج والضروروات. فيقرأ كاتب السر وموقعو الدست القصص على السلطان فإن احتاج إلى مراجعة القضاء يراجعهم فيما يتعلق بالأمور الشرعية والقضايا الدينية، وما كان متعلقاً بالعسكر فإن كان القصص أمراء الإقطاعات قرأها ناظر الجيش، وإن احتاج إلى مراجعة فى أمر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه، وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه.

وكانت العادة الناصرية أن تكون الخدمة فى هذا الديوان على ما تقدم ذكره فى بكرة الإثنين. وأما بكرة يوم الخميس فإن الخدمة على مثل ذلك، إلا أنه لا يتعدى السلطان فيه لسماع القصص، ولا يحضره أحد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب الجيش إلا إن عرضت حاجة إلى طلب أحد منهم، وقد تغير بعد الأيام الناصرية هذا الترتيب فصارت قضاة القضاء تجلس عن يمنة السلطان ويسرته. فيجلس الشافعى عن يمنيه ويليه المالكى ويليه قاضى العسكر ثم محتسب القاهرة ثم مفتى دار العدل الشافعى ويجلس الحنفى عن يسار السلطان ويليه الحنبلى، ويقبل الأمراء الأرض بين يديه دون القضاة.

ثم اعلم أن الملوك فى زماننا، بل وفى الأزمنة السابقة بعد الدولة العباسية يرون الأحكام على قسمين: حكم الشرع وحكم السياسة. فالشريعة هى ما شرع الله من الدين وأمر به كالصلاة والصيام والحج وسائر أعمال البر والأوامر والنواهى وأحكام المعاملات والأنكحة والحلال والحرام وسائر أحكام الشرع المبسوطة تفاصيلها فى كتب الفقه المدونة على المذاهب الاربعة رضى الله عنهم، والسياسة نوعان: سياسة عادلة توجب عمارة البلاد وراحة العباد فهى أيضاً شرعية اعتبرها الخلفاء الراشدون رضى الله تعالى عنهم، وألف فيها العلماء الأعلالم، كالقاضى أبى الحسن البارودى وغيره كتباً متعددة، وسياسة ظالمة توجب خراب البلاد وعدم راحة العباد. بل تؤدى إلى انقراض الدولة على ماعلم ذلك بحسب التجربة، كما لا يخفى على من نظر إلى كتب تواريخ الدول، وتفصيل هذا البحث فى تاريخ المقريزى.

هذا والسياسة العادلة من أعظم أسباب العمارة الموجبة لقوة الدولة الباعثة لقوة الدين. وللحكماء أنظار لطيفة فى ترتيب أسباب السياسة، وإن لم يكونوا على دين من أديان أهل الكتب إلا أنهم لقوة نظرهم وكمال عقولهم استنبطوا أمورا عجيبة وعلوماً غريبة، ومع ذلك فقد نزهوا واجب الوجود عن كل نقص مع عدم اتباعهم النواميس السماوية. فكأنهم صاروا كالعقول المجردة، وقد حصل لهم كمال الإدراك، وبكمال الإدراك يكون حسن التدبير فى ملك البدن وفى تدبير السياسة لأن مراتب الإدراك متفاوتة على أربعة: الاول الحسن فإنه يجرد نوعا من التجريد اذ لا تخيل الصورة فى الحس. بل مثالها، فلو غاب عنه أو حدث حجاب لم يكن مدركاً، والثانى إدراك الخيال، وتجريده أتم قليلاً وأبلغ تحصيلاً. لا لأنه لا يحتاج إلى المشاهدة. بل يدرك مع الغيبوبة. لكن مع اللواحق الجسمانية، والثالث إدراك العزم وتجريده أتم وأكمل مما سبق. لأنه يدرك المعنى المجرد من اللواحق وحواشى الأجسام كالمحبة والعداوة: إلا أنه لا يدرك محبة كلية. يدرك الجزئية بأن يدرك أن هذا الرجل محب، وهذا عدو، والرابع إدراك العقل. وذلك هو التجريد الكامل عن كل غاشية وعن جميع لواحق الأجسام. بل جناب إدراكه منزه عن أن يحوم بين لاحق من لواحق الأجسام كالأين والكم والكيف وغيرها من الأغراض الجسمية، ويدرك معنى كلياً لا يختلف بالأشخاص. وجدت الأشخاص قريبة أو بعيدة أم عدمت. فإنه ينفذ فى أجزاء الملك والملكوت وينتزع الحقائق منها ويجردها عما ليس منها إن كان المدرك محتاجاً إلى التجريد. فإن كان مجرداً فى نفسه أدرك كما هو اكتفى عن مؤونة التجريد والحكماء قد حازوا من العقل ما ترك من آثاره العجب العجاب، ولما أشرت إلى بيان إدراك العقل ناسب بيان مراتبه. فأقول إن للعقل مراتب بعضها يخدم بعض. فإنك تجد العقل المستقل وبيناً مطلقاً يقدمه الكل، وهو الغاية القصوى، ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة، ثم العقل العملى يخدم الجميع. لأن العلاقة البدنية إنما هى لأجل تكميل العقل النظرى. فالعقل العملى مدير تلك العلاقة، ثم العقل العملى يخدمه والوهم تخدمه قوتان. قوة بعده وقوة قبله. فالقوة التى بعده هى القوة التى تحفظ ما أداه الوهم، والقوة التى قبله هى القوة الحيوانية، ثم التخلية تخدمها قوتان: فالقوة

النزوعية تخدمها بالائتمار. لانها تبعثها على التحريك، والقوة الخيالية يخدمها الحس، والقوة النزوعية تخدمها الشهوة، والغضب تخدمه القوة المحركة فى العضل، والقوة الحيوانية تخدمها فى الجملة القوة النباتية، وأولها المولدة، ثم المرئية تخدم المولدة، ثم الخافية تخدمها، ثم القوى الطبيعية الأربع تخدم العازمة. ويقال للقوى الطبيعية الهاضمة وتخدمها الماسكة من جهة والجاذبة من جهة أخرى، وتخدمها الدافعة، وتخدم جميعها الكيفيات الأربع. لكن الحرارة تخدمها البرودة، وتخدم كليهما الرطوبة واليبوسة وهناك آخر درجات القوى.

قال بطليموس الحكيم صاحب الطلسمات والغرائب والسرار والعجائب: إن أول ما دل بكلمة الله تعالى المطاعة العقل، ودل العقل على الحركة، والحركة دلت على الحرارة. فكانت الحرارة أول الجواهر الأربعة، ولما انقضت الحركة جاء السكون عند فنائها، ودل السكون على البرد. ولما كانت الحركة فى نشأتها على هيئة التدوير انعطف ما على ما سفل فحل الحار البارد بانحلال الرطوبة منه فكملت الجواهر الأربعة. ثم إن الحركة أخذت صعوداً للحرارة التى حدثت بها من كثرة اضطرابها. فصعدت بقدر قوتها مقدار ستين ألف سنة ومائتين وخمسين سنة. فكان ما صعد مما بقى حتى صعد اللطيف كله، وما بقى ما برد وغلظ فاستقل مقدار سبعمائة وخمسين سنة، وكان ذلك فى مقدار ثمانية وأربعين ساعة، وقد علت الحركة وتباسطت واسندت وتقطعت فكانت كلما علا منها شئ كان أشد حرارة مما سفل منه. فكانت تلك القطع والفصول اثنتى عشرة قطعة واثنى عشر فصلاً. ثم إن الجزء الأسفل الساكن اشتهى الحركة واللحوق بالجزء الأعلى لأنه خرج منه وهو إليه أحوج فلما دام الحر مطلاً مغطياً لذلك الجزء الأسفل سخن ما يليه منه فتحرك فأخذ بالصعود ولم يقدر لثقله بما صعد قبله، فلذلك علمنا أن علة الحركة الحرارة، وعلة السكون البرودة، وعلة الصعود الخفة، وعلة المكث وعدم الصعود الثقل، وعلة الخفة البساطة، وعلة الثقل التركيب، والعلة فى كون مقدار صعودها ستين ألف سنة ومائتين وخمسين سنة إنما هى لقوة الحر فى سوسها الذى له قوة الصعود، والعلة فى استقلالها الذى بقى مقدار سبعمائة وخمسين سنة إنما هى لضعف القوة

المحركة له تسخينه وتلطيفه وتخفيفه، وأما علة كينونة هذا البناء العظيم فى مقدار ثمان وأربعين ساعة وهو مقدار قليل فهى اللطافة. فلذلك أسرع انفصاله إلى القطع أثنتى عشرة قطعة لأن الحرارة ليست فيها على سواءً، بل هى اثنتا عشرة طبقة. فكلما كان منها أخف كان أسرع صعوداً، ثم يتبعه الذى يليه جزءا جزءا، وكذلك الحرارة التى فى هذا العالم ليست صنفاً واحداً وإن كانت هى لا تدرك ذلك، وإنما قويت عقولهم على إدراك ما اتصل بهم فى خلقتهم، ولما لم تكن الحرارة صنفاً واحداً فى هذا لعالم اختلف الخلق فصارت تلك الاثنتى عشرة علة لعدد البروج الاثنى عشر التى فى الفلك، ثم إنه لما علا انفصل فصلين آخرين، ثم انفصل كل منهما على سبعة فكان على أربعة عشر فصلاً، فذلك علة السموات السبع والأرضين السبع فخلق الزمان من الصعود، وجعل عمر العالم سبعين ألف سنة حتى ينفد فلا يبقى عالم ولا زمان.. انتهى ما ذكره بطليموس.

أقول بعد الحمد الله الذى تفجرت ينابيع حكمه البالغة من الكاملين من عباده، وتاهت عقول ذوى الأنظار فى بيداء معرفة مصنوعاته: لما جرى بحث الحكمة اقتضى تعيينها وبيان اقسامها تكميلاً للفائدة. فالحكمة علم يبحث فيه عن أحوال أعيان الموجودات على ما هى عليه فى الأمر بحسب الطاقة البشرية، وعرفها الشيخ الرئيس ابن سينا بأنها صناعة يستفيد منها الإنسان ما عليه الوجود كله فى نفسه، وما عليه الواجب مما يجب ان يكتسب لتشرف نفسه وتستكمل بتصور الأمور، والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية بحسب الطاقة البشرية. ثم إن الحكمة تنقسم إلى نظرية وعملية. فالنظرية ما يترتب عليها حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا تعلق لوجودها بفعل الانسان، والغرض منها حصول الرأى. وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام: العلم الأسفل وهو العلم الطبيعى، والعلم الأوسط وهو العلم الربانى، والعلم الأعلى وهو العلم الإلهى. لأن الأمور التى يبحث عنها فى الحكمة النظرية. اما أن تكون حدودها ووجودها ومتعلقاتها بالمادة الجسمانية والحركة كأجرام الأفلاك والعناصر وما يتكون منها وما يحدث من أحوالها المختصة بها كالحركة والسكون والتغير والكون والفسادوالملى والنشوء والقوى والكيفيات وما

يشبهها من الأحوال. فهو العلم الطبيعى. وإما أن يكون وجودها متعلقاً بالمادة والحركة من دون حدودها كالتربيع والتدوير والكروية والمخروطية والعدد وخواصة، فإنك تفهم الكرة مثلاً من غير أن تحتاج إلى فهم أنها من خشب او غيره، ولا تفهم الإنسان إلا وأنت محتاج إلى أن تفهم أن صورته من لحم وعظم، وكذلك تفهم التقعير ولا تحتاج فى فهمه إلى فهم ماهية الشئ الذى فيه التقعير، ومع هذا فالتدوير وما شاكله مما سبق لا يوجد إلا فى الأجرام المتحركة، فهى العلم الرياضى، وإما أن يكون وجودها وحدودها غير مفتقرين إلى المادة والحركة كذات الله تعالى وصفاته، وما كان على هذا المنوال من المعانى فهو العلم الإلهى، ولما كانت الموجودات منحصرة فى هذه الأقسام الثلاثة كانت الحكمة النظرية منحصرة فى الأقسام الثلاثة.

والحكمة العملية ايضاً تنقسم إلى ثلاثة اقسام لأن تدبير الإنسان إما أن يكون بشخص واحد أو لا، والثانى هو الذى يتم بالشركة إما بحسب الاجتماع منزلى أو مدنى، فكانت العلوم العملية ثلاثة. الاول منها وهو الخاص بالشخص الواحد ما يعرف به أن الإنسان كيف ينبغى أن تكون أخلاقه وأفعاله بحيث تكون حياته الأولى والآخرة سعيدة، والمتكفل لبيان هذا القسم كتاب أرسطاطاليس فى علم الأخلاق والثانى ما يعرف فيه أن الإنسان كيف ينبغى أن يكون تدبيره للمنزل المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه حتى تكون حاله منتظمة، ويشتمل على هذا القسم كتاب أروس فى تدبير المنزل، والثالث ما يعرف به أصناف السياسات والرياسات والاجتماعيات المدنية الفاضلة والردية، ويعرف به وجاء استيفاء كل واحد منها وعلة زواله وجهة انتقاله، وما كان يتعلق من ذلك بالنبوة والشريعة فتشتمل عليه كتب النواميس السماوية التى بها السعادة الأبدية. لأنها على مقتضى الأمر الإلهى الذى هو مقتضى الحكمة بحسب نفس الأمر، وأما علم ما سوى الله تعالى من أصناف البشر فإنه هوس وظنون وأوهام وخبط عشواء إلا ما تلقيناه من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والله الموفق.

والحكمة الطبيعية تنقسم إلى قسمين: الأول ما يقوم مقام الأصل والثانى ما يقوم مقام الفرع. فأما ما يقوم مقام الأصل فثمانية اقسام. القسم الأول ما تعرف به

الأمور العامة لجميع الطبيعيات، ويشتمل عليه كتاب الكيان، والقسم الثانى ما يعرف به أحوال الأجسام التى هى أركان العالم، وهى العناصر وطبائعها وحركاتها وموضعها، ويشتمل عليه كتاب السماء والعالم، والقسم الثالث ما يعرف حال الكون والفساد والتوليد والنشوء والبلى والاستحالة، ويبين فيه عدد الأجسام القابلة لهذه الأحوال التى تعرض العناصر قبل الامتزاج لما يعرض لها من أنواع الحركات والتخلخل والتكاثف بتأثير السموات وما يبحث فيه عن العلامات والشهب والغيوم والأمطار والهالة وقوس قزح والصواعق والرياح والزلازل والبحار والجبال، ويشتمل على هذا القسم كتاب الآثار العلوية، والقسم الخامس ما يعرف به الكائنات النباتية، ويشتمل عليه كتاب النبات، والقسم السادس ما يعرف به حال الكائنات المعدنية، ويشتمل عليه كتاب المعادن، والقسم السابع ما يعرف به حال الكائنات الحيوانية، ويشتمل عليه كتاب طبائع الحيوان، والقسم الثامن ما يعرف به النفس والقوى الدراكة التى فى الحيوانات، ولا سيما قوى الإنسان وعدم موت قوة النفس بموت الإنسان وإنها جوهر روحانى، والمتكفل لبيان هذا القسم بلا مزيد عليه كتاب النفس والحس والمحسوس، وأما ما يقوم مقامه الفرع فسبعة أقسام: القسم الأول الطب، والغرض منه معرفة مبادئ البدن الإنسانى واحواله من الصحة والمرض وأسبابهما ليدفع المرض وتحفظ الصحة، وأحسن كتاب صنف فيه على عهد الحكماء الإسلام قانون الشيخ الرئيس ابن سينا، وهو علم تخمينى، والغرض فيه الاستدلال بقياس بعض الكواكب إلى بعض وبقياسها إلى درج البرج، وبقياس جملة ذلك إلى الأرض على ما يكن من أحوال أدوار العالم والملك والممالك والبلاد والمواليد والتحاويل والاختبارات وغير ذلك من المطالب، والقسم الثالث علم التعمير، والغرض منه الاستدلال بالمتخيلات الحكمة على ما شاهدته النفس من عالم الغيب فضيلته القوة المخيلة بمثال غيره، والقسم الرابع علم الفراسة، والغرض منه الاستدلال من الخلق على الأخلاق، والقسم الخامس على الطلسمات، والغرض منه تمزيج القوى السماوية وقوى بعض الأجرام العلوية ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلاً غريباً فى عالمنا الأوضى، والقسم السادس علم الفيزياء، والغرض منه تمزيج القوى فى جواهر العالم الأرضى لتحدث

عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، والتكفل لأنواع هذا الفن كتاب أبى القاسم، فإنه مشتمل على أبواب كثيرة عجيبة والقسم السابع علم الكمياء، والغرض منه سلب الجواهر المعدنية خواصها وافادتها كذا خواص أخر وإفادة بعضها خواص بعض أخر، والمتكفل بهذا الفن كتاب جابر الحكيم، فإنها بديعة الأسلوب خفية الإشارات والرموز، وقل من وقف على حقيقة هذا العلم، ولذا أنكره بعض الناس، والظاهر أن له حقيقة يخص الله به من يشاء من عباده، والكيمياء العملية من فروع هذ الكيمياء. فهذه جملة أقسام الحكمة الطبيعية الأصلية والفرعية.

وأما اقسام الحكمة الرياضية الأصلية فهى أربعة: علم العدد وعلم الهندسة وعلم الهيئة وعلم الموسيقى. فأما علم العدد فهو الذى يعرف به حال أنواع العدد وخاصة كل نوع فى نفسه، وحال النسب بعضها من بعض، وعلم الهندسة يعرف منه حال أوضاع الخطوط وأشكال السطوح وأشكال المسطحات والنسب إلى المقادير وذوات الأشكال والأوضاع، ويشتمل عليه كتاب إقليدس، وعلم الهيئة ما يعرف به حال اجزاء العالم فى أشكالها وأوضاع بعضها بالنسبة إلى بعض ومقاديرها وأبعاد ما بينها، وحال الحركات التى للأفلاك والكواكب وفرض الدوائر والكرات والاس التى بها تتم الحركات، ويشتمل عليه كتاب المجلس، وهو كتاب عظيم فى هذا الفن، وعلم الموسيقى ما يعرف به حال النغم والعلة فى اتفاقها واختلافها وحال الأبعاد والأجناس والجموع والأنتقالات والإيقاع، وكيفية تألف ومعرفة الملاهى كلها بالبراهين، ولفظ الموسيقى معناه الألحان، وأحسن كتاب وقفت عليه من كتب هذا الفن كتاب المدخل إلى صناعة الموسيقى لأبى نصر محمد بن محمد الطوخانى.

وأما أقسام الحكمة النظرية الفرعية فكثيرة فمن فروعهاعلم العدد وعمل الجمع والتفريق بالهندى وعمل الجبر والمقابلة وغير ذلك، ومن فروع الهندسة عمل المساحة وعمل جسر الأثقال وعلم الأوزان والموازين، وعلم الآلات الجزئية وعلم القناطر والمريا، وعلم نقل المياه، ومن فروع الهيئة الزيج الزايرجات والتقاويم ومن فروع علم الموسيقى اتخاذ الآلات العجيبة المطربة.

والأقسام الأصلية للعلم الإلهى خمسة: الأول النظر فى معرفة المعانى العامة لجميع الموجودات من الهيبة والوحدة والكثرة والوفاق والخلاف والتضاد والقوة والفعل والعلة والمعلول، والثانى النظر فى الأصول والمبادئ مثل علم الطبيعيين والرياضيين وعلم المنطق ومناقشة الآراء الفاسدة فيها، والثالث والنظر فى إثبات الحق الأول وتوحيده والدلالة على تفرده وربوبيته وامتناع مشاركة موجود فى مرتبة وجوده، وأنه وحده واجب الوجود بذاته ووجود ما سواه يجب به، ثم النظر فى صفاته وأنها كيف تكون صفاته وان المفهوم من لفظ كل صفة هو أن الألفاظ المستعملة فى صفاته مثل الواحد والموجود والقديم والعالم والقادر يدل كل واحد منها على معنى، أخر، وأن هذه الصفات له تعالى لا توجب كثرة فى ذاته تعالى ولا تقدح فى وحدانيته. إذ إنه الحقيقة، والرابع النظر فى إثبات الجواهر الأول الروحانية التى هى مبدعاته واقرب مخلوقاته منزلة عنده والدلالة على كثرتها واختلاف مراتبها وطبقاتها، وهذه مرتبة الملكة الكروبيين، ثم فى إثبات الجواهر الروحانية وطبقاتها، وهذه مرتبة الملائكة الموكلة بالسموات وحملة العرش ومدبرات الطبيعة ومقرها ومتعهدات ما يتولد فى عالم الكون والفساد، والخامس فى تسخير الجواهر الجسمانية التى بعضها عالمة وبعضها أمرة عن رب العالمين، والدلالة على ارتباط الأرضيات بالسموات، والسموات بالملائكة العاملة، والعاملة بالملائكة المبلغة وارتباط الكل بالامر الذى ما هو إلا واحد لمح البصر، والكل لا تفاوت فيه ولا فطور ولا فى أجزائه، وأن مجراه الحقيقى على مقتضى الخير المحض، وأن الشر فيه ليس بمحض. بل هو الحكمة والمصلحة، وهو ينبع فى جهة خير.

فهذه اقسام الفلسفة الأولى أعنى الإلهى ويشتمل عليه كتاب ماطاطانوسقا (كذا فى الأصل والأصح ماطافوسقا) فإنه عرف جميع هذا بالبرهان وفروع علم الإلهى منها معرفة كيفية نزول الوحى والجواهر الروحانية التى تؤدى الوحى، وأن الوحى كيف يتأدى حتى يصير مبصرا مسموعاً، وأن الذى يأتيه الوحى تصدر عنه المعجزات المخالفة لمجرى الطبيعة ويخبر بالغيب، وأن الأبرار الاتقياء كيف يكون لهم إلمام وكرامات تشبه المعجزات، وأن الروح الأمين جبريل عليه السلام من طبقات

الجواهر الروحانية، وأن الإنسان لم يخلق سدى يذهب إلى ما يشاء بوهمه. بل لا بد له من التدين بدين صحيح يعرف بدلائله البديهية المسلمة المقدمات لدى من ألقى السمع وهو شهيد، وترك التعصب وموافقة هوى النفس فى تقليد أبيه وجده من غير نظر صحيح دقيق. فإن الأثر يدل على المسير والحق أبلج والله الموفق إلى اتباع دين الإسلام المبنى على توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل نقص وعما لا يليق بمقام الربوبية، وعلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وبكتبهم المنزلة عليهم من اعتقاد العصمة فيهم وتنزيههم عن العيوب مع التكليف بالعبادات الكثيرة ليلاً ونهاراً المشروطة بالطهارة والنظافة، والنهى عن كل منكر. فمن أنصف بعد مطالعة كتب الإسلام القوية الأركان وجد من نفسه حلاوة لدين الإسلام، واستقامة فى مناهجه وعدلا فى أحكامه، والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل والطرق الصحيحة الموافقة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه الأعظم سيدنا (ص) وما عليه الأئمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم من أهل السنة والجماعة المبنية أقوالهم على الكتاب والسنة البرية عن الأكاذيب الظاهرة، لا ماذهب إليه الرافضة من الآثار الشنيعة والهذيانات القبيحة التى ما أنزل الله بها من سلطان، ولم توجد فى شريعة من الشرائع من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد (ص) إنما زورها المنافقون، ومن وقف على كتب هذه الفئة وسائر الخوارج والرافضة، واطلع على مافيها من الهذيان والشنائع المخالفة لقواعد الإسلام، ودقق النظر تيقن أن الحق مع ما عليه أهل السنة والجماعة، ومن يضلل الله فلا هادى له.

(ثم اعلم) أن الرسالة عطية إلهية لا تكتسب بجهد ولاتنال بكسب. فالله أعلم حيث يجعل رسالته، ولكن الكسب فى إمداد النفس لقبول آثار الوحى بالعبادات والمعاملات الخالصة عن الرياء من لوازم الرسالة، وكما أن النوع الإنسانى متميز عن سائر الحيوانات بنفس ناطقة هى فوقها بأفضلية العقلية. كذلك نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تميزت عن عقول الناس بعقل كامل مهدى هو فوق العقول كلها بالفضيلة الربانية. فإن النبى وإن شارك الناس فى البشرية والإنسانية من حيث الصورة فقد يأتيهم من حيث المعنى. إذ بشريته فوق بشرية الناس لاستعداد بشريته

لقبول الوحى، وقد أشار الله تعالى إلى جهة المشابهة من حيث الصورة بقوله «إنما أنا بشر مثلكم» وإلى جهة المباينة من جهة المعنى بقوله «يوحى إلى» فالنبى وإن شارك الناس من حيث أصل الإنسانية والبشرية إلا أن إنسانيته وعقله فوق سائر البشريات والعقول. فإن مراتب العقول متفاوتة، وهى على تفاوتها لم تبلغ فى النوع الإنسانى إلى حد الكمال إلا فى الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. فانهم قد أوتوا الكمال فى حدس القوة النظرية حتى استغنوا عن المعلم البشرى واوتوا للقوة المختلية الاستقامة وهمة، حتى تشاهد العالم النفسانى بما فيه من أحوال العالم فيصير العالم وما يجرى فيه متمثلاً لها، ويكون لقوته النفسانية أن يؤثر فى عالم الطبيعة حتى تنتهى إلى درجة النفوس السماوية، ثم بعدهم الذى له الأمران الأولان وليس الأمر الثالث، ثم الذى له هذا التهيؤ الطبيعى فى القوة النظرية ولا حصة له فى أمر القوة العملية. ثم الذى ليس له فى القوة النظرية لا تهيؤ طبيعى ولا اكتساء تكلفى، ولكن له النهى فى القوة العملية فالرئيس المطلق، والملك الحقيقى الذى يستحق بذاته أن يملك هو الأول الذى إن نسب نفسه إلى عالم العقل وجد كأنه يتصل به دفعته، وإن نسب نفسه إلى عالم النفس وجد كأنه من سكان ذلك العالم، وإن نسب نفسه الى عالم الطبيعة كان فعالاً فيه ما يشاء. والذى يتلوه أيضاً رئيس كبير وبعده فى المرتبة، والباقون هم أشراف النوع الإنسانى وكرامة، وأما الذين ليس لهم استكمال شئ من القوى، إلا أنهم يصلحون الأخلاق ويقتنون الملكات الفاضلة. فهم الأذكياء من النوع الإنسانى ليسوا من ذوى المراتب العالية إلا أنهم مميزون عن سائر أصناف الناس.

هذا وفى إثبات النبوة والرسالة طرق. منها الذى أنشئ من الحركات الاختيارية، وهى أقسام ثلاثة. فكرية وقولية، والحركة الفكرية يدخلها الحق والباطل، والقولية يدخلها الصدق والكذب، والعملية ويدخلها الخير والشر. ولا شك أنها على تضادها واختلافها ليست واجبة التحصيل بجملتها. فإن من أفتى بهذه الفتوى يكون مستحق القتل بفتواه المذكورة. لأن قتله من جملة المحركات، وهو قد أفتى بأن تحصيل كل حركة واجبة – أى واجب الفعل، وليس كلها واجب الترك. لأن من أفتى بهذه الفتوى ينبغى أن لا يتنفس. لأن التنفس حركة، وقد أفتى بوجوب ترك كل حركة. فظهر من

هذا أن بعض الحركات واجب الفعل وبعضها واجب الترك، فإذا ثبت هذا فقد ثبت حدود فى الحركات - أعنى الحق والباطل والصدق والكذب والخير والشر، فما كان حقاً وصدقاً وخيراً كان واجب التحصيل، وما كان باطلاً وكذباً وشراً كان واجب الترك. والتمييز بين الحركات بحدودها المذكورة لا يخلو إما أن يعرفه كل أحد أولا يعرفه أحد لوجود من يعرفه من الخواص، وبطلان أن يعرفه كل أحد لكثرة من لا يعرفه من العوام. فظهر أن الصحيح إنما هو أن يعرفه أحد دون أحد. فثبت بالتقسيم الأول حدود فى الحركات، وثبت بالتقسيم الثانى أصحاب حدود يعرفونها وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أصحاب الشرائع المؤيدة عقولهم بالوحى الذى لا يحتمل الخطأ الذى به حفظ نظام العالم فثبتت النبوة بضرورة الحركات. وقد أقيمت أدلة كثيرة على إثبات النبوات. استوفيتها فى الكتاب المسمى بالصراط المستقيم فى الرد على النصارى أو اليهود.

ومن فروع العلم الإلهى أن الأرواح البشرية حادثة حدثت عند استعداد النطفة لقبول النفس من واهبها. كما قال الله تعالى «فإذا سويته ونفخت فيه من روحى» والدليل العقلى على ذلك أن الأرواح لو كانت موجودة قبل الأبدان لكانت إما كثيرة وإما متحدة، وكل منهما باطل فبطل وجودها قبل الأبدان. أما بطلان الوحدة فلأنها بعد التعلق بالأبدان إما أن تبقى الروح على وحدتها أو تكدر وكل منهما باطل أيضاً. أما بطلان بقاء الوحدة بعد التعلق بالأبدان فلعلمنا ضرورة أن ما يعلمه زيد يجهله عمرو، ولو كانت الروح - أعنى الجوهر العاقل فيهما واحدة لاستحصال اجتماع الضدين - أعنى العلم والجهل فيها يستحيل فى زيد وحده، وأما بطلان تكثره بعد التعلق بالأبدان فلأن الواحد إنما يقبل القسمة، والكثرة إذا كانت من المقادير كالجسم فإنه لكونه ذا مقدار يمكن تقسيمه وتبعيضه وتكثيره، وأما إذا لم يكن من المقادير كالروح فإنه لا يقبل القسمة ولا التكثير. هذا، وأما استحالة كثرة الوحى قبل التعلق بالأبدان فلأنها إما أن تكون متماثلة أو مختلفة، وكل منهما محال أما استحالة التماثل، فلأن وجود المثلين محال فى الأصل، ولذا يستحيل وجود سوادين فى محل وجسمين فى مكان واحد لأن الأبنية تستدعى المغايرة، ولا مغايرة ههنا بخلاف

وجود سوادين فى محلين أو فى محل واحد فى زمانين. فإنه جائز غير مستحيل فليس فى الوجود مثلان مطلقا، بل بالإضافة كقولك: زيد مثل عمرو فى الإنسانية أو الجسمية. سواد الحبر والغراب مثلان فى السوادية، وأما استحالة التخالف والتغاير فلأن التغاير على نوعين: أحدهما باختلاف النوع والماهية كتغاير الماء والنار، وتغاير السواد والبياض باختلاف العوارض التى لا تدخل فى الماهية كتغير الماء البارد للماء الحار. فإن كان تغاير الأرواح البشرية بالنوع والماهية فهو محال. لأن الأراح البشرية متفقة بالحد والحقيقة، وهو نوع واحد. لأن الحد وهو حيوان ناطق يشملها وإن كانت متغايرة بالعوارض فهو أيضاً محال. لأن الحقيقة الواحدة إنما تتغاير عوارضها إذا كانت متعلقة بالأجساد منسوبة إليها بنوع ما، ولا تعلق لها بالأجسام قبل وجود الأبدان. فكان الاختلاف محالا. لأن الاختلاف إنما هو فى أجزاء الجسم ضرورة. فإن قيل فكيف تكثرت الأرواح وتغايرت بعد مفارقة الاجسام لا تعلق لها بالأجسام؟ قلنا إنها قد اكتسبت بعد التعلق بالأبدان أوصافاً مختلفة من العلم والجهل والصفاء والكدورة وحسن الأخلاق وقبحها، فبقيت متغايرة بسبب تلك الأوصاف فعقلت كثرتها بعد المفارقة بخلافها قبل تعلقها بالأبدان فأنه لا سبب لتغايرها العلم الإلهى.

ومن فروع العلم الإلهى اعتقاد المعاد الجسمانى فإنه يقال لو لم يبعث الإنسان ببدنه لكان له ببقاء وجه بعد موته ثواب وعقاب غير بدنيين، وكانت الروح التقية التى هى النفس المطمئنة الصحيحة الاعتقاد العاملة للخير الذى يوجبه الشرع والعقل فائزة بسعادة ألذ من كل سعادة، ولم يخالف العقل فى أنها تكون للبدن ايضاً لأن البدنية لا يفى بوصفها إلا الوحى والشريعة دون العقل، وإن جوزها لا يفى بوصفها إذ لا مجال له فى وصفها، لأن الوصف لا يكون إلا بالاخبار النبوية الصادقة، بخلاف السعادة والشقاوة الروحانيين فإن العقل طريق إليهما.

هذا وأقسام المنطق الذى هو آلة إلى كسب الحكمة النظرية والعملية الصائنة عن الخطأ فى الفكر تسعة: الأول بحث أقسام اللفظ والمعانى من حيث هى مفردة ومركبة وهو كتاب إيساغوجى تصنيف كذا، والأصح فرفريوس المعروف بالمدخل الثانى. بحث المعانى المفردة الذاتية الشاملة لجميع الموجودات من غير شرط تحصلها

فى الوجود أو قوامها فى العقل، ويشتمل عليه كتاب أرسطو المعروف بقاطغورياس أى المنقولات. الثالث تبيين تركيب المعانى المفردة بالسلب والإيجاب حتى تصير قضية وخبراً يلزمه الصدق والكذب، ويشمل عليه كتاب أرسطو المسمى بالعبارة. الرابع تبيين تركيب القضايا حتى يتألف منها القياس فى تأليف القضايا التى هى مقدماته، ويشتمل عليه كتاب أرسطو المعروف بأنولوطيقى، الخامس والسادس ما يشتمل على تعريف القياسات النافعة فى المخاطبات والمواضع التى تكتسب منها الحجج فى الجدل من السائل والمجيب، ويشتمل عليه كتاب أرسطو الموسوم بديالفطيقى – أى الجدل، وبهذا تعرف القياسات الإقناعية فى الأمور الكلية. السابع ما يشتمل تعريف المغالطات التى تقع فى الدلائل والمجاز والسهو وتعديدها بأسرها، والتنبيه على وجه الاحتراز عنها، ويتضمنه كتاب أرسطو المعروف بسوفطيقا –أى نقض شبه المغالطين. الثامن ما يشتمل عليه تعريف المقاييس الخطابية النافعة فى مخاطبات الجمهور على سبيل المخاصمة والمشاهرة والمدح والحيل النافعة فى الاستعطاف والإغراء، وتصغير الأمر وتعظيمه والمعاينة، ووجوه ترتيب الكلام فى كل قصة وخطبة ويتضمنه كتاب أرسطو المعروف بروطوريقى – أى الخطابة. التاسع ما يشتمل على الكلام الشعرى من انه كيف يجب أن يكون، وما انواع النقص فيه، ويشتمل عليه كتاب أرسطو المعروف بعرنيطقا، ويقال برايطقا، ويقال رطوريقى – أى الشعر. فهذه ثلاثة وخمسون علماً، وهى عدة العلوم الحكمية على ما ذكرها الشيخ الرئيس ابن سينا، وقال بعد عدها: فقد دللت على أقسام الحكمة فظهر أنه ليس شئ منها يخالف الشرع. فإن الذين يدعونها ثم يزيغون عن منهاج الشرع إنما يضلون من تلقاء أنفسهم ومن عجزهم وتقصيرهم، لأن الصناعة توجيه فأنها بريئة منهم.

أحوال بغداد

المسلك الأول فى بيان فضائل بغداد وبنائها وبانيها وأنهارها وجسورها وعشائرها وأكابرها القديمة، وبيان سواد العراق وعشره وخراجه وغير ذلك مما يتعلق بأحوال بغداد وفيه عدة ابواب.



الباب الأول

فى فضائلها

روى أبو بكر النيسابورى عن يونس بن عبد الاعلى أنه قال له الشافعى رضى الله عنه: يا يونس هل دخلت بغداد؟ قال قلت له: لا، قال: مارأيت الناس ولا رأك الناس. وروى أحمد بن أبى طاهر أنه قيل لرجل كيف رأيت بغداد؟ قال الارض كلها بادية وبغداد حاضرتها... وروى ابن سلامة عن ابن علية أنه قال: مارأيت قوماً أعقل فى طلب الحديث من أهل بغداد. وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال: ما دخلت بلداً قط إلا عددته سفراً إلا بغداد فأنى حين دخلتها عددتها وطناً.

روى عن ابن مجاهد المقرىء إمام الزمان أنه قال: رأيت أبا عمرو بن العلاء فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: دعنى مما فعل الله بى، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة.. وقال أبو بكر بن عياش: الإسلام ببغداد، وإنها لصيادة تصيد الرجال، ومن لم يرها لم ير الدنيا..

وقال أبو غثمان الجاحظ فى وصف البلاد: الصناعة فى البصرة، والفصاحة بالكوفة، والخير ببغداد، والغدر بالرى، والحسد بهراة، والجفاء بنيسابور، والبخل بمرو، والطرقدة بسمرقند، والمروءة ببلخ، والتجارة بمصر. ونقل الحافظ السيوطى فى حسن المحاضرة عن تذكرة الصلاح الصفدى أنه قال: كان الشيخ تاج الفزارى يقول: إن الحكماء واهل التجارب ذكروا أنه من أقام ببغداد سنة وجد فى عمله زيادة، ومن أقام بالموصل سنة وجد فى عقله زيادة، ومن أقام بحلب سنة وجد فى نفسه

شحاً، ومن اقام بدمشق سنة وجد فى طباعة غلظة، ومن أقام بمصر سنة وجد فى نفسه – أى فى اخلاقه – رقة وحسناً.

ونقل عن مباهج الفكر أنه روى عن كعب أنه قال: لما خلق الله تعالى الأشياء قال العقل: أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة: أنا معك، وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك، وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقال الفقر وأنا معك، ونقل عن محمد بن حبيب أنه قال لما خلق الله تعالى الخلق خلق معهم عشرة أخلاق، الإيمان والحياء باليمن، والنجدة والفتنة بالشام، والكبر والنفاق بالعراق، والغنى والذل بمصر، والفقر والشقاء بالبادية.

ونقل عن بعضهم أنه قال: إن الله تعالى جعل البركة عشرة أجزاء تسعة منها فى قريش وواحدة فى سائر الناس، وجعل المكر عشرة أجزاء تسعة منها فى القبط وواحدا فى سائر الناس، وجعل الجفاء عشرة أجزاء تسعة منها فى البربر وواحداً فى سائر الناس، وجعل النجابة عشرة أجزاء تسعة منها فى الروم وواحدة فى سائر الناس، وجعل الصناعة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصين وواحدة فى سائر الناس، وجعل الشهوة عشرة أجزاء تسعة منها فى النساء وواحدة فى الرجال، وجعل العمل عشرة أجزاء تسعة منها فى الأنبياء وواحداً فى سائر الناس، وجعل الحسد عشرة أجزاء تسعة منها فى اليهود وواحداً فى سائر الناس.

وحكى عن الحجاج أنه سأل ابن العرية عن طبائع أهل البلاد فقال: أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة وأعجزهم عنها. رجالها حفاة ونساؤها عراة، وأهل اليمن أهل سمع وطاعة ولزوم الجماعة، وأهل عمان عرب استنبطوا وأهل البحرين نبط استعربوا، وأهل اليمامة أهل جفاء واختلاف آراء، وأهل فارس أهل بأس شديد وعز عتيد، وأهل العراق أبحث الناس عن صغيرة وأضيعهم للكبيرة، وأهل الجزيرة أشجع فرسان واقتل للأقران، وأهل اشام أطوعهم لمخلوق وأعصاهم لخالق، واهل مصر عبيد لمن غلب، أكيس الناس صغراً واجهلهم كباراً.

أقول: أهل اليمامة أحق بأن يكونوا أهل بأس شديد لقوله تعالى فى حقهم:

«ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد» فما ذكره ابن العربية ليس فى محله... ونقل عن ابن العربية أنه قال: الهند بحرها در، وجبلها ياقوت وشجرها عود، وورقها عطر. وكرمان ماؤها وشل، وثمرها دقل ولصها بطل.وخراسان ماؤها جمد جامد، وعدوها جاهد. وعمان حرها شديد، وصيدها عنيد. والبحرين كناسة بين المصرين. والبصرة ماؤها ملح، وحربها صلح. مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. والكوفة ارتفعت عن حر البحرين، وسفلت عن برد الشام. وواسط جنة. والشام عروس بين نساء جلوس. ومصر هواؤها راكد وحرهامتزايد. تطيل الأعمار وتسود الأبشار. هذا. وقال ابو بكر الديلمى: سافرت الآفاق، ودخلت البلدان من حد سمرقند إلى قيروان، ومن سرنديب إلى بلاد الروم فما وجدت بلداً أفضل ولا أطيب من بغداد..

وذكر الخطيب ا لبغدادى فى تاريخه أن بغداد سميت مدينة السلام. فليس فى الأرض مدينة على هذا الاسم غيرها، قال: وكان بعض إخواننا إذا ذكرها يقرأ قوله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور). وقد اختصت بغداد من بين البلاد شرقاً وغرباً باتصاف أهلها بالاخلاق الكريمة الحميدة والسجايا الرضية، وبالمياه العذبة والفواكه الكثيرة، والأحوال الجميلة وبفطنة أهلها وذكائهم وإجادة علمائها للعلوم النقلية والعقلية والفنون الأدبية.. ولهم المهارة التامة فى نقد الشعر الجيد من الردىء، ودقة شعرهم لا تخفى على من له معرفة بنقد الشعر، ولا فرق بين شعرهم وشعر أهل الأندلس فى الرقة والمعانى البديعية، ولهم المعرفة الصحيحة بأنساب العرب وأخبارهم ولهم المؤلفات الكثيرة المفيدة فى كل فن..

ومن أخلاق أهل بغداد أنك إذا جلست مع أحدهم ثم غبت عنه فقدك وإذا رآك لازمك وإن لم يكن من قبل عرفك، يقرون الضيف، ويؤثرون على أنفسهم بكل سابقة وخير. كما مشهود من أحوالهم ومسلم لدى من سافر إلى بغداد.

واما ما ورد من الأحاديث المبشرة بكون بغداد غير مباركة. كحديث جرير بن عبد الله البجلى عن النبى، (ص) أنه قال «تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وصراة وقطربل. تجيئ إليها كنوز الأرض، ويجتمع إليها كل إنسان فهى أسرع ذهاباً من

الأرض» الحديث. وكحديث أبى الاسود الدؤلى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال: سمعت حبيبى محمداً (ص) يقول: سيكون لبنى عمى مدينة من قبل المشرق بين دجلة وقطربل والصراة يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب يسكنها أشرار خلق الله تعالى وجبابره. أما إن هلاكها على يد الفيافى كأنى بها والله قد صارت خاوية على عروشها فقد قال اشيخ الإمام أبو بكر: كل هذه الأحاديث التى ذكرت فى بغداد واهية الأسانيد عند أهل العلم والمعرفة. لا يثبت بأمثالها حجة. غير محفوظة إلا من هذه الطرق الفاسدة. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سئل أبى – يعنى أحمد رضى الله عنه عن حديث جرير تبنى مدية (الخ) فقال ما حدث به إنسان ثقة، وجميع أهل الحديث الثقات العدول الذين عليهم المدار فى تصحيح الأحاديث قد أطبقوا على أن الأحاديث الواردة فى بغداد واهية الأسانيد لا تحفظ متونها إلا من تلك الأسانيد الواهية الفاسدة.

وقطربل بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة والباء الموحدة المشددة، ويجوز تخفيفها موضع بالعراق ينسب إليه الخمر، وليس له اليوم أثر. وروى النويرى فى تاريخ بغداد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال النبى (ص) : «اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا، وفى شامنا وفى يمننا وفى حجازنا قال فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله وفى عراقنا. فأمسك النبى (ص) فلما كان فى اليوم الثانى قال مثل ذلك فقام إليه الرجل فقال: وفى عراقنا فأمسك النبى (ص) فلما كان فى اليوم الثالث قام إليه الرجل فقال وفى عراقنا فأمسك النبى (ص) فولى الرجل وهو يبكى فدعاه النبى (ص) فقال: أمن أهل العراق أنت؟ قال: نعم قال أن إبراهيم عليه السلام همّ أن يدعو عليهم فأوحى الله تعالى إليه أن لا تفعل. فإنى جعلت خزائن علمى فيهم، وأسكنت الرحمة قلوبهم. الحديث..

وكفى بفضل العراق وأهله هذا لحديث الناطق بأن فيهم خزائن علم الله تعالى، وأن فى قلوبهم الرحمة، وهو كما أخبر الصادق الامين (ص) فإن علماء العراق قد حازوا العلوم النقلية والعقلية بأنواعها وأصنافها، ولم يتركوا علماً إلا وقد تبحروا فيه، ولهم التآليف المفيدة فى كل فن.

وبالجملة. لا يخلوا العراق عن العلماء الأعلام فى المنقول والمعقول، ولاسيما فى المعقول فإنه مخصوص بأهل العراق. كما لا يخفى على المنصف، وغالب المجتهدين العظام من أهل العراق كأبى حنيفة وسفيان الثورى وابن حنبل وابى يوسف ومحمد وغيرهم.. وعن ابن الكلبى انه قال: سميت بغداد بلسان الفرس. لأنه أهدى لكسرى عبد خصى من المشرق فأقطعه بغداد، وكان لأهل المشرق صنم يعبدونه يسمى بغ فقال العبد المشرقى بغ داد أى عطية الصنم.. والفقهاء يكرهون هذا الاسم من أجل هذا، وسماها أبو جعفر المنصور مدينة السلام، لأن دجلة كان يقال لها وادى السلام.

وعن الأصمعى: يقال بغداذ وبغداد ومغدان وبغدان، وبعض الأعاجم زعم أن معنى بغداد بستان رجل. فبغ بستان وداد اسم رجل. وأنشد ابو سعيد الهمدانى لنفسه فى مدح بغداد:

فدا لك يا بغـــداد كل قبيلة ... من الأرض حتى خطتى ودياريا
فقد طفت فى شرق البلاد وغربها ... وسيرت رحلى بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً ... ولم أر فيها مثل دجلة وادياً
ولم مثل أهليها أرق شمائلاً ... وأعذب ألفاظاً وأحلى معانياً
وكم قائل لو كان ودُّك صادقاً ... لبغداد لم ترحل فكان جوابيا
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ... وترمى النوى بالمقترين المراميا

وقال طاهر الخازن فى مدحها:

سقى الله صوب الغاديات محلة ... ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر
هى البلدة الحسناء خصت بأهلها ... بأشياء لم يجمعن قد كن فى مصر
هواء رقيق فى اعتدال وصحة ... وماء له طعم ألذ من الخمر
ودجلتها شطان قد نظما لنا ... بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر
تراها كمسك والمياه كفضة ... وحصباؤها مثل اليواقيت والدر



الباب الثانى

فى بنائها وبانيها وجسورها

روى النويرى فى تاريخ بغداد عن جرير: ان ابا جعفر المنصور بويع له سنة ستة وثلاثين ومائة، واستلم البناء سنة ست وأربعين ومائة، وسماها مدينة السلام.. وقال القرمانى فى تاريخه: «وفى سنة تسع وأربعين ومائة فرغ من بناء بغداد» ، قال الشيخ ابو بكر: «بلغنى أن المنصور لما عزم على بنائها أحضر المهندسين فمثل لهم صفاتها التى فى نفسه، ثم أحضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم، واجرى عليهم الأرزاق وكتب إلى كل بلد فى حمل من فيهم ممن يفهم شيئاً من أمر البناء ولم يبتدئ فى البناء حتى تكامل بحضرته من أهل الصناعات ألوف كثيرة، ثم اختطها وجعلها مدورة. ويقال لا يعرف فى أقطار الدنيا مدينة مدورة سواها، ووضع أساسها فى وقت اختاره له (نوبخت) المنجم.

قال الخوارزمى: فرغ ابو جعفر من بنائها ونزلها مع جنده وسماها مدينة السلام بعد مائة سنة وخمس وأربعين سنة وأربعة اشهر وثمانية أيام من الهجرة النبوية. على صاحبها افضل الصلوات والسلام.

وحكى ابن عرفة الأزدى عن بعض المنجمين: أنه قال للمنصور لما فرغ من مدينة السلام: خذ الطالع. فنظر فى مطالعها، وكان المشترى فى القوس فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها وفقر الناس إلى ما فيها. ثم قلت له وأبشرك يا أمير المؤمنين بأن الله تعالى اكرمك بخلة أخرى

من دلائل النجوم انه لا يموت فيها خليفة من الخلفاء ابداً. فرأيته تبسم لذلك. فقال: الحمد لله. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

بناؤها: على ما قاله أبو الفداء إسماعيل الأيوبى فى تاريخه: إن المنصور كره مسكن الهاشميه التى بناها بنواحى الكوفة. فأنه كان لا يأمنهم على نفسه. فخرج يرتاد له موضعاً يسكنه. فاختار موضع بغداد سنة خمس وأربعين ومائة، وقال أحمد البربرى: مدينة أبى جعفر المنصور ثلاثون ومائة جريب خنادقها وسورها ثلاثون جريباً، وأنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف، وبنيت سنة خمس وأربعين ومائة.

وروى أبو الفضل عن بدر غلام المعتضد أنه قال: أمر أمير المؤمنين أن ينظروا كم مدينة ابى جعفر. فنظرنا فوجدنا وحسبنا فإذا هى ميلان مكسران فى ميلن. وقال الشيخ أبو بكر: رأيت فى بعض الكتب أن أبا جعفر المنصور أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها اربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً مبلغها من الفلوس مائة ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس، وذلك ان الاستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبات والروزجارى يعمل بحبتين إلى ثلاث حبات.. وفى مبلغ النفقة على المدينة قول أخر بينه وبين هذا القول تفاوت كثير.

وروى الفضل بن مخلد عن ابن رستم أنه قال: رأيت فى زمن أبى جعفر كبشاً بدرهم، وجملاً بأربعة دوانيق، والتمر ستين رطلاً بدرهم والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم والسمن ثمانية أرطال بدرهم.

وروى ابن سلام المسواق عن أبى نعيم الفضل بن دكين أنه قال: كان ينادى على لحم البقر فى جبانة كندة تسعين رطلاً بدرهم، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم وكانت بغداد إذ ذاك فى غاية السعة والرخاء والبركة.

وقال أبو النصر المروزى: سمعت أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول: بغداد من الصراة إلى باب التين. وقال الشيخ أبو بكر عن أحمد بن حنبل: مدينة المنصور وما لاصقها واتصل ببنائها خاصة. لأن أعلى البلد قطيعة أم جعفر دونها الخندق

يقطع بينها وبين الماء المتصل بالمدينة، وكذلك أسفل البلد من محال الكرخ وما يتصل به يقطع بينه وبين المدينة الصراة، وهو حد المدينة وما اتصل بها طولاً، وأما حدها عرضاً من شاطئ دجلة إلى الموضع المعروف بالكبش والأسد، وكل ذلك كان متصل الأبنية متلاصق الدور والمساكن، والكبش والأسد الآن صحراء مزروعة وهى على من مسافة البلد.

وروى أبو إسحاق البغوى: عن رباح البناء، وكان ممن يتولى سور مدينة المنصور قال: كان بين كل باب من أبواب المدينة إلى الباب الآخر ميلاً – كذا – فى كل ساف من أسواف البناء مائة ألف لبنة واثنتان وستون ألف لبنة من اللبن الجعفرى، فلما بنينا الثلث من السور صيرنا فى الساف مائه وخمسين ألف فلما حاوزنا الثلثين صيرنا فى السناف مائة وخمسين ألف لبنة إلى أعلاه.

وروى محمد بن خلف عن الثورى أنه قال: هدمنا من السور الذى يلى باب المحول قطعة فوجدنا فيها لبنة مكتوباً عليها وزنها مائة وسبعة عشره رطلاً فوزناها فوجدناها كذلك، قال محمد بن خلف: وبنى المنصور مدينته، وبنى لها أربعة أبواب. باب الكوفة وباب البصرة وباب الشام وباب خراسان، وجعل كل باب مقابلاً إلى مصر، وبنى على كل باب قبة، وبين كل باب ثمانية وعشرون برجاً إلا بين باب البصرة وباب الكوفة فإنه يزيد واحداً، وجعل الطول من باب خراسان إلى باب الكوفة ثمانمائة ذراع، ومن باب الشام إلى باب البصرة ستمائة ذراع، ومن أول باب المدينة إلى الباب الذى يشرع إلى الرحبة خمسة ابواب حديد.

وذكر وكيع أن فى وجه بناء المنصور مدينته المدورة لها معان لا توجد فى غيرها. منها أن المدورة كالدائرة إذا كان الملك فى وسطها كان كالمركز لا يزيد هذا الطرف على ذلك الطرف بالنسبة إليه، قال وكيع: وعمل فيها فصيلين بين كل بابين فصيلان، والسور الداخلى أطول من الخارج، وأمر أيضاً أن لا يبنى فى الفصيل الثانى مع السور النازل لأنه أحصن للسور، ثم بنى القصر والمسجد الجامع. وكان فى صدر قصر المنصور إيوان طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وفى صدر الإيوان

مجلس عشرين ذراعاً، في العشرين ذراعاً وسمكه عشرون ذراعاً، وسقفه قبة، وعليه مجلس مثله فوق القبة الخضراء، وسمكه إلى أول حد عقد القبة عشرون ذراعاً. فصار من الأرض إلى رأس القبة الخضراء ترى من أطراف بغداد.

وروى أبو القاسم التنوخي: أنه سمع جماعة من شيوخه يذكرون أن القبة الخضراء كان على رأسها صنم على صورة فارس في يده رمح. فكان الخليفة إذا رأى ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوه علم أن بعض الخوارج قد ظهروا من تلك الجهة. فلا يطول الوقت حتى ترد الأخبار بأن الخارج الفلاني قد خرج من تلك الجهة وقد سقط رأس القبة في ليلة مطر عظيم رعدها هائل وبرقها شديد، وكانت هذه القبة تاج بغداد وهي من آثار بني العباس العظيمة، وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة، وعرض السور من أسفله عشرون ذراعاً وعلى كل أزج من أزاج الأبواب مجلس له درجة على السرير يرتقى إليه منها، وعلى هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة إلى السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة. على رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح وكان المنصور إذا أحب النظر إلى الماء وإلى من يقبل من ناحية خراسان جلس على هذه القبة العظيمة، وإذا أحب النظر إلى الأرياض جلس على باب الشام، وإذا أحب النظر إلى الكرخ ومن أقبل من تلك الناحية جلس على باب البصرة، وإذا أحب النظر إلى البساتين والضياع جلس على باب الكوفة، وعلى كل باب من أبواب المدينة الأوائل والثواني باب حديد عظيم المقدار.

روى محمد بن علي الوراق: أن أبا جعفر المنصور نقل تلك الأبواب من واسط، وهي أبواب الحجاج التي وضعها في واسط، وأن الحجاج وجدها على مدينة كان قد بناها سليمان بن داود عليهما السلام بثازاء واسط كانت تعرف بزندرود وابنتى المنصور قصره الذي سماه بالخلد على دجلة، وتولى ذلك أبان ابن صدقة والربيع، وامر النصور أن يعقد الجسر عند باب الشعير.

قال الشيخ أبو بكر: سمي القصر خلداً تشبيهاً له بالجنة لما فيه من كل منظر رائق ومطلب فائق وغرض غريب ومراد عجيب، وكان موضعه وراء باب خراسان.

وروى ابن عياش التميمى عن جده أنه قال: كان على أبواب مدينة بغداد مما يلى الرحاب ستور وحجاب، وعلى كل باب قائد. فكان على باب الشام سليمان بن مجالد فى ألف رجل وعلى باب البصرة أبو الأزهر التميمى فى ألف وعلى باب الكوفة خالد المكى فى ألف وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب الغسانى فى ألف رجل، وكان لا يدخل أحد من بنى عم الخليفة أبى جعفر المنصور ولا من غيرهم من الناس من هذه الأبواب سوى دواد بن على العباسى عم المنصور فإنه كان يدخل متفرساً، وكان يحمل فى عقبه محمداً المهدى ابنه، وروى أبو إسحاق التميمى: أن المنصور جلس يوماً فى قصر الخلد وكان عنده رومى. فقال الرومى يا أمير المومنين: أنك بنيت بناء لم يبنه أحد قبلك، ولكن فيه ثلاثة عيوب. قال وما هى: قال: الاول بعده عن الماء، والثانى أن العين تشتاق إلى الخضرة وليس فى بنائك هذا بستان، والثالث رعيتك معك فى بنائك، وإذا كانت الرعية مع الملك فى بنائه فشا سره. فأجابه الخليفة أبو جعفر المنصور بقوله: أما قولك فى الماء فحسبنا من الماء بل شفاهنا، وأما قولك البستان، فإنا لسنا ممن صرف أوقاته فى اللهو واللعب. بل الرماح والسيوف لدينا أحب من أغصان الأشجار، وأما قولك فى إفشاء سرى فمالى سر دون رعيتى. فبهت الرومى.

ثم إن المنصور وجه خالداً وشبيبا على أن يحفروا محفراً ويمدا قناتين من دجلة. قال الشيخ أبو بكر: مد المنصور قناة من نهر شجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر الكرخ الآخذ من الفرات وجرهما إلى مدينته فى عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالآجر والصاروج من اعلاها، وكان كل من القناتين المذكورتين يدخل مدينة بغداد، وينفذ فى الشوارع والأرياض، ويجرى صيفاً وشتاء لا ينقطع ماؤهما فى وقت من الأوقات أبداً.

وذكر الحارث بن أبى أسامة أن المنصور فرغ من بناء الرصافة سنة أربع وخمسين ومائة. وذكر محمد بن موسى المنجم أن المعتصم وابن أبى دماد اختلفا فى مدينة المنصور والرصافة أيهما أعلى. قال: فأمرنى المنصور فوزنتهما فوجدت المدينة أعلى من الرصافة بذراعين ونحو من ثلثى ذراع. قال الشيخ ابو بكر: وربع الرصافة يسمى عسكر المهدى،

وإنمـا سمى بذلك لأن المهدى عسكر بها عند شخوصه إلى الرى.

أقـول: والرصـافة وربـعهـا الذى عـسكـر به المـهدى هـى بغـداد فى عـصـرنـا. هـذا وهـى الجـانب الشـرقى مـن دجلة، وأمـا مـدينـة بغـداد الموصـوفة بـتلك الأوصـاف الـتى ذكرناهـا فهى واقعـة فى الجانب الـغربى من دجلـة، ولـم يبق منهـا إلا بعض من مـحلة الكرخ وما يتـصل به، وقد خربت واندرسـت آثارهـا فلم تبق قصـورهـا ولا سـورهـا ولا قنواتها ولا أبوابها، وصـارت بلاقع والله الباقى.

وكان ابـو جعفـر المنصـور قـد جعل المسـجد الجامع فـى المدينة مـلاصـقاً لقـصره المعروف بـقصر الذهـب، وهـو الصـحن الـعتيق وبناه باللبن والطين، ومـساحة القـصر أربعـمائة ذراع، ومسـاحة المسـجد الأول مـائتـا ذراع فى مـائتى ذراع، ولـم يـزل المسـجد الجامع فى المـدينة على حاله إلى وقـت هـارون الرشـيد. فأنه أمـر بهدمه ونقـضـه وإعادة بنائه بالآجر والجص ففـعل ذلك، وكتب عليه اسم الرشـيد. قـال ابن الأعرابى: وتحتاج القبـلة إلى أن تحرف إلى باب البصـرة قليـلاً، وأن قبلة الرصـافة أصـوب منهـا، ولم تكن تقام صلاة الجمـعة بمدينة السـلام إلا فى مسـجد المدينة والرصـافة إلى خلافة المعتضـد. فلمـا اسـتخلف المعتضـد أمـر بعمارة القصـر المـعروف بالحسـنى على دجلة وأنـفق عليه مـالاً عظيماً، وهـو القصـر الموسـوم بدار الخلافة، وأمر ببناء مطامير فى القصـر فرسم له أسـسـهـا للـصـناع فـبنيت بنـاء لـم ير مـثله، وجـعلـهـا مـحـابس للأعـداء، وكـان الـنـاس يصـلـون الجـمـعـة فى دار الخـلافـة، وليس هـنـاك رسـم لمسـجـد وإنمـا يؤذن لـلـنـاس فى دخـول الدار وقـت الصـلاة ويخـرجـون عنـد انقـضـائهـا فـلمـا اسـتـخلف المكـتـفـى ترك القـصـر، وأمـر بهدم المطامير، وجعل مـوضـعـهـا مـسـجـداً جامـعاً فى داره يـصـلى فـيه النـاس، وكانت جسـور بغداد كثيرة.

روى ابن درسـتويـه: أن أبا جعـفـر لما بنى قـصـره المـعروف بالخـلد عقـد الجسـر عنـد باب الـشـعيـر كـمـا سبـق.. وروى أحـمـد بن الخـليل بـن مالـك عن أبـيه قـال: كـان المنصـور قـد أمر بعقـد ثلاثة جسـور أحـدهـا للنسـاء، ثم عـقد لنفسـه وحشـمه جـسـرين بباب الـبسـتـان، وكـان بالـزندرود جسـران عـقـدهـمـا مـحـمـد (الأمـين) وكـان قد عـقـد

الرشيد عند باب الشماسية جسرين، وكان لأبي جعفر جسر عند سويقة قطوطا. فلم تزل هذه الجسور إلى أن قتل محمد ثم عطلت، وبقى منها ثلاثة إلى أيام المأمون. ثم عطل واحد قال ابن شاذان:ادركت ببغداد جسور: أحدها محاذى السوق، والثانى بباب الطاق، والثالث بأعلى البلد محاذى الميدان. وذكر غيره: أن الجسر الذى كان محاذى الميدان نقل إلى العرصة بباب الطاق. فصار هناك جسران تمضى الناس على أحدهما ويرجعون على الآخر. وقال هلال بن المحسن: عقد جسر بمشرعة القطانين فمكث مدة ثم تعطل، ولم يبق ببغداد بعد ذلك سوى جسر واحد بباب الطاق إلى أن حول سنة ثمان وأربعين وأربعمائة. فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربى وبين مشرعة الحطابين.

هذا وأما فى عصرنا منذ أدركت وزارة المرحوم المشير العلامة الحاج داود باشا البغدادى طاب ثراه إلى يومنا هذا. فليس فى بغداد سوى جسر واحد بين مشرعة الروايا ومشرعة الحطابين كما سبق. إلا أن مشرعة الحطابين اليوم ادخلت فى الكرك ورأس الجسر من الجانب الشرقى مقابل الجامع المسمى بالآصفية، والمسمى بالمولى خانة قبل أن يبنيه المشير العلامة الحاج داود باشا المشار إليه جامعاً، ورأسه الآخر فى الجانب الغربى مقابل المسجد بناه المشير العلامة الحاج داود باشا المشار إليه أيضاً فى الجانب الغربى، وقد بلغنى أن المشير الكامل اللوذعى مدحت باشا كان بصدد تحويل الجسر إلى موضع آخر وإنشاء جسر ثانٍ خارج البلد وهو من المحسنات.

ونقل بعض المؤرخين عن محمد بن يحيى النديم أنه قال: كان عدد الحمامات ببغداد فى ذلك الوقت ستين ألف حمام، وقال أقل ما يكون فى كل حمام خمسة نفر يخدم فى الحمام حمامى وقيم. وزبال ووقاد وسقا. فيبلغ ذلك إلى ثلاثمائة ألف رجل. وذكر إنه بإزاء كل حمام خمسة مساجد فيكون ذلك ثلثمائة ألف مسجد، وأقل ما يكون فى كل مسجد خمسة أنفس فيبلغ ذلك إلى ألف وخمسمائة ألف رجل.

وروى هلال فى تناقص الحمامات أنها آلت فى أيام عضد الدولة إلى خمسة الآف حمام وكسر.

قال الشيخ أبو بكر فى تاريخ بغداد: لم يكن لبغداد فى الدنيا نظير فى جلالة قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها وتمييز خواصها وعوامها، وعظم أقدارها وسعة أطرازها، وكثرة هوائها ومنازلها ودروبها وشوارعها ومحالها وأسواقها وسككها وازقتها ومساجدها وحماماتها وطرزها وخاناتها وطيب هوائها وعذوبة مائها وضرب ظلها وأفيائها، واعتدال صيفها وشتائها وصحة ربيعها وخريفها وزيادة عدد سكانها، واكثر ما كانت معمورة فى أيام هارون الرشيد إذ الدنيا فى أيامه كانت قارة المضاجع دارة المراضع خصبة المواقع موروودة المشارع، وكانت أيامه كلها خيراً، وكأنها من حسنها عروس.

ثم حدثت فيها الفتن وتتابعت على أهلها المحن فخربت عماراتها وانتقل قطانها، ومع ما فيها من كثرة تغيير الاحوال فهى أطيب الأمصار وأعذب من سائر الديار. كأنها كاعب عذراء فى غاية الحسن والبهاء. ومن أعظم المصائب التى حدثت فيها اسيتلاء التتر عليها وانقراض الدولة العباسية فى أول سنة ست وخمسين وستمائة فإنه قصد هولاكو ملك التتر بغداد وملكها فى العشرين من محرم وقتل الخليفة المستعصم بالله. وسبب ذلك ان وزيرالخليفة مؤيد الدين بن العلقمى كان رافضياً، وكان اهل الكرخ أيضاً روافض. فجرت فتنة بين السنة والرافضة فأمر أبو بكر بن الخليفة ركن الدين رئيس العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهم الفواحش. فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى وكاتب التتر واطمعه فى ملك بغداد، وكان عسكر الخليفة يبلغ مائة الف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل متحصل إقطاعاتهم إلى التتر. فصار عسكر بغداد أقل من عشرين الف فارس، وأرسل ابن العلقمى إلى التتر يستدعيه فجاء بعسكر عظيم، وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين المذكور، والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم عسكر الخليفة، ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم إلى جهة الشام، ونزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقى، ونزل باجو، وهو مقدم كبير فى الجانب الغربى على القرية قبالة دار الخلافة وخرج الوزير ابن العلقمى إلى هولاكو ليوثق منه نفسه، وعاد إلى الخليفة المستعصم وقال ان هولاكو قد يبقيك فى الخلافة كما

فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك ابى بكر، وحسن له الزواج إلى هولاكو فخرج المستعصم فى جمع من أكابر أصحابه. فأنزل فى خيمة ثم استدعى الوزير الخبيث العلماء والفقهاء والمدرسين والأشراف والأماثل وكان من أجل العلماء محيى الدين ابن الجوزى. فخرجوا إلى التتر ولم تزل تخرج طائفة بعد طائفة فلما تكاملوا قتلهم هلاكو عن أخرهم ثم مدوا الجسر وعبر باجو بعسكره، وبذل السيف فى بغداد وقتلوا جميع من كان فى بغداد إلا من كان صغيراً فإنه اخذ اسيراً، وهدموا دار الخلافة ودام القتل والنهب فى بغداد أربعين يوماً. وأما الخليفة فإنهم قتلوه، ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله. فقيل خنق وقيل وضع فى عدل ورفسوه بأرجلهم حتى مات وقيل غرق فى دجلة والله أعلم بحاله.

وكان المستعصم ضعيف الرأى قد غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره. تولى الخلافة بعد موت أبيه المستنصر فى سنة أربيعن وستمائة. فكانت مدة خلافته نحو سنت عشرة سنة تقريباً. وهو آخر الخلفاء العباسين وكان ابتداء دولتهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهى السنة التى بويع فيها السفاح للخلافة، وقتل فيها مروان الحمار أخر خلفاء بنى أمية.

وكانت مدة خلافة العباسيين خمسمائة وأربعة وعشرين سنة تقريباً، وعدد الخلفاء العباسيين سبعة وثلاثون خليفة.

وقد اتفق للرشيد على ماقاله الجاحظ مالم يجتمع لغيره، وزراؤه البرامكة، وقاضيه أبو يوسف، وشاعره أبو نواس ومروان بن أبى حفصة، ونديمة العباس بن محمد بن عم أبيه، وزوجته زبيدة المعروفة بالخيرات العظيمة بنت عمه [1] ومغنية إبراهيم الموصلى، وحاجبه الفضل بن الربيع أبهى الناس وأعظمهم.

(١) وفاتها سنة ٢١٦ هـ ودفنت بجوار قبر موس الكاظم عند قبر ابنها الأمين.

والرشيد [٢] من أجل ملوك الارض، وقد بلغ رتبة الاجتهاد وله النظر التام فى العلوم والآداب. أخذ الحديث عن سفيان الثورى وغيره من الأئمة، وروى الحديث عنه ابنه المأمون،وكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة ركعة ويحج عاماً ويغزو عاماً، ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم، وكان كثير البكاء عند الوعظ، وكان كثير المحبة لسفيان الثورى، وكان سفيان يعظه فيبكى لوعظه، وكان يحب العلم ويوقر أهله.

وروى الإمام الغزالى رحمه الله تعالى فى إحياء العلوم وغيره عن أبى معاوية الضرير أنه قال: أكلت مع الرشيد يوماً ثم صب على يدى الماء رجل لا أعرفه، ثم قال الرشيد أتدرى من يصب الماء على يديك؟ قلت لا، قال: انا الرشيد إجلالاً للعلم وأهله.. وإخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه لا تحصى، وأما ما ينسب إليه من اللهو فهو من دسائس الرفضة، وكذا ما ينسب إلى أكثر العباسين حاشاهم عن ذلك.

وكان الرشيد أبيض طويلاً جميلاً مليحاً. عبل الجسم قد وخطه الشيب. ولد بالرى حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان فى سنة ثمان وأربعين ومائة، وأمه الخيزران البربرية. بويع له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادى فى الليلة التى توفى أخوه فيها. وولد له تلك الليلة ولده المأمون، وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها فى بنى العباس، مات فيها خليفة وولى فيها خليفة وولد فيها خليفة، ونقش خاتمة العظمة والقدرة لله عز وجل، مات فى الغزو بطوس من خراسان ودفن فيها فى ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وله خمسة وأربعون سنة، وصلى عليه ابن صالح، وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين ونصف.

وأبو جعفر المنصور الذى بنى بغداد اسمه عبد الله السفاح. الذى هو اول الخفاء العباسيين، وكان السفاح قد ولى أخاه أبا جعفر المنصور إمارة الحج فأتاه خبر

---

(٢) ولادته سنه ١٤٨ هـ ووفاته سنه ١٩٣ هـ فى طوس بجانب قبر الرضا.

الخلافة بمكان يعرف بالصافية. فقال: صفا أمرنا أن شاء الله تعالى. فلما حج بهم ورجع بهم إلى الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة. وكان فحل بنى العباس، وكان طويلاً أسمر خفيف اللحية رحب الوجه. كأن عينيه لسانان ينطقان، وأمه سلامة بشير البربرية، نقش خاتمة اتق الله تزدد فتعلم، وكان ذا هيبة وشوكة عظمة وشجاعة وجبروت. كثير الجمع للمال متجنباً عن اللهو واللعب. كامل العقل تام الفهم. داهية قتل ظلماً كثيراً حتى استقام أمره وملكه.

وأول من قتل أبا مسلم الخراسانى، وضرب أبا حنيفة على القضاء. فامتنع ابو حنيفة عن تقلد القضاء، ثم حبسه فمات بعد أيام، ولقب بالدوانيقى لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات، وهو أبو الخلفاء العباسيين كلهم، وأول خليفة قرب المنجمين إليه، وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والعجمية بالعربية كإقليدس.

قال الذهبى فى تاريخه: وفى سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام فى هذا العصر فى تدوين الحديث والفقه والتفسير. فصنف ابن جرير بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والازاعى بالشام، وابن ابى عمرويه وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثورى بالكوفة، وصنف ابن اسحاق المغازى، وصنف أبو حنيفة الفقه، ثم بعد مدة قليلة كثر تدوين الكتب والعلم، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ، وكانت الأئمة فى هذا العصر تتكلم من حفظها.

وفى سنة ثمان وأربعين توطأت الممالك كلهاللمنصور، وعظمت هيبته فى نفوس الناس، ودانت له الأقطار والبلاد، ولم يبق قطر خارج عن ملكه سوى جزيرة الأندلس فقط. فإنها كانت قد غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموى، وبقيب فى يد أولاده إلى ما بعد الأربعمائة.

وسنة ثمان وخمسين ومائة شكا الناس ضيق المسجد الحرام. فاشترى المنازل التى حوله، وأضافها إليه، وعمر مسجد الخيف بمنى ورخم الحجر، وهو أول من رخمه. وسبب وفاته أنه لما عزم على الحج، وكان يريد قتل سفيان الثورى، ووصل

إلى بئر ميمون بعث اليه أناساً وقال: إن رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه، وكان سفيان جالساً بفناء الكعبة ورأسه فى حجر فضيل بن عباس ورأس فضيل فى حجر سفيان بن عيينة. فقيل لسفيان الثورى يا أبا عبد الله قم فاختف فتقدم سفيان إلى استار الكعبة وأخذها بيده ثم قال: برئت منه إن دخلها ابو جعفر ورجع إلى مكانه. فركب أبو جعفر من بئر ميمون: فلما كان بينها وبين الحجون سقط من فرسه واندقت عنقه، ومات سابع ذى الحجة وقت السحر سنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن هناك وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً.

الباب الثالث

فى بيان البيوت القديمة من ذوى العلم والسيف والقلم والتجارة فى بغداد فى عصرنا هذا

فمن بيوتها ذات المجد الرفيع الذى أقر بفضله جميع أهل العراق ولا فخر أخذ العلم عن جدنا المشار إليه. ونقباء بغداد من أهل هذا البيت المرفوعة قواعده إلى كيت وكيت، ولكن كانت النقابة منحصرة ومشروطة فى أولاد السيد عبد الرازق بن القطب الكيلانى إلى أيام على باشا ثم انقرضوا، ولم يبق منهم إلا بعض الفقراء فانتقلت إلى بعض أولاد الشيخ عبد العزيز بن القطب الكيلانى.

ومنهم بيت المجد بيت آل شاوى العبيدى الحميرى، وهو بيت فضل وعلم وشجاعة وكرم ورئاسة ونجابة وأدب وحسب ونسب، وكانت لهم الكلمة النافذة فى جميع قبائل العراق ورياسة العرب لدى وزراء بغداد، كالنعمان بن المنذر عند كسرى، وقد حازوا العلم والسيف والقلم والشجاعة والرياسة وسائر المفاخر، وكان يعيش فى كنفهم خلق كثير من كل صنف، ولهم الصولة القاهرة بين القبائل، وجدهم الأعلى

شاوى بك من آل شاهر شيوخ قبيلة العبيد، وكان لشاوى بك ولد يسمى عبد الله بك، وهو احنف وقته، وكانت له الرياسة الكبرى والصولة العظمى وله من الخيرات والكرم مالا تحصيه الأقلام، وقد ولد له اثنا عشر ولداً كل منهم أمير عالم فاضل كريم شجاع شاعر أديب، وكانوا ملجأ الخواص والعوام فى بغداد وصدقاتهم وعطاياهم للعماء والشعراء والفقراء كعطايا البرامكة، وهم أهل الحل والعقد وإليهم تنتهى الأمور، وأجلهم قدراً واعظمهم فخراً العلامة التحرير والاسد الغضنفر الكريم الشهير الأمير بن الأمير الحاج سليمان بك الشاوى الحميرى خال والدى طاب ثراهما، وكان شاعره محمد كاظم الأزرى البغدادى، وقد مدحه بقصائد جمعت ديواناً كبيراً، وله وقايع عظيمة فى الكرم والشجاعة، وكانت عشيرة العبيد حينئذ تبلغ خمسة عشرة ألف فارس، وهم جميعهم وسائر القبائل الزبيدية كالحيور والدليم والعزة وعزيز وغيرهم فى طاعته وأمره، فهو نعمان عصره وقد غار مع قومه على تيمر[1] باشا العلى من العراق إلى نواحى أورنا ودمره، وفرق جمعه وأخذ امواله وقد كاد أن تنطفى نار هذا البيت، وبقى منهم رجال فى بغداد وفى البادية بين عشيرة العبيد. ومن أولاده عبد العزيز بك الذى ولد له ولد سماه باسم سعود.

وأجل من بقى منهم الفاضد الأديب الكامل الفطن اللوذعى النجيب أحمد بك نجل عبد الحميد بك نجل أحمد بك نجل الامير العلامة الحاج سليمان بك آل شاوى العبيدى الحميرى المشار إليه، ولهذا الفتى النجيب نظم ونثر رائق ونقد بالشعر الجيد، وله آثار حسنة فى الآداب.. هذا وقد نظم المرحوم الحاج سليمان بك المشار إليه القطر فى النحو لابن هشام، وشرح لامية العرب شرحاً لطيفاً. ومن إخوته احنف وقته علماً وعقلاً ورأياً وتدبيراً محمد بك بن عبد الله بك الشاوى، وكذا أخوه الفاضل عبد العزيز بك رحمهم الله تعالى، وتفصيل مآثر رجال هذا البيت لا يسعه المقام.

---

(١) تيمر أو تيمور، والعرب تقول: تمر باشا استئناسا بالمألوف من الأسماء، أو تحقير له (الأب أنستاس مارى الكرملى).

ومنهم بيت عبدالله بك الربيعى، وهو بيت مجد أركانه مرفوعة، لهم التقدم التام، والقبول العام، وبقى منهم بعض النجباء.

ومنهم بيت كوسه دفتردار، وهو بيت سيادة وفضل ومجد وسيف وقلم. من البيوت المشيدة الأركان لهم الخيرات الوافية والمبرات الكافية، وهم من أهالى إسلامبول.

ومنهم بيت القلعبند، وهو بيت علم وفضل من البيوت القديمة، وكان فيهم رجال أكابر، وقد سد باب بيتهم فلم يبق منهم إلا رجل صالح من طلبة العلم، وهو فى غاية الحاجة اسمه عبد الغنى. فسبحان الذى لا يفنى عزه، وقد اخذ الفاضل القلعبند العلم عن جدنا العلامة السيد صبغة الله الحيدرى.

ومنهم بيت سميكة بالتصغير، وهو بيت علم وتقوى وصلاح وخيرات وتجارة، وكان منهم العالم الفاضل الكامل الورع الزاهد الحاج سميكة مفتى الحنبلية ببغداد، وأخذ العلم عن جدنا العلامة السيد حيدر الحيدرى مفتى الحنفية ببغداد، وعن جدنا الولى العلامة السيد عبد الله الحيدرى، وكان تاجراً عظيماً يزكى كل سنة من ماله مقداراً يفى بأكثر أهل العلم وغيرهم، وكان ينفق على أهل القلم من الملبوس والمأكول ما يطول شرحه، وما رد سائلاً مدة عمره، وكان إذا دخل الجامع فى يوم الجمعة حمل بيده إناءا مملوءاً من دهن الورد ورشه على الجماعة بمنديل ليفوح الجامع طيباً على ما حدثنى والدى، وكان يدرس فى مدرسة مرجان من طلوع الشمس إلى صلاة الظهر كل فن، ويدرس كتب المذاهب الأربعة رضى الله تعالى عنهم، ويقصده طلبة الحنابلة من نواحى نجد لرواية مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه. فإذا صلى الظهر ذهب إلى الخان للتجارة إلى صلاة العصر، وله من المناقب الجليلة ما يحمل مجلداً. رحمه الله تعالى وقد خمدت نارهم، ولم يبق منهم الآن أحد وعلى الدنيا السلام.

وآخر من أدركت منهم الكامل الفقيه الأديب النجيب درويش نجل العالم التقى أويس عصره الحاج إبراهيم سميكة. شقيق الحاج موسى المشار إليه (وفاته سنة

١٢٣١ هـ) وقد انزوى الحاج إبراهيم المذكور فى بيته أربعين سنة فلم يخرج منه إلى ان خرجت جنازته رحمه الله تعالى.

ومن البيوت القديمة بيت الحاج إسماعيل المفتى، وهو بيت علم وفضل ومجد وقبول بين الناس، وياله من بيت. كانت قواعده مرفوعة وأركانه مشيدة ممنوعة، وهو بيت الافتاء، ولبيتنا معهم قرابة من جهة النساء، ولم يبق منهم الآن أحد، وصارت ديارهم بلاقع وعلى الدنيا السلام، وهم من أهالى سر من رأى.

ومنهم بيت العلامة الشريف أحمد المفتى الطبقچلى [1]، وهو بيت علم وسيادة وفضل، وقد أخذ الطبقچلى المذكور العلم عن جدنا العلامة الشريف السيد صبغة الله الحيدرى، وكان من أجل تلاميذه، ولم يبق منهم أحد.

ومنه بيت الفاضل محمد سعيد المفتى [2] المشهور ببيت مفتى الحملة، وهو بيت علم وفضل وسيادة، وقد أخذ محمد سعيد المفتى المذكور العلم عن جدى العلامة السيد الشريف أسعد المفتى ببغداد الحيدرى، وبقى منهم بعض الطلبة، وهم بنو عم الطبقچلى من أهالى حديثة من نواحى عانة.

ومنهم بيت الفاضل العلامة عبد الله بن مرتضى المفتى، وهو بيت علم وفضل، وقد أخذ العلم عن جدنا العلامة النحرير السيد صبغة الله الحيدرى، وكان لعبد الله المفتى المذكور ولد يسمى عبد الفتاح الفقيه وكان أفقه أهل عصره، ويدعى بأبى يوسف الثانى، وله اخ يسمى الحاج أحمد نائب بغداد، وآخر من ادركت من

---

(١) ولد سنه ١١٥٠ هـ وينتهى نسبه إلى ابن عم السيد أحمد الرفاعى، وتوفى سنة ١٢١٣ هـ ودفن فى مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلانى.

(٢) هو السيد محمد أسعد أفندى ابن السيد محمد أمين، كما جاء فى ثبت اسمه فى كتاب المسك الأذفر، وهو الأخ الصغير لمحمد افندى مفتى الحنفية فى بغداد، وتوفى بالحلة فى ٢٠ رمضان ١٢٧١ هـ يوم الإسهال، ودفن بمقبرة قرب الوردية، بل هى فى الباب المعروف بباب الخيف (الشيخ ياسين آل باش أعيان).

رجال هذا البيت الكامل الفقيه دوريش النائب ببغداد نجل أحمد النائب، ولم يبق منهم أحد سوى بعض العصمة من آل الكسب، وهم من اهالى بهرز من قرى بغداد.

ومنهم بيت الرحبى، وهو بيت علم، وقد نشأ فيهم رجال أجلهم الشيخ عبد العزيز الرحبى شارح كتاب الخراج لأبى يوسف، ولم يبق منهم إلا بعض العامة وهم من أهالى الرحبة.

ومنهم بيت الخطيب، وهو بيت فضل وسيادة، وهم خطباء الجامع الأعظمى، وآخر من أدركت منهم الكامل الداهية السيد أحمد الخطيب، ولم يبق منهم إلا بعض العامة وهم من أهالى سر من رأى.

وأما بيت جميل. فهم بيت علم وفضل، وآخر من ادركت من هذا البيت عبد الغنى وإخوته عبد الجليل وعبد الحميد وعبد المحسن. وأما عبد الغنى فقد قرأ على جدى الفاضل محمد أسعد مفتى الحنفية الحيدرى على ما حدثنى بذلك والدى طاب ثراه، ثم تقلد عنه عبد الغنى إفتاء بغداد فى أيام على رضا باشا فهيج أهالى بغداد على الوزير المذكور المشار إليه، وبعد مدة أصطلح معه الوزير المذكور.

ومن البيوت القدمة بيت الشيخ ياسين المفتى، وهو بيت علم وفضل، ولم يبق منهم أحد.

ومنهم بيت رفه، وهو بيت فضل وسيادة وتجارة، وبقى منهم بعض التجار.

ومنهم بيت السويدى، وهو بيت علم الحديث والفضل، وقد نشأفيهم رجال أجلهم الشيخ عبد الرحمن السويدى محشى تحفة ابن حجر، ولم يبق منهم إلا بعض المكتسبة.

ومنهم بيت الرواى، وهو بيت فضل وتجارة، ولم يبق منهم إلا بعض المكتسبة، ونشأ فيهم علماء، وهم من أهل رواة من نواحى عانة.

ومنهم بيت الشواف، وهو بيت فضل وأدب، وقد نشأ فيهم رجال كالفاضل اللوذعى الشيخ عبد العزيز الشواف رحمه الله. فإنه كان الآية الكبرى فى الفهم

والذكاء. وأخر من أدركت منهم اخوة الفاضل الأديب عبد الرازق الشواف رحمه الله تعالى، وخلف الشيخ عبد الرازق نجله الكامل الأديب طه افندى. وفقه الله تعالى، وقد اخذ الشيخ عبد العزيز العلم عن عدة علماء أعلام. فأخذ عن جدى العلامة السيد أسعد المفتى ببغداد الحيدرى، وكمل على الفاضل صبغة الله الزيادى، وهم من أهالى الدير أى دير الزور.

ومنهم بيت العلامة بكتاش افندى، وقد اخذ العلم عن جدنا السيدصبغة الله الحيدرى، وهو من أجل تلاميذه، وكانت له الفكرة الثاقبة، ولم يبق منهم أحد.

ومنه بيت مدلج، وهو بيت فضل وتقوى، ولم يبق منهم إلا بعض ذوى الأرحام...

ومنهم بيت شطى، وهو بيث علم وتقوى وتجارة. من البيوت القديمة فى بغداد، ولم يبق منهم إلا بعض السكان فى الشام.

ومنهم بيت أحمد النائب، وهو بيت فضل، ولم يبق منهم أحد.

ومنهم بيت العلامة الفهامة النحرير أفضل المتأخرين الشيخ عبد الرحمن الروزبهانى طاب ثراه. فإنه كان شيخ العلماء فى عصره، وأخذ عنه كثير من العلماء الفحول لا يحصى عددهم من جملتهم عمنا العلامة السيد عبد الله المفتى الحيدرى، ومنهم علامة الدنيا سند المدققين الخطى وشيخنا العلامة الزاهد العابد أحمد الكلالى، وشيخنا العلامة الزاهد إبراهيم الرمكى، وغيرهم من الفحول، وقد أدركته واستفدت منه كثيراً من المنقول والمعقول، وكان جليل القدر عند الناس مهاباً ذا حيثية – أى منزة وقدر – عظيمة أخذ العلم عن العلامة صبغة الله الزيادى عن عمنا العلامة الولى السيد صالح الحيدرى، وكان فى زاوية حضرة مولانا وشيخنا المجدد قطب العارفين بالله مولانا الشيخ خالد النقشبندى – قدس سره وكان هو وحضرة مولانا خالد كأنهما اخوان، ولهما صحبة عجيبة من زمن تحصيل العلم إلى إكمالها، ولنا مع هذا قرابة نساء، وحق هذا البيت التقدم على البيوت السابقة. إلا أن القلم زل بتأخيره فى الذكر، وقد خلف نجله الكامل اللوذعى الصالح حبيبى أحمد أفندى – طال عمره –

وهـم من أولاد عمر بن الخطاب رضـى الله عنه.

ومـنـهـم بـيت الحـاج أسـعـد أفـنـدى، وهـو بـيت عـلـم وفـضـل، وكـان لـلـحـاج أسـعـد افندى المـشـار إليـه شأن عظـيم ورياسة كـبرى فى زمـن العلامـة الحاج داود باشـا والى بغداد، وقـد أخذ العلم مـن جدى العلامـة النحرير السـيد أسعـد أفندى المفتى الحـيدرى وعن العلامة الشيخ عـبد الرحمن الروزبهانى المشار إليه، وأخذ جـدهـم الفاضـل الصـالح عيسى العلم عن جـدنا العلامـة الفهـامة السـيـد صبغـة الله الحيـدرى، وهـذا البيـت أيضـاً مـن حقه التقديم. ومنهم الآن الكامل اللـوذعى حبيبى أحمد افندى وأخوه العالم الفاضـل العامـل الورع حـبيـبى وأخى منذ نشـات ونشـأ مـصـطفى افندى، وهـم من أولاد أبان بن عثمان بن عفان [1].

ومنهـم بيت فـرهـاد، وهـو بيت تجارة وخـيرات ومـبرات كـثيـرة، وهـم من أولاد أبى بكر الـصـدبق رضـى اللـه عنه وكان من هـذا البيت الرفـيع العمـاد المرحوم سليـمان صـاحب لـخيرات والطـاعات فإنه بنى جامعاً فى بلـدة كركوك ومدرسة جعل فيهـا كتباً كـثيـرة نفـيسـة موقـوفة، ووقـف عدة أمـلاك علـى لجامع والمـدرسة لـنفقـة طلـبة العـلم وخدمة الجامع، وأصـلهم من كركوك. والأصـل الأول من عبدلان فى نواحى الأكراد.

ومـن البيوت الرفيعة العلماء بيت اللـوذعى عبد الباقى العمرى، وهـو بيت فضـل وأدب وقد نشـأمنهم شـعـراء واجل من صـحبتـه ولازم مجالسـته اللوذعـى المبتكر عـبد البـاقى المـشـار إليـه، وابن أخـتـه الـفـاضـل اللـوذعى الأديب مـحـمـد أمين الـعـمـرى كـاتب العربية، وهـذا البيت فـى الأصـل من الموصـل [2].

ومـن البيوت الـقديمة بيت عبد الرحمـن افـندى الأعظمـى المشـهور ببيـت الـجلبية، وهـو بيت مـجد، ونـشـأ فيه عبد الرحمن المـشـار إليه، وكان داهـية، ولنا مـعهم قرابة من

---

(١) فى هـامش بعض النسخ إشارة إلى اشتهار هـذا البيت باسـم (نائب زادة)

(٢) وفـاته فـى رجب ١٢٧٨ هـ وهـو شـاعـر مـجـيـد له ديوان مـطبـوع، وأشـهـر قصـائده تخـمـيس الهمزية – كيف ترقى رقيك الأنبياء .. الخ

نساء، وبقى منهم بعض الناس، وهم من القصبة الأعظمية.

وممن نشأ فى هذا البيت الشيخ الحاج عبد الرازق افندى، وكان عليه الرحمة تقياً عازماً للفقه والحديث.

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد بيت الامام عبد الله الأعظمى وهو بيت فضل ومجد، ولنا أيضاً معهم قرابة نساء، وبقى منهم بعض الناس، وهم من القصبة الأعظمية.

ومنها بيت جرجيس فى الجانب الغربى، وهو بيت علم وتجارة، وبقى منهم العالم الكامل الشيخ داود النقشبندى، وهم من أهل عانة.

ومنها بيت الآلوسى، وقد نشأ فيهم الفاضل محمود الآلوسى (وفاته سنة ١٢٧٠ هـ) وله آثار لطيفة فى العلوم. منها تفسير روح المعانى، وهو فى الأصل من آلوس - قرية قرب عانة وقد تقلد الإفتاء.

ومنها بيت شيخى وسيدى ولى الله بلا نزاع المرشد الكامل الشريف مولانا السيد عبد الغفور المشاهدى النقشبندى، قدس سره - خليفة حضرة مولانا خالد قدس سره.

ومنها بيت سيد محمود الارفلى، وهو بيت سيادة وتجارة، وبقى منهم بعض أناس وبعض ذوى الأرحام من الأولاد الباچه چى.

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت إسماعيل كهبة، وهو من البيوت المشيدة الأركان ومن اكابر الأعيان من ذوى السيف، وكان لهم الجاه والثروة التامة.

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت محمود كهبة المشهور بأبى خنجر ولم يبق منهم أحد.

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت خليل أفندى الدفترى، وهو بيت عز، وكان الافندى المشار إليه من أكابر الرجال الذى لم تزل رجال بغداد تجتمع فى مجلسه، وبقى منهم نجله الأديب ابراهيم حلمى، وهو على

سيرة أبيه ومن يشابه أباه فما ظلم.

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت علوش افندى المعروف، وهو بيت مجد وعز، وكان الافندى المشار إليه من الرجال الثقات من ذوى الهمم العالية، وهم من عشيرة القراغول.

ومن البيوت الرفيعة الأركان بيت دورويش أغا القائممقام فى بغداد، وهو بيت مجد وعز ورياسة وله القول بين الناس، واجلهم دورويش أغا المشار إليه. فإنه كان ثقة عدلاً ذا مروءة ورأى وعقل سديد، وكان حافظ القرآن وكان مستشاراً للوزراء فى الأمور، وبقى منهم بعض أولاده النجباء.

ومن البيوت القديمة الرفيعة المشيدة الأركان بيت نعمان افندى القائممقام فى بغداد، وهو بيت مجد وعز وكان للأفندى المشار إليه الصولة القاهرة فى بغداد. حتى أنه قد اشتهر فى لسان أهل بغداد من لم يؤدبه الزمان يؤدبه نعمان، ولم يبق منهم أحد.

ومن البيوت الرفيعة العماد المشيدة الأركان بيت كهية، وهو بيت مجد وعز وخير، وقد ولى أخوه عمر باشا وزارة بغداد خمس عشرة سنة وآخر من أدركت منهم الأديب خليل بك وكان فارابى عصره فى علم الموسيقى، ولم يبق منهم إلا بعض النساء.

ومنها بيت العالم العامل أحمد افندى الزندى، ونشأ فيهم العالم المشار إليه، وكان من العلماء العاملين المشهورين بالصلاح والانزواء عن الناس، وقد أخذ العلم عن جدى العلامة السيد أسعد المفتى الحيدرى.

وخلف نجله العالم العفيف محمد أمين أفندى، وقد ولى هذا الأفندى نيابة بغداد وإفتاءها، ثم بعد حين جلب إلى دار الخلافة إسلامبول، وأنعمت عليه الدولة العلية رتبة قضاء مكة المشرفة.

وأما الفاضل محمد الزهاوى مفتى الحنفية ببغداد فهو من بلدة السليمانية فى

بغداد وسكن بها. وكانت وفاته سنة ١٣٠٨ هـ.

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد بيت الحاج صالح أغا رئيس الكتاب، وهو بيت مجد وعز وخير، وبقى منهم البعض.

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد المشيدة الأركان بيت عبد الجليل بك، وهو بيت مجد وعز ودولة خير ومن أعظم بيوت بغداد. بل لا يحاذيهم أحد فى إطعام الطعام. وكان من أكابر المنتفك وغيرهم إذا وردوا بغداد لا ينزلون إلا عندهم ويقيمون شهوراً وأعواماً، وكان جدهم يوسف باشا أمير الحجاج التوجه من جهة، وهو بيت عظيم القدر جليل الشأن، ورثوا الجاه والنجابة كابراً عن كابر، وبقى منهم البعض، ولنا معهم قرابة نساء من ذوى الأرحام.

ومن البيوت الرفيعة بيت الحاج عبد الله أغا قائممقام البصرة سابقاً[1] وكان عظيماً فى البصرة وفى بندر أبى شهر.

ومنها بيت عبد الرحمن أفندى الأرفلى المشهور ببنكچرى أفندى، وهو بيت عز، وكانت للأفندى المشار إليه الرياسة على البنكچرية فى السابق، ثم تقلد منصب الدفترية، وكان كاملاً وله عدة أولاد..

ومن البيوت الرفيعة الأركان بيت صارى كهية، وهو بيت مجد قديم، ونشأ فيهم رجال كرام، ولم يبق منهم أحد.

ومن البيوت الرفيعة القديمة بيت حسن بك متولى جامع العدلية، وهو بيت مجد وخير، وهم من أولاد صالح باشا والى كركوك، ولم يبق منهم أحد.

ومنها بيت الچرچفجى، وهو من بيوت العز ولهم قرابة نساء مع بيت متولى العادلية، وبتلك القرابة نالوا تولية الجامع المذكور بعد انقراض بيت حسن بك، وبقى

---

(١) وفاته فى سنة ١٢٢١ هـ وهو متسلم البصرة، وليس قائمقاما.

من هذا البيت بعضهم.

ومنها بيت طويق، وهو بيت عز وتجاره وجاه، ولم يبق منهم أحد.

ومنها بيت نظمى زادة، وهو من البيوت القديمة الرفيعة، وكانوا أصحاب قلم.

ومنها بيت الروزنامة چى وهو بيت عز قديم.

ومنها بيت أحمد أفندى الموف، وهو بيت عز وصلاح وخير، وكان الأفندى المشار إليه صاحب خيرات، وقد بنى جامعاً ومدرسة فى بغداد، وجعل لهاكتباً وأوقاتاً، ولم يبق منهم إلا بعض النساء.

ومنها بيت السيد رحمة الله أغا الجيبة چى، وهو من البيوت القديمة الرفيعة بيت المجد والعز والسيادة والجاه، ولم يبق منهم أحد، ودارهم صارت لصالح بيك نجل المرحوم سليمان باشا والى بغداد، ثم صارت للقنصل الإنكليزى [1].

ومنها بيت عمر أغا الجيبة چى، وهو من البيوت القديمة، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت الغرابى، وهو بيت فضل قديم ولم يبق منهم إلا بعض الناس.

ومنهم بيت القشطينى وهو بيت عز، ولم يبق منهم أحد.

ومنها بيت ميته، وهو بيت عز وتجاره، ولم يبق منهم أحد.

ومنها بيت عرموش، وهو بيت عز وتجارة، ولم يبق منهم إلا بعض الناس [2].

ومنها بيت ورنكر، وهو بيت عز ودولة وجاه، وهو من بيوت المجد القديمة ولما ورد المرحوم السلطان مراد خان بغداد دعوه إلى محلهم وأجابهم ففرشوا تحت حوافر الخيل من محل السلطان إلى محلهم ديباجاً، وبقيت القبة التى جلس فيها السلطان مسدودة إلى أيام الحاج أمين النوكمه چى ولم يبق منهم أحد.

---

(١) شق الشارع هذه البناية. فقسم منها الآن دائرة البرق المركزية، والآخر دائرة الكمارك

(٢) يطلق على هذا البيت فى ايامنا (بيت الملا حمادى).

ومنها بيت النوكمه چى، وهو بيت عز وتجارة وخير، ولم يبق مهم إلا بعض النساء.

ومنها بيت الباچيه چى، وهو بيت عز وتجارة وخيرات ومبرات ودولة وتجارة عظيمة، وقد نشأ فيهم الحاج نعمان چلبى، ونال من المال ما لم ينله أحد من التجار، وكان ذا جاه عظيم وصاحب خيرات كثيرة، وكان يطعم جميع فقراء بغداد وغيرهم من الواردين إلى بغداد سنة القحط والغلاء، وبنى جامعاً وكذا بنى أخوه الحاج أمين جامعاً فى بغداد، ثم قام مقام الحاج نعمان المذكور الحاج سليم چلبى ابن اخيه وفى حق مقامه، وبقى منهم رجال من ذوى التجارة. وأجلهم فى عصرنا هذا عبد الرحمن چلبى نجل المرحوم الحاج سليم چلبى وهو من أهل الدراية والفهم الصدق والوفاء، وهم فى الأصل من أكابر أهل الموصل من السباهية، والباچة ُچيون أخوالهم نسبوا إليهم، ولهم سابقة التوطن فى بغداد...

ومنها بيت الملا عبد الرازق الحافظ البرزلى، وهو بيت تجارة وعز وخير وصلاح وكان الملا المشار إليه من أكابر الناس ومن التجار الصالحين. ذا طاعة وعبادة كثيرة ملازم الجماعات كثير الخيرات وجيهاً عزيزاً بين الناس، وبقى منهم بعض التجار.

ومنها بيت دله، وهو بيت تجارة وعز وخير نشأ فيهم بعض العلماء كمحمد سعيد دله فإنه أخذ العلم عن جدنا العلامة السيد صبغة الله الحيدرى.

ومنها بيت الحاج سعيد البقال، وهو بيت تجارة ولهم قرابة نساء مع بيت دله، وبقى منهم بعض الأخيار.

ومنها بيت الأدهم، وهو بيت سيادة وتقوى وفضل، ويتصل نسبنا مع نسبهم فى السيد إبراهيم الملقب بالأدهم. وهذا البيت من أعظم بيوت الشرف والسيادة، ونشأ فيهم السيد عبد الله الأدهم وكان مظنة الولاية وأفضلهم فى عصرنا هذا السيد عبد الرحمن الأدهم، وهو من العلماء العاملين.

ومنها بيت سندر، وهو بيت تجارة وخير ولم يبق منهم أحد.

ومنها بيت الوترى، وهو بيت صلاح، وبقى بعض الناس، ونشأ فى هذا البيت القديم الرجل الصالح والعالم الفاضل السيد يحيى أفندى، وتقلد التدريس فى جامع الأحمدية فى بغداد.

ومنها بيت الإمام، وهو بيت خير وتجارة، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت عطاء، وهو بيت خير وتجارة، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت هاشم، وهو بيت تجارة وخير، وبقى منهم البعض من سكان الشام.

هذا ما ذكرناه من معاشرنا أهل السنة والجماعة من بعض المشاهير، وأما الشيعة فكان أعظم بيوتهم من ذوى التجارة العظيمة.

بيت المزرقچى، ولم يبق منهم إلا بعض الفقراء.

ومنها بيت كبة، وهو بيت عظيم فى التجارة، ونشأ فيهم الحاج صالح كبة وهو رجل ثقة، له حصة من العلم وصاحب خيرات وافية، وبقى منهم عدة تجار، وأصلهم من قرية بهرز من نواحى بغداد من أهل السنة والجماعة، ثم تشيعوا.

ومنها بيت عيسى، وهو بيت تجارة وافية، ونشأ فيهم السيد محمد على، وكان صاحب أخلاق حميدة ووفاء، وبقى عدة تجار، وهو من البيوت القديمة العزيزة..

ومنها بيت شالچى موسى، وهو بيت تجارة وأدب، وأصلهم من عشيرة المهندية من أهل السنة، ثم تشيعوا، وبقى منهم بعض التجار.

ومنها بيت القيمچى، وهو بيت تجارة وعز، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت المرايانى، وهو بيت تجارة وأدب، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت الخاصكى، وهو بيت تجارة وعز، وهو من أولاد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ثم تشيعوا، ولم يبق منهم إلا بعض الناس.

ومنها بيت الطالقانى، وهو بيت عز وتجارة، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت الأعرجى، وهو بيت تجارة وعز، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت جلال، وهو بيت تجارة وبقى منهم البعض.

ومنها بيت المعملچى، وهو بيت تجارة، وأصلهم من الروم وردوا إلى بغداد مع المرحوم السلطان مراد ثم تشيعوا، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت سيد يحيى، وهو بيت متجر، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت القصابچى وبيت هلال وبيت الدامرچى، وهى بيوت تجارة، وبقى منهم البعض.

وأما النصارى فمن بيوتها القديمة من ذوى التجارة والترجمانية بيت ميناس من الأرمن.

منهم بيت كزرخان، وهو بيت تجارة وافية، وبقى منهم البعض.

ومنها بيت يوسف جبره من الكاثوليك، وهو بيت تجارة قديمة، وقد سبق لأجدادهم خدمة صادقة لأجدادنا من قديم الزمان، وقد عاشوا فى دولة وصيانة، ولم يبق منهم إلا بعض النسوة والأولاد من ذى الحاجة.

ومن الكاثوليك بيت الذرية، وكان أبوهم مقتر الحال.

ومنهم بيت جبره أصفر، وهو بيت تجارة وبقى منهم بعض التجار (وهو بيت جبورى أصفر، ومحلهم فى البصرة محل كبير مشتهر بالتجارة، ورئيسه الآن البير أصفر).

ومنهم بيت إلياس عيسى، وكان بيت تجارة، وبقى منهم البعض.

ومنهم بيت اسكندر من الأرمن، وهو بيت تجارة وافية، وبقى منهم البعض.

ومن الأرمن كاثوليك بيت حنا باش، وهو بيت تجارة، وبقى منهم البعض، وغير ذلك من البيوت.

وأما اليهود فمن بيوتها القديمة من ذوى التجارة والرياسة على يهود بغداد

عزره صراف باشى، وبقى منهم البعض.

ومنهم بيت بوضه، وهو بيت تجارة، وبقى منهم البعض.

ومنهم بيت السوميخ، وهو بيت تجارة وافية، وبقى منهم البعض من التجار.

ومنهم بيت ساسون، وهو بيت تجارة وافية، ومسامحة مع العالمين، وبقى منهم بعض التجار.

ومنه بيت أبى قبلاغ، وكانوا بيت تجارة، وبقى منهم البعض من أهل الحاجة.

ومنهم بيت بحر، وهم أهل تجارة وافية، وبقى منهم البعض.

ومنهم بيت الكرجى، وهو بيت تجارة، وبقى منهم البعض، وغير ذلك.

وقد اقتصرنا على البعض من كل ملة خوف الإطناب والملل.



الباب الرابع

فى بيان عشائرها الجسيمة

فمن أجل عشائرها عشيرة المنتفك – وهى ذات كثرة وتفرع إلى عدة قبائل، فمن قبائلها: بنو مالك، والأجود، وبنو سعيد، وبنو ركاب، والخفاجة، والطوينات، والشويلات، والطوكبة، والبدور، والشريفات، والجمعيات، والماجد وآل صالح، والزهيرية، وشمر الزوابع، وشمر العبيدات وبنو سكين، وبنو تميم، والسليمات، والعيايشة، والبراجقة، والغزيوى، والعوينات، والفضيلة، وبنو نهد، وعبوده، والمجاوعة، وخرسان، وأماره وربيعة، وكويش، وسراج، وآل دراج. وغير ذلك من القبيلة الكثيرة التى يطول بيانها. وكذا فى جهة الغراف قبائل كثيرة للمنتفك يطول بيانها. وإنما قتصرنا على بعضها ليعرف عظم عشائر المنتفك وأكابرهم آل شبيب وأكابر آل شبيب آل سعدون، وهم شيوخ المنتفك فى عصرنا.

(وذكر صاحب نهاية الأرب) أن أمراء المنتفك من بنى معروف، ولم يذكر نسب بنى معروف، وأنا لم أقف عليه، وهم ليسوا من الأشراف، وجدهم الذى ورد إلى نواحى البصرة يسمى مهنا، ولما نزل فى جوار عشيرة بنى مالك من عشائر المنتفق، ووقع النزاع بين بنى مالك والأجود فى أداء رسوم الحكومة أرسل بنو مالك منها المذكور إلى الأجود لرفع النزاع بينهما وأداء الرسومات الراجعة إلى الحكومة. فلما وصل مهنا إلى الأجود قتلوه وثارت الفتنة بينهما، وغلب بنو مالك على الأجود وقتلوا كثيراً منهم، ثم صار الصلح بينهم، وشرط بنو مالك فى قبول الصلح أن يقبلوا

رياسة شبيب بن مهنا المذكور على الأجود وعلى جميع عشائر المنتفق. فقبلوا ذلك وجعلوا شبيباً شيخاً عليهم.

وكان شبيب في بيت ابن خصيفة شيخ بني مالك. فإنه ما إن قتل أبوه مهنا ذهبت به أمه إلى ابن خصيفة وأدى حق الشيمة العربية بأخذ ثار ابيه، وجعله شيخاً على جميع قبائل المنتفق، وجميع قبائلهم بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية، وهم بنو المنيفق بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة، ويقال المنيفق منتفق.

(وبيت السعدون) من أجل العرب في نواحي بغداد. وقد نشأ فيهم شيوخ أكابر كثامر وجمود وغيرهم، وشيوخهم من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وقبائلهم رفضة.

(ومن أجل عشائر العراق عشيرة إخوالنا العبيد).

وهم من حمير سلك من تبع، وهم بنو عبيد بن عدى بن رخباب بن قضاعة قبيلة من حمير من القحطانية، وقضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد من مالك بن حمير، ويحتج له بما رواه ان لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني قال قلت يا رسول الله. قال ممن يمت؟ قال من قضاعة بن مالك، وفي ذلك قال عمرو بن مرة القضاعي الصحابي:

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمير

ولهم الشجاعة المسلمة لدى القبائل والإقدام المعروف عند العشائر

وقبائلهم كثيرة منها آل علي، والحربي، وآل حمد، والسعيد، وآل عكلة، آل هيازع، وآل رياش وآل طلحة، والكبيشات وغير ذلك من القبائل الكثيرة، ومشائخهم الحمائل آل شاهر مقدار خمسمائة فارس، ولا ترى لعشيرة من العشائر حمائل بهذا العدد، وآل شاهر ليوث الحروب إذا مشى أحدهم مشى مشية الليث وهو غضبان، وإذا طعن أحدهم طعن طعنة كفم الزق وهو ملآن، وعلى الجياد المضمرات

فوارس مثل الصقور وهم من أشراف العرب وإليهم يشير الاعشى – (ولست من الكرام بنى العبيد)، وقد نشأ فيهم أكبرهم كأمثال حاتم فى الكرم والجود وفاقه فى الشجاعة.

ومنهم (لعلامة الأمير الحاج سليمان بك) خال والدى رحمه الله. وقد سبق بعض مآثره ما هى تحتمل مجلداً، وكذا أخوه الفاضل العاقل المدبر محمد بك وله تعاليق على حاشية عبد الحكيم الهندى على حاشية عبد الغفور اللارى على شرح الكافية للجامى، والصالح النقى الحاج إبراهيم بك واخوه الفاضل عبد العزيز بك والصالح النقى عبد الغنى بك والصالح حبيب بك.

وأما الأمير الكامل الأديب النجيب الحاج أحمد بك نجل المرحوم سليمان بك المشار إليه فكان نزهة عصره ادباً وكرماً وثروة وبأساً ومكارم اخلاق، وخلف احمد بك المذكور أولاداً كراماً نجباء وهم الحاج محمود بك والكامل داود بك واخوه الكامل يحيى بك من اكابر أمراء العرب بأساً وكرماً، واخوه الأديب النجيب نعمان بك كان كريم الاخلاق أديباً، وخلف عبد الغنى بك نجليه الأميرين الاديبين عيسى بك وعبد السلام، وخلف الامير محمد بك نجله الامير الكريم الاديب الشجاع جاسم بك الذى خلف نجله الأمير الاديب الكريم لطيف بك وخلف إبراهيم بك نجله الكامل النجيب يوسف بك وخلف عبد العزيز بك نجله الكريم سعود بك وخلف حبيب بك نجله الأديب عبد القادر بك. وللحاج سليمان المذكور عدة أولاد نجباء كرام غير ما ذكرناهم.

وبالجملة فإن رجال هذا البيت الرفيع العماد الكثير الرماد كثيرون، وكلهم مع إمارتهم علماء وأدباء وشعراء. مآثرهم لا تعد ولا تحصى ومناقبهم لا تستقصى. وكان لهم التقدم على سائر أكابر العرب، والرياسة على جميع القبائل، والجاه العظيم لدى وزراء بغداد ظهراً بعد ظهر. وكان كل منهم كالنعمان بن المنذر.

وكان جميع عشائر حمير كالجبور والدليم والعزة وغربر ومفرج وسائر قبائل زبيد فى طاعتهم وتحت أمرهم ورايتهم – كيف وهم من حمير بن سبأ – الذى

كانت ملوك اليمن النبابعة منه - إلا من تخلل بخلال ملكهم فى قليل من الزمن. وكان لحمير من الولد مالك والهيمسع وزيد وعريب. ومسدوح ذوائل وحمير كرب وارسا ودرما وكلهم ملوك.

ومن آل شاهر بيت سعدون المصطفى شيخ العبيد، وهو بيت رفيع العماد قوى الأوتاد، ورثوا الرياسة كابراً عن كابر - وسعدون المشار إليه من أكابر الرجال الثقات. وكانت أكابر عنيز وغيرهم بقبائلهم يأوون إليه وينزلون بجواره وحماه كابن كيشيش وأمثاله، وله الصولة على عشائر العبيد، وهو ابن بنت الأمير العلامة الحاج سليمان بيك الشاوى المشار إليه، وله عدة أولاد نجباء، وابن عمه أسعد الظاهر من أشجع العرب وكذا كنج ابن أخيه عليوى ورشيد بن أخيه محمد.

وبالجملة فإن كلا من آل شاهر ليث الوغى وبينهم بين القبائل كالشمس الطالعة فى رابعة النهار، وهم أكابر حمير من قحطان العرب العاربة، وهم الذين عناهم الأعشى بقوله (واستكثرن من الكرام بنى عبيد).

ومنهم عقيل، وهو بطن من أسد بن خزيمة من العدنانية.

ومن أكابر عشائر العراق أخوالى عشيرة طى، وهم أنجب القبائل وأكرمهم، كيف وحاتم منهم، وهم عدة قبائل كثيرة منها آل كوكب، وآل سنيس، وآل عساف، وبنو ثعلبة، وبنو عمر بن غوث، وبنو عمر سلسلة، وغير ذلك من القبائل، وشيوخهم وحمائلهم آل سيالة، وهم أولاد حاتم العرب العاربة. ووالدتى من آل سيالة أصلاً ونسباً، وهى بنت محمد باشا بن تمر باشا بن عثمان باشا الطائى حاكم كردسان.

ومن أجل عشائر العراق عنيزة، وهم عدة قبائل. منها بنو وهب، وولد على أصحاب الصر، والطيار، والفدعان، والرولة، والسبعة، والسلكة، والعمارات، والدهامشة، وآل مفرن ومنهم أكابر نجد - وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان نسبتهم فى بحث نجد - وغير ذلك من القبائل - وهم أكثر الناس عدداً. وتبلغ قبائلهم مقدار ثلاثمائة ألف نفس فأكثر رجالاً ونساء، وهم من

ربيعة ووائل من عدنان جد النبى (ص).

ومن أجل عشائر العراق الجبور، وهم قبائل كثيرة مشهورة من حمير القحطانى (من العرب العاربة) وهم بنو عم العبيد أولاد جبر شقيق عبيد. ومنها عبادة بطن من عقيل من بنى عامر بن صعصعة من العدنانية. وكانت منازلهم بالجزائر الفراتية مما يلى العراق، ولهم عدد وكثرة، وبقى منهم قليل فى هذا العصر، وغلب منهم قريش بن بدران بن مقلد فى أواسط المائة الخامسة على الموصل وحلب.

ومن أجل عشائر العراق الدليم وهم قبائل كثيرة مشهورين من حمير من العرب العربة، وهم أيضا بنو عم العبيد لأن جدهم ثامر شقيق عبيد.

ومن أجل عشائر العراق شمر، وهم عدة قبائل. منها الخرصة، والعمود، والصايح، ولهم قرابة مع العبيد والنجم، وأسلم، وهو من الصايح والعليان والبريج، والفداعة، وعبده، والفيفيلة، والعفاريت، والزكاريط، والزميل، وآل جعفر قوم ابن رشيد شيخ جبل شمر، وتبلغ قبائل شمر مائة ألف نفس فأكثر، وحمائلهم آل محمد من طئ، وجميع قبائلهم تعود إلى قحطان.

ومن أجلها عشيرة الغرير وهم من حمير ومن قبائلهم آل شهوان وآل بكر.

ومن أجلها عشيرة العزة، وهم من أولاد عمرو بن معد يكرب الزبيدى الصحابى رضى الله تعالى عنه. وهم عدة قبائل مشهورة كلهم من حمير.

ومنها آل مفرج، وهم من الأزد من القحطانية. بطن من شنوء، وهم بنو مفرج بن مالك بن نصر ونصر هو شنوء.

ومنها بنو عز، وهم وهم من حمير، ومنها العمار وهم من حمير، ومنها الجنابيون ولهم عدة قبائل: آل مهلهل، وبنو حسون، والسويضات، ومنهم الحلاونة وآل مريود، وآل بيج، وآل عساكر، وآل حسان، والثويرات، عدة أفخاذ، وآل صقر عدة أفخاذ، والخكارة عدة أفخاذ، وحمائلهم آل مرشد، وهو بيت رفيع بين العرب وكلهم من قحطان.

ومنها المهدية، وهم القصابون فى بغداد، وهم من زيد الحميرى.

ومنها الندى وهم أولاد قطر الندى من زبيد.

ومنها الجابلة وهم من زبيد.

ومنها الكميدات وهى عشيرة جسيمة ولها عدة قبائل كثيرة كلها تنتهى إلى قحطان.

ومن أشراف عشائر العراق (النعيم) فإنهم سادات، ومن اشرافها المشاهدة، وكذا منهم الحياليون فهؤلاء الثلاثة سادات.

ومن أعظم عشائر العراق الضفير، وهم قبائل كثيرة يبلغون ثلاثين الف نفس فأكثر. ومنهم بنو حسين من الأشراف ومنزلهم فى منازل المنتفك بين نجد والبصرة.

ومن قبائل العراق الكروية، وهم اولاد قيش، وينقسمون الى كروى جديد وكروى عتيق، ومنها المجمع وهم سبعة قبائل تجمعوا وتحالفوا، ويقال إنهم أولاد منصور على ماهو المشهور. لكن ذكر فى نهاية الارب: بطن من جعفر من قحطان، وهم بنو مجمع بن مالك بن سعد بن عوف بن جعفر.

ومنها بنو ويس، وهم الأوس، ولا يعلم أنهم الاوس من طابخة العدنانية والله أعلم.

ومنها العامر وهم لصوص.

ومنها بطة وهم من أفقر الناس. وجميع ما ذكرناه من العشائر المذكورة فهم من أهل السنة والجماعة. واكثرهم على مذهب الإمام الشافعى إلا عنيز وشمر والضفير فإنهم على مذهب الإمام مالك. وإلا الكروية الجديد والمجمع فإنهم على مذهب الإمام ابى حنيفة. وأما الكروية العتيق ففيهم شائبة الرفض. وقد تركنا كثيراً من عشائر أهل السنة والجماعة خوف الملل.

وأما العشائر العظام فى العراق الذين ترفضوا من قريب فكثيرون. ومنهم

ربيعة، وهم أولاد ربيعة بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن عجل بن لجم بن صعب بن على بن بكر بن وائل على ماهو المشهور وفق دعواهم، والناس مأمونون على أنسابهم والله تعالى أعلم.

وربيعة بطون كثيرة غير ربيعة المذكور، منها ربيعة بطن من شواة بن عامر بن صعصعة من العدنانية أيضاً ومنها ربيعة بطن من بنى الحارث بن كعب من القحطانية.

ومنها ربيعة بطن من الأزد. ومنها ربيعة بطن من تميم من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن كعب بن سعد بن عبد مناف بن تميم.

ومنها ربيعة بطن من حنظلة من تميم من العدنانية. ومنها ربيعة بط من خثعم. ومنها بطن من عبد شمس بن عبد مناف من قريش، ومنها ربيعة بطن من عذرة بن زيد اللات من القحطانية. ومنها ربيعة بطن من عقيل. ومنها ربيعة بطن من مضر العدنانية، وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر. وتعرف بربيعة الحمر.

ثم اعلم أن ربيعة النازلة فى الجهة الشرقية من بغداد ترفضوا مع إمارتهم منذ سبعين سنة. وأما ربيعة الذين فى الجهة الغربية من بغداد فهم من أهل السنة والجماعة على مذهب آبائهم، وعنيزة كلهم من ربيعة وهم من أهل السنة والجماعة، ولله الحمد على ذلك.

ومن العشائر العظام فى العراق بنو تميم، وهى عشيرة عظيمة من مضر جد النبى (ص) وبنو تميم بن مرة بن اد بن طابخة، واسمه عمرو بن إلياس بن مضر وسمى طابخة. لأنه كان مع أخيه عامر فى إبل لهما يرعيانها فاصطادا صيداً وقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما. فقال عامر لأخيه عمرو: أدرك الأبل وأنت تطبخ. فأدركها عامر وجابها وطبخ عمرو. فلما ذهبا أخبرا أباهما بشأنهما. فقال لعامر أنت مدركة. وقال لعمرو: أنت طابخة، وما أعلم أن بنى تميم المذكورين من طابخة بن إلياس أو من مدركة بن إلياس والله أعلم.

وقد ترفضوا فى نواحى العراق منذ ستين سنة بسبب تردد شياطين الرفضة

إليهم. وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمامة، وامتدت إلى الغرى من أرض الكوفة ثم تفرقوا بعد ذلك، وورث منازلهم غزية من طى.

ومن العشائر العظيمة فى العراق المترفضة الخزاعل، وقد ترفضوا منذ أكثر من مائة وخمسين سنة، وهى عشيرة عظيمة من بنى خزاعة فحرقت وسميت خزاعل، وهم من بنى عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا من الأزد من القحطانية. وعمرو هذا أبو خزاعة كلها، وتفرقت بطونها. فولد له كعب بطن، وعدى بطن، وعوف بطن، وسعد بطن. هذا ما ذكره ابو عبيد، وذكر فى مواضع أخر: أن خزاعة بنو أسلم ومالك وملكان من بنى أقصى بن حارثة بن عمر وبن مزيقيا. وقال القاضى عياض. المعروف فى نسب خزاعة. أنه عمرو بن لحى بن قمعة بن إلياس بن مضر، وسموا خزاعة على ماقله الكلبى: لأن بنى مازن من الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن فى البلاد نزلوا على ماء بنى زبيد ورقع يقال له غسان. وأقبل بنو عمرو بن لحى فانخزعوا من قومهم فنزلوا مكة، ثم أقبل بنو أسلم ومالك وملكان بن أقصى بن حارثة فانخزعوا عن قومهم أيضاً. فسمى الجميع خزاعة. وكانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما، وكانوا خلفاء لقريش، وكان لخزاعة ولاية البيت بعد جدهم، ولم تزل بيدهم إلى أن باعها أبو غسان بن قصى بن كلاب جد النبى (ص).

ومن العشائر المترفضة عشيرة زبيد، وهى كثيرة القبائل وقد ترفضت من ستين سنة بتردد الرفضة إليهم وعدم العلماء عندهم، إلا حمائلهم وهم آل عبد الله بن وادى بك فانهم من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه. لكن ترفض بعض الحمائل من بنى عمه ووادى بك قد توفى على مذهب أهل السنة والجماعة، وكان أميراً كريماً جواداً له من مكارم الأخلاق والافعال والأقوال مالا يسعه المقام، وكانت عطاياه كعطايا البرامكة وهو من حسنات الزمان، وهم بنو منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو مذحج ابن ادد بن زيد بن يشخب بن عريب بن زيد بن كهلان من القحطانية، وسمى سعد العشيرة لأنه بلغ ولده وولد ولده مائة رجل يركبون معه. فكان إذا سئل عنهم قال: هؤلاء عشيرتى وقاية لهم من العين ويعرف زبيد هؤلاء بزبيد الأكبر وهو زبيد الحار، وبنو زبيد أيضاً بطن من

زبيد الأكبر من سعد العشيرة المذكورة وهم بنو منبه الأصفر بن ربيعة بن سلحة بن مازن بن ربيعة بن منبه الأكبر الذى تقدم ذكره، وتعرف زبيد هذه بزبيد الاصغر. منهم عمرو بن معد يكرب الصحابى رضى الله تعالى عنه. وعاصم بن الأسقع الشاعر، وعشيرة زبيد التى فى نواحى بغداد من زبيد الاصغر. وأما العبيد والجبور والدليم فهم من زبيد الأكبر، وكلهم من حمير من القحطانية.

ومن العشائر المترفضة بنو عمير، وهم بطن من تميم من العدنانية، وهم بنو عمير بن مقاعس بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم منهم السليك بن يثرب.

ومن العشائر المترفضة الخزرج وبنو الخزرج، بطن من بنى مزيقيا من الأزد ويقال لهم الخروج الأكبر بن حارثة بن ثعلبة من مزيقيا، واذا أطلق الخزرج فالمراد هؤلاء، وهم أحد قبيلتى الأنصار إخوة الاوس، ويقال لكليهما بنو قبيلة، وبنو الخزرج بن عمرو ونسبهم مندرج فى الاوس، وبنو الخزرج أيضاً من كلب من قضاعة من القحطانية وهم بنو الخزرج بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، والخزرج هذا اخو عذرة بن زيد اللات ولا شهرة له، وما أعلم أن خزرج العراق من أى الخزرج والله تعالى أعلم.

ومن العشائر المترفضة شمر طوكه، وهى كثيرة ويدعون أنهم من قبيلة شمر المشهورة، وشمر ينكرون نسبهم.

ومن المترفضة الدوار ومن المترفضة الدفاقعة، وأبخسهم وقد قتلوا نزيلهم الوزير الكامل الصالح سليمان باشا الصغير والى بغداد حين كسره حالت افندى المأمور من جهة الدولة العلية العثمانية، وهرب ونزل عندهم وولى الافندى المومأ إليه عبد الله باشا على بغداد فلما اتوا برأسه إلى عبد الله باشا أمر بنهبهم وسبى أولادهم واستحياء نسائهم، وكان حالت افندى المشار إليه من دهاة الرجال من ذوى العقل والرأى والفضل والتدبير والكرم.

ومن المترفضة عشائر العمارة آل محمد، وهى لكثرتها لا تحصى وشيوخهم آل فيصل من عشيرة العزة وترفضوا عن قريب وتمعدنوا وهم جميعاً من قحطان.

ومن المترفضة عششائر الهندية وما اتصل بها إلى قرب البصرة، ولا يحصى عددهم إلا الله تعالى، وأكثرهم من قحطان اصلاً ونسباً إلا انهم تمعدنوا.

ومن العشائر العظيمة المترفضة عشيرة بنى لام، وهى كثيرة العدد والبطون حمايلهم من اكابر الناس كرماً ونجابة وباساً بطن من طى من القحطانية. وهم بنو لام بن عمرو بن علية بن مالك بن جدعان بن ذهل بن سرحان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طى بن ادد بن زيد ابن أشجب بن غريب بن زيد بن كهلان القحطانى، وإلى طى ينسب حاتم الطائى المشهور بالكرم، وأخباره أشهر من أن نتذكر، ومن طى زيد الخيل ابن مهلهل الصحابى رضى الله عنه، وفد على رسول الله (ص) مع وفد طى فسماه زيد الخير.

وقال (ص) ما وصل لى أحد فى الجاهلية ورأيته فى الإسلام إلا رأيته دون وصفه غيرك. وكانت منازل بنى لام فى الأصل فى المدينة إلى الجبلين، وينزلون أكثر أوقاتهم مدينة يثرب ثم أتوا إلى العراق.

ومن العشائر المترفضة عشائر الديوانية وهم خمسة عشائر. آل اقرع، وآل بدير، وعفج، والجبور، وجليحة، وكلهم يشربون من ماء الدغارة الآخذة من ماء الفرات، والاقرع ست عشرة قبيلة، وكل قبيلة كثيرة العدد. وآل بدير ثلاث عشرة قبيلة، وهى أيضاً كثيرة العدد. وعفج ثمانى قبائل كثيرة العدد. وجليحة أربع قبائل كثيرة الأعداد. واما الجبور فهم اربع قبائل كثيرة الأعداد، وهم فرقة من الجبور الذين كانوا فى الخابور من أهل السنة والجماعة إلا انهم انتقلوا من مدة طويلة إلى جهة الديوانية وترفضوا، وهذه القبائل المذكورة أهل تعصب فى الرفض لا يخرجون عن طاعة أمرهم، واكثر تحريكاتهم من تحريكات المتسيد بن المذكور. والقبائل المذكورة من أهل الشجاعة والإقدام والقوة البالغة والجسارة، ولم تزل الحروب والمقاتلة بينهم وفى كثير من الأزمان الماضية كانوا يخرجون عن طاعة والى بغداد، ويقاتلون العساكر أشد القتال. فتارة تحصل لهم الغلبة وتارة يغلبون، ومسافة منازلهم طولاً يومان وعرضاً يوم واحد، واكثر قوتهم من ماء الدغارة. فإذا سدت الدغارة ذلوا

ودخلوا تحت الطاعة وذهبت قوتهم، ولم تسعهم مخالفة الحكام. لأن أهوار الدغارة كالحصن- لهم خذلهم الله تعالى.

ومن عشائر العراق العظيمة المترفضة من مدة مائة سنة فأقل عشيرة كعب، وهى عشيرة عظيمة ذات بطون كثيرة، ومنزلها فى المحمرة ونواحيها، وكانوا من تبعة الدولة العلية العثمانية، ومنازلهم المحمرة من جملة املاك الدولة العلية أيام الوزير العلامة الحاج داود باشا. لأنها داخلة فى سواد العراق الذى هو ملك الدولة العلية وسواد العراق من عبادان إلى حديقة الموصل طولاً، والمحمرة ما دون عبادان بساعتين، وعبادان التى هى الحد أيضاً كانت للدولة العلية. لكن الدولة الايرانية وضعت يدها على هذه الأماكن وعلى ذهاب من غير حق، ودولتنا العليا أدامها رب البرية صرفت النظر عنها فى هذه الأيام لغرض لم نعلمه وإلا فقدرتها على الدولة الإيرانية كقدرة البطل الفارس الذى ركب جواداً سابقاً وعليه عدة أسلحة على الرجل الذى يمشى على رجليه وليس عنده شيئ من الأسلحة، وذلك مسلم لدى كل احد.

ومن وقف على قضية المرحوم سلطان سليم خان عليه الرحمة والرضوان مع اسماعيل شاه الصفوى الذى هو أعظم شاهات العجم وأشجعهم وأكثرهم صولة فقد علم فرار إسماعيل شاه وانهزامه وتشتت عساكره وقتل غالب جنوده وأمرائه، ثم ساقت العساكر العثمانية المنصورة من ورائه، وكادوا أن يمسكوا إسماعيل شاه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون إليه. فغنم السلطان سليم جميع ما فى خمية إسماعيل شاه وخيام عساكره وأعطى الرعية الأمان، وذلك فى سنة عشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية. ثم فى سنة الثلاثة والعشرين والتسعمائة من الهجرة توجه السلطان سليم إلى مصر وفتحها، وأخذها من الغورى الجركسى لما كان من المكاتبة والمحبة بين الغورى وإسماعيل شاه، وولى السلطان سليم خان عليه الرحمة والرضوان قضاء الحنابلة بمصر العلامة أحمد البخارى الحنبلى الأنصارى والد الشيخ تقى الدين الحنبلى صاحب كتاب فقه الحنابلة وقاضى مصر، وهو أخر قضة الإسلام بمصر من العرب، واسماعيل شاه المذكور، وهو ابن حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ صدر الدين سلطان المشائخ الشيخ صفى

الدين، وهو حسيني النسب من الأشراف، وبيتهم بيت الإرشاد والتصوف والتقوى والعلم، ولم تزل آباؤه على ذلك وعلى اظهار شعائر الاسلام واتباع السنة السنية إلى أن نشأ إسماعيل شاه، وكان اسماعيل شاه فى صغره يتردد إلى صائغ اسمه نجم فى بلاد لاهيجان، وهذه البلاد كثيرة القرى الضالة كالرافضة والزيدية وغيرهم فتعلم إسماعيل شاه الرفض فى صغره من نجم الصائغ المذكور، وكان مستخفياً فى بيت الصائغ، وكان يأتى إليه مريدو أبيه ويأتونه بالنذور ويعتقدون فيه الخير إلى أن أغواهم وكثرت داعية الفساد فخرج ومن معه من لاهيجان، وأظهر الخروج لأخذ ثأر والده وجده اللذين قتلهما شروان شاه وعمره يوم الخروج ثلاثة عشرة سنة، وكلما سار إلى منزل كثرت عليه داعية الفساد، واجتمع معه عساكر كثيرة وقصد مملكة شروان لمقاتلته فانهزمت عساكر شروان شاه وأسروا شروان شاه واتوا به إلى اسماعيل شاه فأمر أن يضعوه فى قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا، ثم سلمت له وقايع كثيرة انتصر فيها واستولى على خزائن عظيمة وعلى جميع ممالك إيران وشروان وتفليس وغير ذلك. وكان لا يمسك شيئاً من الخزائن بل يفرقها على العساكر وعلى سائر الناس، ثم صار لا يتوجه إلى بلد إلا أخذها وقتل جميع من فيها ونهب أموالهم إلى أن ملك بغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وأذربيجان وتبريز، ثم خرج عن جادة الرفض وادعى الربوبية. وكان يسجد له عسكره، وقتل خلقاً لا يحصون بحيث لا يعهد فى الإسلام ولا فى الجاهلية ولا فى الأمم السالفة مقدار ما قتله إسماعيل شاه من النفوس، وقتل عدة من أعاظم العلماء وحرق كتبهم. بحيث لم يبق أحد من اهل العلم فى بلاد العجم، وحينئذ انهزم جدنا العلامة محشى إثبات الواجب المولى الشريف محمد بن الشيخ حيدر بير الدين إلى جهة العراق، واختفى فى جبال الأكراد فى نواحى حرير، وكان فيما وراء النهر فسلم على دينه ومذهبه وروحه، ولله الحمد. فحل جدنا المذكور لدى أمراء الأكراد وعلمائهم وأكابرهم وأخذوا عنه العلم ووقروه وألفت وزراء الدولة العثمانية بعد فتحهم العراق من أيدى العجم أولاده مئونة معاشهم وتناسل آباؤنا فى العراق أحد عشر ظهراً، ونشروا العلم وألفوا الكتب المفيدة فى كل فن، وشهروا العلوم العقلية فى العراق

مخصوصاً بالمنقول مدة طويلة، ونالوا من الدولة العلية العثمانية أدامها رب البرية الثروة العظيمة والجاه ومناصب الإفتاء. ونبش إسماعيل شاه قبور المشايخ والعلماء وأحرق عظامهم، وكان إذا قتل أميراً من الأمراء أباح زوجته وأمواله لشخص ما. وكانت عساكره تعتقد فيه الألوهية، وأنه لا ينكسر ولا يقدر عليه أحد وغير ذلك من الاعتقادات الفاسدة. فلما وصلت أخباره إلى السلطان سليم خان - عليه الرحمة والرضوان - انتدب لقتاله وجهاده فجمع الجموع وكسره وفعل به ما ذكرنا أولاً. نقلاً عن صاحب الأعلام الى بيت الله الحرام - شكر الله تعالى سعيه على إزالة هذا الكافر الطاغي الخبيث الملعون وهتكه وتمزيق جيوشه الكفرة.

ثم اعلم ان عشيرة كعب بطن من خزاعة من بني مزيقيا من الأزد من القحطانية، وهم بنو كعب بن عمرو بن ربيعة، وهو يحيى بن حارثة بن مزيقيا. كان له من الولد سعد بطن، ومازن بطن، وسلول بطن، وحبشية بطن.

ومن العشائر المترفضة بنو سعد والسواچن وجعيفر وغيرهم ... وبالجملة فإن عشائر بغداد العربية من الموصل إلى البصرة لا يحصى عددهم وبطونهم إلا الله تعالى.

واما عشائر الأكراد من اهل العراق فهم كثيرون. فمنها عشيرة الورچية وهي كثيرة جداً، ونشأ منهم علماء اعلام.

ومنها عشيرة الخوشناو، وهي أيضاً كثيرة وأهل شجاعة واقدام. قتل النفس عندهم بمنزلة شرب الماء، ولم يزل القتال بينهم، ونشأ منهم علماء فحول. منهم العلامة النحرير محمد الخطي.

ومنها عشيرة البالكية، وهي كثيرة، ونشأ منهم علماء أعلام وصلحاء. منهم شيخي العلامة الفهامة الولي أحمد الكلالي.

ومنها عشيرة كوزه، وهم كثيرون وأهل اقدام.وشجاعة، ونشأ فيهم علماء أعلام.

ومنها عشيرة الكروية بفتح الكاف، وهم كثيرون وأهل إقدام وشجاعة، ونشأ فيهم علماء أعلام.

ومنها عشيرة الزيبارية، وهى كثيرة جدا، ونشأ منهم علماء أعلام.

ومنها عشيرة المزورية وهى كثيراً جداً، ونشأ منهم عماء أعلام فحول. منهم العلامة النحرير جامع المنقول والمعقول حاوى الفرع والأصول. الولى الحافظ المعمر شيخى وسندى وشيخ مشايخ العراق بالاتفاق الشيخ يحيى المزورى العمادى العمرى النسيب، وله حاشية على تحفة العلامة ابن حجر الهيتمى المكى طاب ثراهما.

ومنها عشيرة الصهران، وهى فى الأصل أمراء جميع الاكراد، والصهران من طى نسباً، ومنهم حكام كوى سنجق أولاد عثمان باشا. وقد انقرض هؤلاء الحكام وبقى منهم الضعفاء بعد أن كانوا ملوك الأكراد، والأكراد يعترفون بذلك، وحق هذه الطائفة التقدم إلا أن القلم زل بتأخيرها كما جرت المقادير بزوال ملكها.

ومنها عشيرة دزدى، وهى كثيرة جداً ذات إقدام، ولهم المخالطة التامة مع طى. يتكلمون بالعربية لا يفرقهم السامع عن طى لساناً وهيئة.

ومنها عشيرة البلباص، وهى فى غاية الكثرة والشجاعة والإقدام، ونشأ فيهم علماء أعلام. منهم شيخى العلامة المدقق إبراهيم الرمكى.

ومنها عشيرة الجاف، وهى فى غاية الكثرة والشجاعة والإقدام ونشأ منهم شيخنا وشيخ أعلام الدنيا على الإطلاق. النحرير العلامة والحبر الفهامة. قطب دائرة الإرشاد والمرشد الكامل للعباد. الولى المجدد الراكع الساجد حضرة مولانا ضياء الدين خالد العثمانى النقشبندى – قدس سره – ويكفيهم فخراً نشوء هذا الإمام منهم.

ومنها عشيرة الهركى، وهى كثيرة ذات أقدام.

ومنها عشيرة التوان وهى كثيرة.

ومنها عشيرة زند وهى كثيرة.

ومنها عشيرة زكمه وهى كثيرة، وغير ذلك من العشائر التى لا تحصى.

وجيمع الأكراد فى غاية العداوة مع العجم، وكلهم من اهل السنة والجماعة على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه. فلا تجد فى الأكراد أحداً من الرفضة وسائر البدع والضلالات، ولا أحداً من سائر مذاهب أهل السنة والجماعة من الحنفية والمالكية والحنبلية رضى الله عنهم سوى عشيرة باجلان. فإن وبعضهم حنفية وعضهم شافعية، والأكراد كلهم على ما فى القاموس من أولاد كرد بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن ماء السماء.

وذكر صاحب القاموس فى مادة مزق أن مزيقيا لقب عمر بن عامر ملك اليمن. كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالعشى يكره العود فيهما: ويأنف أن يلبسهما غيره فلذا لقب بمزيقيا.

أقول: فعلى هذا يكون الأكراد من أشراف العرب، وأما ما ذكره بعضهم من انهم ليسوا من العرب فهو من قبيل التعصب. وكفى بصاحب القاموس تصحيحاً وشهادة فهم على ماذكره المجد من قحطان من العرب العاربة نسباً. لأن مزيقيا على ما ذكره علماء النسب من بنى قحطان، والله تعالى أعلم، وتبدل لسانهم لقرب منازلهم من العجم فلسان الكرد محرف لسان الفرس.

وأما عشيرة البيات فهم من الأتراك وهم كثيرون، وفيهم الإقدام يتكلمون بالعربية لمخالطتهم مع العبيد لقرب المنزل. قيل إنهم اتوا إلى العراق مع السلطان مرادخان عليه الرحمة والرضوان. بعضهم من أهل اسنة والجماعة، وبعضهم رفضة، وحمايلهم البيكات من أهل السنة.



الباب الخامس

فى بيان العلماء

الذين أدركت عصرهم من العراقيين

فمن أجل من أدركت عصره جدى العلامة النحرير والفهامة. الذى لا يكفى بتفصيل مناقبه التقرير والتحرير. المولى الشريف أسعد صدر الدين مفتى الحنفية ببغداد. ابن الولى العلامة الشريف عبد الله الحيدرى البغدادى، وكان من الرجال الدهاة. ذا هيبة ووقار. نال من القبول والكلمة النافذة بين الناس والجاه لدى ولاة بغداد ما لم ينله أحد من العلماء، وكان ممن لا تأخذه فى الله لومة لائم، ودرس العلوم النقلية والعقلية أربعين سنة متوالية - على ماحدثنى والدى - عاش وقد قارب عمره ثمانين سنة، وأخذ عنه العلم عدة علماء أعلام. منهم العلامة الوزير والى بغداد الحاج داود باشا البغدادى. فإنه لازمه قبل الوزارة سبع عشرة سنة، وقرأ عليه المنقول والمعقول حتى فاق أقرانه.

ومنهم والدى - طاب ثراه - فإنه أخذ العلم عن أبيه وعن غيره، وكان والدى من العلماء الصالحين المفضلين. لا يعرف شيئاً من أمور الدينا. مقبولاً محبوباً عند الخواص والعوام. تقلد إفتاء الشافعية سنين كثيرة، ومات رحمه الله تعالى وقد قارب عمره تسعين سنة.

ومنهم العالم الفاضل الشريف عبد الله ابن العلامة الشريف غياث الدين الحيدرى البغدادى ابن عم جدى المذكور. قد اخذ العلم عنه ولازمه، وقد رباه جدى وعلمه العلم وأحسن تربيته لوفاة أبيه غياث الدين وهو رضيع.

ومنهم العالم الكامل مصطفى القلعبند نائب بغداد البغدادى.

ومنهم لعالم الكامل سلمان السويدى البغدادى.

ومنهم العالم الفاضل المحقق مصطفى الجورانى الكردى.

ومنهم العالم الفاضل المحقق مصطفى الجورانى الكردى.

ومنهم العالم الفاضل صبغة الله بن العلامة إبراهيم بن العلامة الشريف محشى الخيالى عاصم الحيدرى عم والد جدى.

ومنهم العالم الكامل محمد السمين الموصلى.

ومنهم العلامة الولى الجامع للمنقول والمعقول الولى الشريف عمى عبيد الله مفتى الحنفية ببغداد الحيدرى النقشبندى البغدادى.

وكذلك العلامة الأديب الأريب اللبيب الشريف عبد القادر الصدفى البغدادى أخذ عنه العلم.

ومنهم العالم الفاضل الكامل الأديب الصالح محمد سعيد البغدادى مفتى الحنفية فى بغداد.

ومنهم العالم اللوذعى المحقق عبد أغا المشهور بطوبال محمد أمين أغا زاده البغدادى.

ومنهم العالم الصالح الحاج إدريس أغا.

ومنهم العالم الأديب سليم بك.

ومنهم العالم الكامل محمود باشا نجل عبد الرحمن باشا الكردى البلبارى.

ومنهم العالم الكامل العامل الصالح أحمد الزندى الكردى.

ومنهم العالم الفاضل الشاعر اللوذعي الأديب محمد أسعد العثماني الكركوكي المشهور بنائب زاده.

ومنهم العالم الفاضل عبد الغفور الكركوكي.

ومنهم العالم الفاضل عمر الإربيلي.

ومنهم العالم الفاضل الألمعي عبد العزيز الشواف البغدادي.

ومنهم الأديب عبد الغني جميل مفتي الحنفية ببغداد.

ومنهم الجامع المب للمنقول والمعقول محمد أمين الحلي مفتي الحلة، وغير ذلك من الفضلاء مما يضيق المقام بذكرهم لكثرتهم.

فهؤلاء كلهم اخذوا العلم عن جدي المشار إليه رحمه الله تعالى، وله عدة تآليف. منها حاشية على تحفة المحتاج للشيخ العلامة ابن حجر الهيتمي المكي - طاب ثراه - حاكم فيها بين المحشين على التحفة. جمع فيها وحقق وادعى، ومنها حاشيته على حاشية المحقق عبد الحكيم الهندي على الخيال وحواشيه على حاشية العلامة اللقاني المصري على شيخ الغزي للتفتازاني في علم الاشتقاق، وحواشيه على حاشية القرباغي في المنطق، وحواشيه على حاشية العالمة الطحاوي على الدر المختار، وشرحه على اللغز البياني المشتمل على علوم شتى، وغير ذلك من التعاليم المفيدة، وكان رحمة الله تعالى واحد عصره الذي يشار إليه بالبنان علماً وعملاً وفضلاً وفهماً ودراية وعقلاً وهمة وجاها ونزوة وثروة وخيراً، وكان كثير المحبة معي، وهو الذي رباني تسع سنين، وعلمني القرآن الكريم لما كان والدي غائباً هذه المدة عن بغداد في الجبال العراقية لتحصيل العلم وقد ناسب المقام أن أذكر تآليف أجدادنا وأعمامنا السادة الحيدرية. الذين تنتهي إليهم إجازات علماء العراق بالاتفاق.

فأما تآليف جدي المشار إليه فقد سبق بعضها، ولوالدي المتوجه بكله إلى مولاه السيد صبغة الله الحيدري تعليقات وحواشٍ على شرح الشمسية في المنطق، وعلى حاشيته لداود الخوافي وعلى القرباغي وعلى شرح العصام على رسالة البيان، وعلى

حاشية المحقق عبد الحكيم الهندى على المطول وغير ذلك- رحمه الله رحمة الابرار، وجعل له الجنة خير مأوى وقرار.

وللعلامة الفهامة الولى الكامل الشريف عبد الله بن صبغة الله الحيدرى والد جدى المشار إليه حواسٍ على شرح الچغميتى فى الهيئة، وعلى حواشى إثبات الواجب، وعلى حاشية السيد السند على شرح الشمسية وعلى حاشية داود الخوافى، وعلى حاشية عصام الدين على شرح الكافية للجامى، وله شرح جليل على المسائل الهندية جمع فيها فأوعى وغير ذلك.

ولوالد هذا العلامة المشار إليه - علامة الدنيا على الإطلاق - الذى وقع على جلالة قدره الاتفاق. شيخ مشايخ العراق. خاتمة المحققين. المولى الشريف صبغة الله بن إبراهيم الحيدرى تآليف دقيقة عجيبة. كأنه قصد الإغلاق فى التعبير، وكان قوى العربية كأمثال سيوبيه، وكان فى المعقول كامثال الفخر الرازى، وفى التفسير كامثال الزمخشرى. فمن تآليفه حاشيته الجليلة على تفسير البيضاوى وحواشيه الدقيقة على حاشية المحقق عصام الدين على شرح الكافية للجامى، وحواشيه على الحاشية المسماة بالمحاكمات على العقائد الدوانية لجده العلامة أحمد بن حيدر، وحواشيه الدقيقة العجيبة على الكتب الحكمية الصعبة المأخذ، وله آثار عظيمة فى المعقول. بلغ فيها الدقة الغامضة كابن، سينا وكان إماماً جليلاً فى كل فن أخذ عنه جميع من عاصره من علماء العراق. فلا تجد إجازة علمية عراقية إلا وتتصل به وتنتهى إلى آبائه.

ولوالد هذا العلامة المشار إليه العلامة الفهامة المحقق المدقق الولى الكامل العارف الشريف مولانا وجدنا إبراهيم بن حيدر تآليف كثيرة مفيدة. منها حاشية على تحفة المحتاج للعلامة ابن حجر المكى طاب ثراه. ومنها شرح الزوراء للدوانى، ومنها الالهامات الربانية فى كل فن وهو كتاب عجيب. ومنها تفسير القرآن جمع فيه الظاهر والباطن، وهو مجلدان، وشرح تشيرح الافلاك فى الهيئة والحاشية الدقيقة على حاشية الحاشية قول أحمد على الفنارى فى المنطق، والحاشية اللطيفة على

حاشية الوغ بك على شرح المسعودى فى آداب البحث - وحاشيته ايضاً الدقيقة على حاشية المحقق ميرزا جان على حاشية السيد السند على شرح المطالع فى المنطق، وحاشيته على جمع الجوامع فى أصول الفقه، وحاشيته على شرح عصام الدين على رسالة البيان، وحاشيته على الكواكب الدرية فى القواعد الجفرية، وغير ذلك من التآليف الدقيقة المفيدة.

وقد حدثنى الذكى الملا إسماعيل بن الفاضل محمد الكلالى البالكى بأنه قد رأى له حاشية على حاشية المحقق عبد الحكيم الهندى على شرح الشمسية فى المنطق، ولم أجدها فى كتبنا. لأن تآليف أجدادنا السادة الحيدرية وأعمامنا وبنيهم موجودة عندنا، أو لدى بنى عمنا وعشيرتنا الحيدرية، ويمكن أن تكون قد فقدت من كتبنا. لأن الذى حدثنى بذلك من الثقات من ذوى العلم.

ولوالد هذا العلامة العارف المشار إليه علامة العلماء واللج الذى لا ينتهى، ولكل لج ساحل. بحر العلوم المحيط بكل منطوق ومفهوم، صاحب الكرامات العديدة والتآليف المفيدة. شيخ الكل فى الكل مولانا وجدنا المولى الشريف حيدر بن احمد. قدس سره - عدة تآليف عظيمة دقيقة. منها حاشيته العظيمة على شرح مختصر المنتهى فى أصول الفقه، وحاشيته على شرح التجريد فى علم الكلام وحاشيته على شرح حكمة، العين فى الحكمة، وحاشيته على حاشية اللارى على شرح القاضى الرومى على الهداية فى الحكمة وحاشيته على شرح العقائد العضدية للمحقق الدوانى، وحاشيته على حاشية الخيالى على شرح العقائد النسفية للتفتازانى، وحاشيته على أشكال التأسيس فى الهندسة، وحاشيته على شرح عصام الدين على الرسالة العضدية، وحاشيته على إثبات الواجب وعلى حواشيه، وغير ذلك من التآليف العظيمة الدقيقة، وجميع الكتب لا تعرف حق المعرفة إلا بهذه الحواشى المذكورة المتداولة فى أيدى علماء العراق لصعوبتها ودقتها، وعلو مطالبها شكر الله تعالى سعيه.

ولوالد هذا البحر الهمام المشار إليه العلامة الفهامة الدراكة. أفضل المحققين.

ولى الله تعالى بلا نزاع. المولى الشريف أحمد بن حيدر – قدس – سره عدة تآليف. منها حاشيته الدقيقة الواقعة على شرح عقائد الدوانية المسماة بالمحاكمات. فانه قد حاكم فيها بين جميع الحواشي الواقعة على الشرح المذكور، وصارت جادة عند التكميل فى الديار العراقية وغير ذلك من البلاد.

وحدثنى اللوذعى الأديب السيد محمد درويش ابن اختى. نجل الفاضل الكامل محمد أمين الحيدرى عن العالم الفاضل حيدر على الهندى حين قراءته المحاكمات على الفاضل الهندى المذكور أوان وروده إلى بغداد أنه قد ذكر له أن المحاكمات المذكورة لجدنا المشار إليه من الكتب المعتبرة المقررة لدى علماء الهند...

ومن تآليفه كتاب رد الرافضة، وكتاب اثبات غسل الرجلين فى الوضوء وابطال المسح، وله رسالة كبيرة فى تفسير قوله تعالى «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة الآية» ويالها من رسالة مفيدة جامعة لدقائق لطيفة –. ومنها حاشيته العظيمة على كتاب الشفاء فى علم الحكمة لابن سينا. الذى حارت أفكار فحول العلماء فى حل عبارته المشكلة ومطالبه العالية، وقد اجتمع جدنا هذا بالفاضل العلامة المحقق المدقق مولانا عبد الحكيم السيالكوتى الهندى رحمه الله تعالى فى بعض المراكب البحرية، وسأل كل منهما عن الآخر ثم تعارفا بعد المباحثة التامة، وحصلت بينهما المودة، وأهدى جدنا إليه نسخة المحاكمات، وهو اهدى إليه كتاب المطول بخط مؤلفه العلامة التفتازانى مع حاشيته عليه، والمطول المذكور موجود الآن عند بعض بنى عمنا وحاشية عبد الحكيم على المطول الذى أهداها والى جدنا هى أول ما وصلت الى الديار العراقية، وهذه النسخة ليست فى كتبنا الآن.

ولوالد هذا العلامة المشار إليه. العلامة الفهامة ولى الله بلا نزاع، ومحرر مذهب الشافعى بلا دفاع. المولى الشريف حيدر بن محمد خوارق عظيمة، وله حاشية عظيمة على تحفة العلامة ابن حجر، وكان مفتى الشافعية فى خطة العراق. ترجع إليه فحول العلماء فى الفتوى، وكان يدعى فى العراق بابن حجر الثانى وهو معاصر له.

ولوالد هذا الشيخ العلامة المشار إليه العلامة الفهامة المحقق ناشر العلوم فى العراق المولى الشريف محمد بن حيدر بير الدين – طاب ثراه – حاشية على إثبات الواجب وهو أول الواردين من ما وراء النهر. الى العراق. وقد نشر العلوم العقلية، وتلقته العلماء بالتعظيم، وأخذوا عنه العلوم، وكان يتكلم باللغة التركية الجغطائية، وولد ابنه جدنا حيدر المذكور فى العراق من أمرأة تزوجها من الباشورية من اولاد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وهم بيت علم وفضل وجاه. أقدم أهل العلم وغيرهم فى العراق. لأن جدهم أتى إلى العراق من زمن جدهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما، وياله من بيت مجد وعلم وفضل.

ولوالد هذا الشيخ العلامة المشار إليه الشيخ العلامة المرشد الكامل حيدر بير الدين بن امين الدين خوارق عظيمة، وقد جمع بين علم الظاهر والباطن.

ولوالد هذا العلامة المرشد المشار إليه. العلامة المرشد الكامل الشيخ أمين الدين كرامات وخوارق عجيبة جمع علم الظاهر والباطن، والكل من هؤلاء الرجال العظام أخذ العلم عن أبيه وكمل عليه العلوم. إلا أحمد بن حيدر صاحب المحاكمات فإنه أخذ عن ابيه العلوم النقلية وبعض العقلية، وأخذ عن غيره بعض العقلية، وسمع الحديث عن عبد الملك العصامى عن الشيخ ابن حجر المكى. كما هو مذكور فى ثبته.

وأخذ جدنا محمد العلم والطريقة عن أبيه بير الدين. عن ابيه العلامة ابراهيم برهان الدين. عن أبيه المرشد الكامل الشيخ على علاء الدين. عن أبيه المرشد الكامل الشيخ صدر الدين. عن أبيه سلطان المشايخ الشيخ صفى الدين ابى الفتح إسحاق. عن القطب الشيخ أحمد أخى حجة الإسلام أبى حامد الغزالى.

واخذ جدنا صفى الدين أيضاً عن أبيه الشيخ أمين الدين. عن والده العلامة الشيخ صالح. عن والده العلامة المرشد الشيخ قطب الدين. عن والده العلامة الحافظ المرشد الشيخ صلاح الدين رشيد. عن والده محمد الحافظ. عن والده المرشد الكامل عوض. عن والده العلامة الولى الكبير فيروز شاه. عن أبيه الولى الكبير محمد شاه. عن أبيه الولى المرشد الكامل شرف شاه. عن أبيه الشيخ محمد عن أبيه الشيخ حسن.

عن أبيه الشيخ محمد. عن أبيه الولى الجليل الشيخ إبراهيم الملقب بالأدهم. عن أبيه الشيخ جعفر. عن أبيه الشيخ محمد. عن أبيه الشيخ إسماعيل. عن أبيه المحدث الحافظ أحمد الأعرابى عن أبيه الإمام أبى القاسم حمزة. عن أبيه الإمام الهمام موسى الكاظم. عن أبيه الإمام جعفر الصادق. عن أبيه الإمام محمد الباقر. عن أبيه الإمام زين العابدين. عن أبيه الإمام الشهيد سيد شباب أهل الجنة وقرة أعين أهل السنة أبى عبد الله الحسين. عن أبيه الهمام والبطل الضرغام أسد الغلب على بن أبى طالب أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين. عن سيد المرسلين وأفضل العالمين ابن عم المصطفى (ص).

فلله الحمد على هذا النسب العالى، ولا ترى نسباً كنسب الحيدرية فى أخذ كل منهم عن أبيه، وهو من عجيب الاتفاق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ولنرجع إلى ما نحن بصدده من عد تأليف السادة الحيدرية.

وللعلامة الشريف إسماعيل الحيدرى وللعلامة الشريف عاصم الحيدرى إخوة جدنا العلامة الفهامة الشريف صبغة الله بن إبراهيم بن حيدر حواشٍ على تفسير البيضاوى، ولإسماعيل المذكور أيضاً حاشية على شرح العضدية القوشجى وعلى القرباغى، وله أيضاً شرح لطيف على رسالة الاضطرلاب، وحواشٍ على الجفر الجامع لمحيى الدين العربى – قدس سره – ولعاصم المذكور حاشية على الخيالى، وللعلامة الولى الشريف صالح الحيدرى بن إسماعيل المذكور حواشٍ على خلاصة الحساب، وللعلامة الشريف إبراهيم الحيدرى بن عاصم المذكور حواشٍ على حاشية عبد الحكيم الهندى على الخيالى، وله شرح نفيس على رسالة مسألة خلق الأعمال لجلال الدين الدوانى، وللفاضل الجامع الشريف محمد الحيدرى بن فضل الله المذكور آثار عجيبة فى كل فن، وللعلامة الفهامة الولى الشريف خالد الحيدرى، والعلامة الشريف عمر الحيدرى، وللعلامة الشريف محمد الحيدرى، وللعلامة عباس الحيدرى، والعلامة الشريف حسين الحيدرى إخوة جدنا حيدر بن احمد صاحب المحاكمات حواشٍ دقيقة على كتب علم المنقول. ولحسين المذكور أيضاً حواشٍ دقيقة على حاشية امير ابى الفتح فى آداب البحث.

وللشاب العلامة اللوذعى الشريف غياث الدين الحيدرى والعلامة الشريف حيدر مفتى الحنفية ببغداد الحيدرى، والعلامة الولى المجذوب الشريف محمد أمين إخوة وجدنا عبد الله بن صبغة الله حواشٍ على سائر كتب المعقول، وخاصة لغياث الدين. فإن له حاشية عظيمة على تحفة ابن حجر المكى، وعلى جمع الجوامع فى الأصول، وعلى مختصر المنتهى فى الأصول وعلى اللارى فى الحكمة، وعلى حاشية عبد الحكيم الهندى، على حاشية عبد الغفور على شرح الكافية للجامى، وعلى حاشية عصام الدين على الجامى، وحاشية على قول أحمد على الفنارى، وحاشية على رسالة محمد أمين فى جهة الوحدة وغير ذلك، ولحيدر المفتى حواشى تفسير البيضاوى، ومحمد أمين المذكور مع كونه مجذوباً مستغرقاً فى فكر الله تعالى وذكره له آثار عجيبة فى العلوم وكرامات عديدة - طاب ثراهم.

وللعلامة المحقق الشريف أحمد بن حيدر شقيق جدنا إبراهيم بن حيدر، وأخيه الآخر العلامة الفهامة المدقق الشريف عبد الله بن حيدر عدة حواشٍ على كتب المعقول. فمن حواشى أحمد المذكور حاشيته الدقيقة النفيسة على حاشية اللارى فى الحكمة، وقد صارت جادة تقرأ فى العراق، وحاشيته على حاشية قول أحمد التفتازنى وهى أيضاً تقرأ مع كتب الجادة وحاشيته على حاشية أمير أبى الفتح فى آداب البحث، وحاشيته على شرح عصام الدين على رسالة البيان، وعلى شرح رسالة الوضع وعلى شرح رسالة الأدب لعصام الدين أيضاً، وحاشيته على كتاب الفرائض من تحفة العلامة ابن حجر المكى، وحواشيه على حاشية عبد الغفور على شرح الجامى على الكافية، وشرحه على الزوراء للدوانى وغير ذلك. ولأولاد أحمد المذكور العلامة الشريف عبد الله والعلامة الشريف عبد العزيز والعلامة خضر حواشٍ على كتب المعقول، ولخضر حواشٍ على تحفة ابن حجر وكان عبد الغفور المذكور المعى الفكرة وله حواشٍ دقيقة على حاشية قول أحمد.

وللعلامة المحقق الشريف محمد الاخرس بن خضر الحيدرى المذكور حواشٍ على خلاصة الحساب، ولولده العلامة الشريف خضر بن محمد تفسير لقوله تعالى «الله نور السموات والأرض» الآية. وهو مجلد، وياله من كتاب جامع لأنواع الدقائق،

وللعلامة المدقق النحرير محمد بن حسين ابن بنت جدنا أحمد بن حيدر حاشية دقيقة على مير أبى الفتح وعلى عصام الوضع، وهما من الكتب المفردة، وكان محمد بن حسين من أجل العلماء غمر النسب، وبيتنا السادة الحيدرية لم يعطوا بنتاً لأحد إلى اليوم إلا لوالد هذا الحبر.

وللفاضل نعمة الله الحيدرى وأخيه الصالح عثمان ولدى عاصم بن إبراهيم الحيدرى آثار كريمة، وللفاضل الصالح من عبد الله بن حيدر اثار كريمة حسنة وللفاضل المحقق الشريف مفتي الشافعية عبد الله بن غياث الدين الحيدرى تعلياقات دقيقة على كتب المعقول.

ولولده الفاضل المحقق الشريف محمد أمين حواش لطيفة على حاشية العلامة محمد بن حسين أيضاً على حاشية مير ابى الفتح، وللفاضل الذكى الشريف ابراهيم بن صبغة الله بن عاصم الحيدرى حواش على حاشية عبد الحكيم على الخيالى، وللذكى اللوذعى الأديب محمد أمين ابن عمى الشريف عبد الغفور الحيدرى مفتى الشافعية تعليقات لطيفة على حاشية العلامة المصرى اللقانى على شرح التصريف للتفتازانى وعلى القرباغى وغيرهما، وله نظم ونثر رائق. مات شاباً.

وللعلامة الفهامة جامع المنقول والمعقول المرشد الشريف مولانا عبيد الله الحيدرى مفتى الحنفية ببغداد آثار عجيبة فى كل فن. وله نظم ونثر عجيب رائق فائق، وكان يدرس العلوم النقلية والعقلية فى أثناء الفتوى ولا يتكلف لذلك، وكان مرشداً فى الطريقة النقشبندية العلية، وهو أول خليفة لمولانا خالد من خلفاء بغداد.

وحمل الماء على جرة على ظهره بأمر حضرة مولانا خالد قدس سره وسبله فى الأزقة والأسواق مع علمه وجلالة منصبه وقدرة. هضما لنفسه وعجب الناس من ذلك، توفى وهو ابن خمس وأربعين سنة.

وكان جدى كثير المودة له مشغوفاً بحبه. توفى فى طاعون بغداد، وكان له ولدان فاضلان أديبان شاعران قد بلغا من الذكاء غاية المراتب، وهما عبد الحكيم وعبد الحليم، وكانا من عجائب المخلوقات فى الفطنة والحفظ ولهما النظم والنثر الرائق.

وقد شرح عبد الحليم، وهو الأصغر رسالة الخطيب فى البيان، وهو ابن خمس عشرة سنة، وقرأت الأجرومية فى صغرى على عبد الحليم ابن عمى المذكور رحمه اله تعالى. مات وأخوه شابين فى الطاعون بعد أبيهما بمدة قليلة، وكاد والدى يرحمه الله أن يموت من حزنه عليهما وعلى أبيهما.

وللعلامة الفاضل الذى لا يبارى والكامل الأديب الذى لا يجارى. ذى الأخلاق الكريمة والعلوم. اللطيفة صاحب القلم والتحرير والنظم والتقرير المولى الشريف عمى عبدالله صدقى الحيدرى، وكان نسخة الكمال فى كل علم ومعرفة، وهو من حسنات الزمان. له آثار عجيبة بديعة فى المراسلات والإنشاءات والصكوك العربية والتترية والفارسية. مما يتعجب منه الناظر إملاء وإنشاء وخطا، وله كتاب نفيس فى المكفرات. كقواطع العلامة ابن حجر المكى وكان كثير المحبة لى، وقد توفى فى البصرة ودفن قرب الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه وهو أكبر سناً من أخيه عبد الله. وكان رحمه الله تعالى كثير المزاح منطقيا فصيحاً كريماً بهياً حسناً قوى الجدال، يألف الكبير والصغير والغنى والفقير جم التواضع طاب ثراه وجعل الله الجنة مثواه.

ولجدى أسعد المشار إليه أخ أصغر منه وهو العالم الأديب الشريف عبد السلام الحيدرى وكان عالما بالتواريخ والأنساب، وله الوقوف التام على أخبار الأمم السالفة، وكان ملازماً له كثير المحبة له، وللفاضل سعد الحيدرى والفاضل شهاب الدين الحيدرى والفاضل عبد الوهاب الحيدرى والفاضل أحمد الحيدرى المشهور بالملا اليد الطولى فى العلوم السلفية.

هذا وترجمة جميع علماء السادة مع تأليفهم لا يسعه هذا المقام بل تحتاج إلى مجلد مستقل، وهم يبلغون مقدار ثلاثمائة عالم مؤلف ذكرنا بعضهم وبعض تأليفهم. ليعلم الناس جلالة هذا البيت المرفوعة إلى كيت وكيت.

وأما تأليفى وأنا الفقير إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن أسعد الحيدرى فكثيرة – ولله الحمد – فمنها فصيح البيان فى تفسير القرآن جمعت فيه المحاكمة

بين المفسرين، وأعلى الرتبة شرح نظم النخبة فى أصول الحديث وؤمداد القاصد للنووى، وحاشية على الجزء الأول من تحفة المحتاج للعلامة ابن حجر المكى طاب ثراه فى فقه الشافعية، وحاشية على الأشباه والنظائر الفقهية للسيوطى، وحاشية على الدر المنتقى فى شرح الملتقى فى فقه الحنفية التزمت فيها سياق الفاضل ابن عابدين الدمشقى فى حاشيته على الدر المختار وشرح مقامات الحريرى، وحاشية على كتاب سيبويه وشرح المقامة الطيفية للسيوطى، وشرح ديوان أبى العلاء المعرى، وشرح ديوان أبى تمام، وحاشية على حاشية عبدالحكيم الهندى على حاشية عبدالغفور اللارى على شرح الجامى على الكافية وحاشية على حاشية عبدالحكيم على شرح الشمسية فى المنطق، وحاشية على حاشيته أيضاً على المطول، وحاشية على حاشية جدنا أيضاً على المطول، وحاشية على حاشية جدنا خاتمة المحققين المولى الشريف أحمد بن حيدر المسماة بالمحاكمات، وفك الاشتباك شرح تشريح الأفلاك فى علم الهيئة وراحة الأرواح شرح الاقتراح فى اصول النحو للحافظ السيوطى، وشرح منظومة آداب البحث والسنوحات فى التصوف، وشرح رسالة خلق الأعمال لحضرة مولانا وشيخنا المجدد خالد النقشبندى قدس سره، وحاشية على حاشية العلامة المحقق محمد بن. حسين بن بنت جدنا أحمد بن حيدر على حاشية أمير أبى الفتح على شرح رسالة الحنفية فى آداب البحث، وحاشية على حاشية القرباغى على شرح الإيساغوجى فى المنطق، وكتاب الحسب فى النسب جمعت فيه انساب العرب ومأثرهم وأصول الخيل والإبل والعلامات الجيدة والردية فيهما، والصراط المستقيم فى الرد على النصارى، وكامل التوقيع فى فن البديع، وإمعان الألباب فى الاضطراب، وحاشية على شرح الشافية للجابردى فى علم الصرف، وحاشية على ألفية ابن مالك للحافظ السيوطى، وتعليقات على مغنى اللبيب وعلى حكمة العين وعلى حاشية اللارى على شرح الهداية فى الحكمة، وتعليقات على شرح مختصر المنتهى فى الأصول وعلى حاشية ألوغ بك على شرح التصريف وعلى حاشية أمير أبى الفتح على شرح التهذيب للدوانى فى المنطق وعلى الفاكهى وعلى قول أحمد وعلى شرح السراجية للسيد السند فى الفرائض وعلى غالب كتب المقدمات، وغير ذلك من

الرسائل المفيدة والألغاز والإنشاءات والحمد لله تعالى حمداً يوافى نعمه ويكافى مزيده.

وقد أخذت العلوم عن عدة أعلام سيأتى إن شاء اللّه تعالى بيانهم.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من بيان علماء العراق الذين أدركت عصرهم وأخذت عنهم فأجل من أدركت عصره وأنا صغير شيخنا ومقتدانا قطب دائرة الإرشاد المرشد العارف باللّه الكامل الإسناد. مجدد العصر والأوان شمس الحقيقة والعرفان. علامة الدنيا على الإطلاق. المشهور فى جميع الآفاق. صاحب الولاية الكبرى. والأنفاس القدسية والإلهامات الذوقية الربانية. قدوة العارفين وسند الواصلين. جامع المنقول والمعقول. حاوى الفرع والاصول. حجة الإسلام، وشيخ الخاص والعام. الراكع الساجد – ضياء الدين – حضرة مولانا خالد النقشبندى المجددى العثمانى الشافعى قدس سره وأعاد علينا بره فإنى قد أدركت عصره، وجلست فى ختمه الخواجكانى بجنبه ودعا لى وللّه الحمد. فإن خليفته عمى العلامة الشريف عبيد اللّهّ الحيدرى المفتى هو الذى أجلسنى بجنبه حين قراءة الختم الشريف وأنا مريض، وكان شفائى ببركة جلوسى بجنبه وبدعائه. ثم اخذت الطريقة العليه النقشبندية الخالدية من خليفة ولى اللّه بلا نزاع والمستغرق فى فكر مولاه. قدوة العارفين ومرشد الكاملين الولى النبوى والسيد الشريف العلوى فقيه عصره مولانا ومقتدانا السيد عبدالغفور المشاهدى الشافعى قدس سره، وكان محبوباً لحضرة مولانا خالد. ومن أعظم خلفائه العارفين الكاملين المرشدين، ولهذا السيد شيخنا المشار إليه كرامات ظاهرة شاهدت منها كثيراً، وكان محبوباً مقبولاً معظماً لدى الخواص والعوام، وله من مكارم الأخلاق ما يتحير منه الناظر، وهو قد سلك أولاً على يدى عمنا العلامة الشريف عبيد الله الحيدرى المشار إليه، ثم خلفه حضرة مولانا خالد قدس سره.

ومن جملة خلفاء حضرة مولانا خالد العالم الولى الكامل العارف المرشد الذى أجمع على حبه والاعتقاد به مولانا الشيخ موسى الجبورى الشافعى، والولى العار

الكامل المرشد مولانا محمد الجديد الحنفى البغدادى، وقد أدركتهما وفزت بدعائهما ونظرهما إلى كسرى. وهما أيضاً قد سلكا أولا على يدى عمنا الشريف عبيد الله الحيدرى المشار إليه، ثم خلفهما حضرة مولانا خالد، وصارا كشيخنا السيد المشاهدى. ومن اعظم خلفاء حضرة مولانا خالد، وكان هؤلاء المشايخ الثلاثة العظام مع عمنا المشار إليه كأنهم روح واحدة. وعليهم مدار الإرشاد فى بغداد بعد توجه حضرة مولانا خالد إلى الشام، وعمى المشار إليه توجه بخدمته الى الشام ثم أمر بالعود إلى بغداد. وخلفاء حضرة مولانا خالد كلهم اعلام، ولا يحصى عددهم لكثرتهم فى البلاد.

ثم إن علوم حضرة مولانا خالد وخوارقه وكراماته وكرمه ومكارم أخلاقه واتباعه للسنة وجلالة قدره وعلو شأنه وانقياد العلماء الفحول له ومناقبه لا يسعها هذا المقام. بل تحتاج إلى مجلد ضخم. ثم لما كمل العلوم ودرسها مدة ترك أهله ومدرسته وذهب إلى دلهى من بلاد الهند، وسلك على يدى قطب العارفين الولى الأكبر مولانا شاه عبد الله الدهلوى. فخلفه مع العارف الولى الشيخ أبى سعيد الهندى فى يوم واحد، وأمر حضرة مولانا خالد بالتوجه إلى بغداد للارشاد. فعاد وصار له من الشأن ما صار كالشمس فى رابعة النهار، وانتفع به من الأمم مالا يحصى عددهم إلا الله تعالى، وكان قدس سره كثير المحبة لجدى أسعد الحيدرى، وجدى من أعظم المخلصين له، ونحن معاشر الحيدرية الذين روجنا أمر حضرة مولانا خالد فى بغداد وخدمناه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وقد أخذ حضرة مولانا العلم عن عدة علماء منهم العلامة صالح الترمارى. عن العلامة الولى الشريف عمنا صالح الحيدرى.

ومن أعظم من أدركت عصره وأخذت عنه شيخى علامة العلماء واللج الذى لا ينتهى ولكل لج ساحل، جامع المنقول والمعقول. حاوى الفروع والأصول. شيخ الكل فى الكل. حجة الإسلام. سند العلماء الأعلام. الولى الكامل العارف. الذى قد بلغ من مكارم الاخلاق وتواضع النفس حداً لم نره فى أحد من المعاصرين. مولانا ومقتدانا الشيخ المزورى العمادى – قدس سره – وقد قرأت عليه صحيح البخارى وأجازنى به وبجميع الكتب الصحاح وسائر العلوم، وقرأت عليه شرح النخبة فى أصول الحديث

والاشباه والنظائر الفقهية للحافظ السيوطى، ولازمت خدمته وفزت بنظره ودعائه، وكان كثير المودة لى يعدنى كأحد أولاده، وكانت له حقوق عظيمة مع جدى العلامة الشريف أسعد الحيدرى، وبينهما محبة عظيمة كأنهما أخوان. أخذ العلم عن عدة مشائخ أعلام منهم العلامة الشريف عاصم بن إبراهيم الحيدرى عم جدى المشار إليه، وله تاليف عديدة منها حاشيته على تحفة العلامة أحمد بن حجر المكى تصدى فيها للجواب عن اعتراضات العلامة ابن قاسم العبادى على الشيخ ابن حجر، ومنها حاشيته على شرح عصام الدين على الرسالة الوضعية، ومنها شرحه على المسائل الحسابية فى آخر خلاصة الحساب التى تحير فى حلها الحكماء، وغير ذلك من التعاليق المفيدة وأخذ عنه جميع علماء العراق ممن فى عصره، وهو شيخ مشايخ العراق، وكان عندهم بمنزلة الشيخ ابن حجر، وقد قرأ تحفة المحتاج للشيخ ابن حجر أكثر من ثلاثين مرة، وبلغ من العمر قريباً من مائة سنة، وقرأ تفسير البيضاوى مع حواشيه وكذلك درس العلوم النقلية والعقلية، وكتب الحديث سبعين مرة، وقد اخذ الطريقة النقشبندية عن شيخنا قطب العارفين حضرة مولانا خالد قدس سره، وكان حضرة مولانا خالد كثير المحبة والاحترام له.

وقد حدثنى العالم الشريف الشيخ إسماعيل البرزنجى - وكان البرزنجى من خدام حضرة مولانا خالد- بأن العلامة المزورى كان قد نام يوماً قبل الظهر فى حجرتى فأتى حضرة مولانا خالد إلى زيارة المزورى فى حجرتى فرآه نائما فقبله من فمه. ثم خاطبه بقوله: متعنا الله بحياته.

ومن أجل ما استفدت منه وكنت ملازماً لمجلسه. العلامة الفهامة النحرير صاحب اليد الطولى فى العلوم العقلية مع التقرير شيخ علماء العراق المشهور فى الآفاق. فهامة الزمان. محقق العصر والأوان. العالم العامل الورع التقى النقى مولانا الشيخ عبد الرحمن بن حسين بك الروزبهانى - طاب ثراه - وكان من أكابر العلماء العاملين المحترمين. ذا جاه ووقار وتؤدة وبهاء وكرم. اخذ العلم عن العلامة صبغة الله الزيادى الكردى. عن العلامة الولى صالح الحيدرى، وأخذ عنه علماء فحول كثيرون، وانتفع به الناس انتفاعاً عاماً، ودرس العلوم اربعين سنة متوالية، وله من

التحقيقات ما يكتب على العيون، وهو خاتمة المحققين، وقد قام في مقام حضرة مولانا خالد قدس سره ومدرسته في بغداد.

وكان حضرة مولانا خالد يعده في منزلة أخيه. لما بينهما من الحقوق القديمة من أوان التحصيل، وبالجملة فإن حضرة مولانا خالد وجدي العلامة أسعد الحيدري والعلامة شيخنا المزوري والعلامة شيخنا الروزبهاني المشار إليه كانوا بمنزلة الإخوة في المحبة والعلم والفضل والحقوق. إلا أن حضرة مولانا خالد صار رئيسهم لما نال من الولاية الكبرى، وهم في غاية الطاعة والانقياد والخدمة لحضرته، وهو في غاية الاحترام والتوقير لهم ولا سيما لجدي. طاب ثراه - وجعل الله الجنة مأواهم.

هذا وكنت أسأل شيخنا العلامة الروزبهاني عن المواضع المشكلة من تحفة العلامة ابن حجر المكي وغيرها من كتب المعقول الدقيقة المأخذ فكان يشفي غليلي - شكر الله تعالى سعيه - وكان حلال المشكلات لأهل العلم، وانطفأت بموته أنوار العلم في بغداد، وتهدمت قواعد الفضل والرشاد، وكان كثير المودة لي ولبيتنا السادة الحيدرية، وكأنه من بيتنا، ولنا معه قرابة نساء كما سبق.

وقد نشأت مع نجله العالم الفاضل النجيب الكريم أخي وحبيبي أحمد منذ أيام التحصيل، وقرأنا معاً، ولم نفترق - طال عمره - وكانت لشيخنا العلامة الروزبهاني المشار إليه اليد الطولى في علم الأصول والكلام والحكمة والمنطق والرياضيات وكان فائقاً في الرياضيات على كل أحد، ولنجله المشار إليه الفكرة الدقيقة في الرياضيات وقد بقي شيخنا المذكور مع شيخنا المزوري كثيراً، وبقيا مدة طويلة بعد موت حضرة مولانا خالد. قدس سره - وجدي ثم بقي الروزبهاني مدة طويلة بعد المزوري.

ومن اجل من أدركته وانتفعت به شيخي وقدوتي العلامة الفهامة النحرير والحبر الذي لا يفي بتفصيل فضائله ومناقبه التقرير والتحرير الولي الزاهد العابد الراكع الساجد الصائم. مولانا أحمد بن علي الكلالي البالكي، وكان. طاب ثراه - صائم الدهر لم يزل ساجداً في المحراب. أخذ العلم عن عدة علماء. منهم العلامة

الفهامة المدقق محمد الخطى، والعلامة الفهامة أبو بكر الأمير رستمى، والعلامة الذكى على الوشى وغيرهم، وكمل العلوم على شيخنا العلامة النحرير ومولانا الشيخ عبد الرحمن الروزبهانى المشار إليه، وقد لازمت شيخى الكلالي المذكور عدة سنين، وقرأت عليه مغنى اللبيب وكتاب سيبويه، وخلاصة الحساب وتحفة المحتاج لابن حجر المكى، وأواخر الأشباه والنظائر الفقهية للسيوطى، وحكمة العين مع حاشية السيد السند إلا مباحث الرياضيات منها وبعضاً من فن المعانى، وجميع فنى البيان من المطول مع حاشيته للفاضل المحقق عبد الحكيم الهندى. وأشكال التأسيس وجمع الجوامع مع حواشيه لابن أبى شريف وشيخ الإسلام زكريا الانصارى إلا أوائله، وشرح مختصر المنتهى مع حاشيته للسيد السند، والخيالى مع حاشيته لعبد الحكيم إلا أوائله، وإثبات الواجب وتفسير القاضى البيضاوى، وشرح العقائد العضدية للمحقق الدوانى مع حاشيته لجدنا العلامة الشريف احمد بن حيدر المسماة بالمحاكمات، وشرح المطالع مع حاشيته للسيد السند إلا بعضاً من أوائله، وشرح المحقق الدوانى على تهذيب المنطق مع حاشيته لأمير أبى الفتح إلا بعضاً من أوائله، وشرح الأندلسية فى العروض وشرح الإيساغوجى مع حاشيته لمحيى الدين، وشرح الألفية للسيوطى، وبعضاً من شرح الكافية للجامى، وشرح التصريف للتفتازانى، وغير ذلك من المقدمات التى قرأتها عليه فى عنفوان الشباب. شكر الله تعالى سعيه وجزاه عنى خير الجزاء – وكنت استغرق الوقت حين الدرس من بعد صلاة الصبح إلى المغرب سنين كثيرة، وكان. رحمه الله. كثير السعى معى بحيث لا يقرأ عنده أحد إلا برخصة منى، وكان أهل العلم يحسدوننى على ذلك، وهو يعتذر عنى بأن لى حق عليه بمشيخه آبائى وأجدادى.

وبالجملة فإنه لا يستفيد منه أحد غيرى من أهل العلم إلا إذا سافر إلى محل آخر أو اغتلس وقتاً، وكان فى بعض الأحيان يختفى عنى فى بعض زوايا المسجد للعبادة. فكنت أفتش عليه وألقاه ساجداً فى زاوية خفية فإذا فرغ من العبادة قام إلى إفادتى، وكان من حاله أنه فى أثناء الدرس يقوم ويصلى نفلا ثم يعود إلى الدرس دفعة بعد دفعة، وكان يقوم الليل ويصوم النهار، ولم أر مثله علماً وعملاً، وكان لا

يتكلم إلا بذكر الله تعالى والعلم.

وقرأ شيخنا هذا تحفة ابن حجر وغيرها على شيخنا حجة الإسلام الشيخ يحيى المزورى والروزبهانى من المفرطين فى حبه واحترامه، وكذا سائر العلماء ولما سمعت بموته كدت أن أموت حزناً عليه - طاب ثراه - وجعل الجنة مثواه، وعلى العلم والعبادة السلام، وكان بحراً زاخراً فى كل العلوم النقلية والعقلية لا يعرض عليه شئ من المشكلات إلا حله بأدنى التفات ونظر، وهو آية من آيات الله تعالى بين أهل العلم. نفعنى الله تعالى بعلومه الشريفة وحشرنى معه يوم القيامة.

ومن اجل من أدركته وأخذت عنه العلم شيخى وسندى الولى العلامة المحقق والفهامة اللوذعى المدقق العالم والورع الصالح الصامت الكامل. مولانا إبراهيم بن حسين الرمكى، وكان منزوياً عن الناس لا يتكلم بكلام الدنيا مشغولاً بالعلم والعبادة. أخذ العلم عن عدة أعلام. منهم العلامة النحرير محمد الخطى، والعلامة على الرستمى وغيرهما، وكمل العلوم على العلامة الفهامة شيخنا عبد الرحمن الروزبهانى، وقد لازمته أيضاً عدة سنين، واستفدت منه، وقرأت عليه الفنارى مع حواشيه لقول أحمد وعبد الله بن حيدر وأخيه إبراهيم بن حيدر الحيدرى وبرهان الدين، ورسالة جهة الوحدة للفاضل محمد أمين محمد مع حواشيها للعلامة الشريف غياث الدين الحيدرى، وقرأت عليه شرح التهذيب لعبد الله اليزدى مع حاشيته لعبد اللطيف، وشرح رسالة البيان لعصام الدين مع حواشيه للعلامة الشريف احمد بن حيدر ولأخيه العلامة عبد الله بن حيدر الحيدرى وللفاضل المحقق حسن الزهبانى وللفاضل الشرانشى، وشرح الرسالة الوضعية لعصام الدين مع حواشيه لجدنا العلامة النحرير حيدر، ولابن اخته العلامة محمد بن حسين وللفاضل الشرانشى، وقرأت عليه حاشية أمير أبى الفتح فى آداب البحث مع حواشيه للعلامة الشريف عبد الله بن حيدر الحيدرى وللعلامة المدقق محمد بن حسين ابن عمته، وشرح المسعودى مع حاشية ابن الوغ بك وحاشيتها لعبد اللطيف فى آداب البحث، وشرح الشمسية مع حواشيها للسيد السند، وداود الخوافى، وبعضاً من المطول مع حاشيته لعبد الحكيم الهندى، وبعضاً من جمع الجوامع وحواشيه، ونبذة

من الأشباه الفقهية للسيوطى، وجزءا من شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا الانصارى، وشرح مقدمة الحضرمية لابن حجر، ونبذة من تحفة ابن حجر، والفوائد المدنية للفاضل المحقق محمد بن سليمان المدنى، وحاشية العلامة المصرى اللقانى على شرح التصريف للتفتازانى مع حواشيها للعلامة ابن قاسم العبادى وللفاضل المحقق احمد الكدرى وحسين الألمعى البرزنجى، وقرأت عليه أيضاً حواشى شرح الجامى على الكافية للفاضل عبد الغفور اللارى وعبد الحكيم الهندى وعصام الدين، وشرح الكافية للجاربردى مع حاشيته لابن جماعة، وغير ذلك - شكر الله تعالى سعيه.

وكان شيخنا هذا أيضاً كشيخنا العلامة أحمد الكلالى فى غاية الشفقة على والسعى معى، وكانا هما كأنهما أخوان، وفى الدرس والتحصيل رفيقان. فإذا غاب احدهما عنى لازمت الآخر قدس الله تعالى روحهما وقد سافر إلى حج بيت الله الحرام وزيارة خير الانام عليه الصلاة والسلام، ثم إلى مصر ثم إلى حلب، وتوفى فيها، وحزن اهل العم على موته .... فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن أجل من ادركته وأخذت عنه شيخى الولى العلامة الجامع للمنقول والمعقول الزاهد الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم مولانا أحمد بن رسول الكرارى المشهور بالواعظ فى أربل، وكان ينام فى المدرسة على الأرض ولا يذهب إلى بيته إلا ليالى الجمعة، وكان عالماً عاملاً متعظاً مهاباً عند الخواص والعوام كأنه أسد ضرغام لشدة تقواه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وزجره عما لا يرضى الله تعالى ولو كان المرتكب أميراً، وكان يأكل الخبز وحده مع الماء غالب الأوقات ولا يقبل من الأمراء شيئاً، ومناقبه لا تحصى. لازمته وقرات عليه نصفاً من شرح المطالع مع حواشيه للسيد السند والمحقق ميرزاجان، ونصفاً من شرح التهذيب للدوانى مع حاشيته لأمير أبى الفتح، وكان كثير المودة لى ولله الحمد. اخذ العلم عن عدة علماء منهم والده الفاضل، ومنهم الفاضل عبد الله الكردى والفاضل الشريف صبغة الله بن إبراهيم بن عاصم الحيدرى وغير ذلك.

ومن أجل من أدركته وأخذت عنه العلم الولى العالم العامل والفاضل الكامل الورع العابد والصالح الزاهد أبو بكر الملقب بكچك الإربلى، وكان من أكابر العلماء العاملين ذا جاه واحترام. أخذ العلم عن عدة أعلام منهم ابوه الفاضل الصالح عثمان عن العلامة الشريف صالح الحيدرى، ومنهم الفاضل الذكى عبد الرحيم الزيارى، ومنهم العلامة المشير داود باشا البغدادى والى بغداد سابقاً، وكمل العلوم على شيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن الروزبهانى، وقرأت عليه حاشية القرباغى على شرح الإيساغوجى فى المنطق، وبعضاً من حاشية داود على شرح الشمية.

ومن اجل من أدركته الفاضل الذكى محمد فيضى السليمانى الكردى مفتى الحنفية ببغداد، ولهذا الفاضل اليد الطولى فى العلوم العقلية وله قوة الجدل والمناظرة، وقد جادل كثيراً من علماء الشيعة وأبهتهم، وقد أخذ العلم عن عدة أعلام منهم العلامة محمد الذكى الصاوچيلاغى عن العلامة النحرير الشيخ يحيى المزورى عن العلامة الشريف عاصم الحيدرى والعلامة الشريف صالح الحيدرى.

ومن اجل من اخذت عنه العالم الفاضل الكامل المحقق محمود العمر كنيدى، وكانت له اليد الطولى فى العلوم الرياضية قرأت عليه تشريح الأفلاك فى علم الهيئة واوائل الخيالى مع عبد الحكيم. أخذ عن والده الفاضل محمد عرب عن العلامة أحمد الطبقچلى عن جدنا العلامة عبد الرحمن الروزبهانى.

فهؤلاء من أخذت عنهم العلم وأجازونى به – أما من اجازنى – فمن أجلهم الفاضل الجامع للمنقول حاوى الفروع والأصول فقيه الزمان ونخبة الأعيان شيخ الإسلام ومفتى الأنام العالم العامل الفاضل والورع النقى العفيف الكامل صاحب الأخلاق المحمدية والشمائل الحسنية المرضية. مولانا ومقتدانا حضرة محمد رفيق افندى. فإنى قد تشرفت بلقائه فى دار الخلافة قسطنطينية والتفت إلى التفات مودة وشفقة، وفزت بنظره الاكسيرى، وأجازنى بجميع مروياته، وكان إذ ذاك أمين الفتوى ثم ولى مشيخة الاسلام، ولم أر أحداً بمكارم اخلاقه وتواضعه ومحبته لأهل العلم والطريقة والفقراء، وهو من المخلصين لحضرة مولانا خالد – قدس سره،

ومن مريدى بعض خلفائه، وله اليد الطولى فى العلوم الدينية والاطلاع التام على مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه. كثير الورع والتقوى والعفة متعنا الله بحياته.

ومن أعظم مشايخى ومن أجازنى بجميع العلوم شيخى العلامة النحرير المشير والحبر الذى لا يفى بتفصيل فضائله لسان التقرير. جامع المنقول والمعقول حاوى الفروع والأصول صاحب الخيرات والجوامع والمدارس، ومن شيد كل فضل دارس حضرة الحاج داود باشا شيخ الحرم الشريف النبوى والوالى فى بغداد سابقاً البغدادى. فإنه أجازنى بجيمع العلوم كما أجازه شيخه جدى العلامة النحرير أسعد الحيدرى مفتى الحنفية ببغداد، وأجازنى بالحديث بإجازته عن العلامة «باحسن زين جمل الليل المدنى» وقد درس هذا المشير قبل وزارته وفى أثنائها العلوم النقلية والعقلية ثلاثين سنة، وأخذ عنه عدة أعلام منهم والدى رحمه الله تعالى فإنه من أخلص ملازميه وطالبيه سنين كثيرة، وهو كان كثير المودة لوالدى لأنه اخذ العلم عن أبيه كما قررناه، وكان وفياً لم يزل يبر والدى ويكاتبه منذ عزل عن بغداد إلى أن توفى رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار القرار، وكذلك كان يكاتبنى ويرسل لى الهدايا. خاصة من المدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام.

وممن أجازنى من علماء الروم العالم الفاضل الكامل عبد الرحمن كاملى البرسوى.

وأما من قرأت عليه فقه الشافعية والحنفية وعلم الفرائض وكتب النحو والصرف والأدب فى صغرى. فمنهم العالم الفاضل الأديب الفقيه محمد سعيد المفتى الحلى وغير ذلك والعالم الفاضل الصالح محمد الروزبهانى والعالم الكامل الصالح عبد الله الداغستانى وغيرهم رحمهم الله تعالى، والعالم الفاضل الذكى الأديب محمد الإربلى.

ومن أجل من أدركت عصره العلامة المحقق الفهامة المدقق صاحب الذهن الوقاد والفكر النقاد وشيخ العلماء الورع الصالح اللوذعى محمد الخطى الكردى، وكان من أعظم علماء العراق، وقد انتفع به خلق كثير وصار شيخ عصره فى كل فن، وكان له

اليد الطولى فى التحقيق والتدقيق. أخذ عنه علماء أعلام منهم شيخنا العلامة الولى أحمد الكلالى، وشيخنا العلامة الزاهد إبراهيم الرمكى وغيرهم مما لا يحصى عددهم، وهو قد أخذ العلم عن عدة أعلام. منهم علامة الدنيا على الإطلاق مولانا محمد بن آدم، ومنهم العلامة أبو بكر الأمير الرسمى وغيرهم، وكمل العلوم على شيخنا العلامة الفهامة عبد الرحمن الروزبهانى، وقد شرحت تشريح الأفلاك وأرسلته إليه فاستحسنه غاية الإحسان وقرظه، وكان كثير المحبة لى لما بيننا من الحقوق القديمة له آثار دقيقة على بعض كتب المعقول، وله رسالة عجيبة فى مسألة العلم من علم الكلام رحمه الله تعالى متبحرا فى كل علم منقول ومعقول تشد اليه الرحال من كل جانب.

ومن أعظم من أدركت عصره وأنا صغير وهو نزيل عند جدى العلامة أسعد الحيدرى طاب ثراه علامة الدنيا على الإطلاق الفائق على جميع مشائخ العراق صاحب التأليف العديدة والتقريرات المفيدة شيخ الكل فى الكل مولانا محمد بن آدم الكردى طاب ثراه، وقد قرأ عليه حضرة مولانا خالد قدس سره وأخذ عنه كافة فحول العراق، وكان جدى العلامة وشيخنا العلامة يحيى المزورى وشيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهانى الذين هم مشايخ علماء العراق كافة يعترفون بفضله وتقدمه وعلمه المحيط، وكان بمنزلة الفخر الرازى. له أكثر من مائة تأليف فى العلوم النقلية والعقلية وشرح إثبات الواجب الذى هو أرق كتب الكلام من حفظه بدون استمداد من كتب الكلام، وكان الآية الكبرى فى عصره. ولو عدمت كتب العلوم لاستطاع أن يؤلف مثلها من حفظه، وهذا ليس على سبيل المبالغة. بل بيان الواقع الذى اعترف به جيمع علماء العراق، وكان كثير الاسفار قوى الدين لا تأخذه فى الله لومة لائم. اخذ العلم عن العلامة الولى عبد الله البايدى عن جدنا افضل المتاخرين العلامة الفهامة شيخ مشايخ العراق بالاتفاق الولى الشريف صبغة الله الحيدرى قدس سره.

ومن اجل من ادركت عصره العالم الفاضل العلامة أبو بكر الأمير رستمى الكردى، وكان من مشايخ العلماء المتبحرين. أخذ عنه العلامة الخطى وشيخنا العلامة أحمد الكلالى وشيخنا العلامة الزاهد إبراهيم الرمكى وغيرهم من الفحول،

وهو قد أخذ العلم عن العلامة الفهامة الولى جنيد عصره عبد الرحمن الچلبى عن العلامة النحرير الشريف محمد بن خضر الحيدرى، وله حواشٍ دقيقة مفيدة على أكثر كتب المعقول ولا سيما على حاشية العلامة عبد الحكيم الهندى على شرح السمسية من المنطق، وله اليد الطولى فى علم البلاغة، وله رسالة فى البيان ورسالة فى علم الوضع، وهما من احسن الكتب فى الفنين المذكورين، وقد صارا من الكتب الجادة لدى طلبة العلم فى العراق، وقد حدثنى شيخى العلامة احمد الكلالى وشيخى العلامة إبراهيم الرمكى عن ابى بكر المشار إليه بأنه حدثهما - انه لما الف الرسالتين المذكورتين نسبهما للطلبة إلى السادة الحيدرية ليحصل تروجهما لما لأهل العلم فى العراق من الرغبة التامة فى تأليف الحيدرية، ولما شاعا وانكب الطلبة على العلم أعلن نفسه.

ومن أجل من أدركت عصره العلامة الذكى أحمد الميركى الكردى، وكانت له اليد الطولى فى علم آداب البحث. أخذ عنه كثير من العلماء، وهو أخذ العلم عن العلامة الشريف صالح الحيدرى والعلامة الشريف إبراهيم بن عاصم الحيدرى.

ومن أجل من أدركت عصره العلامة الفهامة المعمر عبد الله الكلالى الكردى. أخذ عنه كثير من الفحول كشيخنا العلامة أحمد الكلالى، وشيخنا العلامة ابراهيم الرمكى وغيرهما، وهو أخذ العلم عن العلامة الفهامة النحرير محمد بن آدم عن العلامة الفهامة النحرير محمد بن عبد الله البايزيدى عن افضل المحققين العلامة الهمام الشريف جدنا صبغة الله الحيدرى.

ومن اجل من أدركت عصره العلامة المرشد على الوسانى الكردى. أخذ العلم عن العلامة النحرير محمد بن آدم، وهو من خلفاء حضرة مولانا خالد قدس سره، وله حاشية جيدة على حاشية القرباغى.

ومن أجل من أدركت عصره العلامة الفهامة الذكى الأديب اللوذعى الشريف عمى عبد القادر صدقى الحيدرى البغدادى. وقد سبقت ترجمته. أخذ العلم عن جدى العلامة الشريف أسعد الحيدرى عن العلامة النحرير رسول الشوكى عن جدنا

العلامة الولى الشريف عبيد الله الحيدرى والد جدى أسعد الحيدرى.

ومن أجل من أدركت عصره عمنا العلامة الجامع للمنقول والمعقول المرشد الشريف عمى الشيخ عبيد الله الحيدرى المفتى النقشبندى البغدادى قدس سره، وقد سبقت ترجمته. أخذ العلم عن جدى العلامة الشريف أسعد الحيدرى، وعن العلامة شيخنا عبد الرحمن الروزبهانى، وعن شيخه القطب العلامة حضرة مولانا خالد قدس سره وعن العلامة السيد إبراهيم البرزنجى عن جدنا العلامة الولى الشريف عبيد الله الحيدرى والد جدى العلامة أسعد الحيدرى، وأخذ عنه عدة رجال منهم الفاضل اللوذعى حسين بن سلوم چلبى وعيسى البندنيجى وغيرهم.

ومن أجل من ادركت عصره وأنا صغير العلامة الفهامة المحقق الشريف أحمد المشهور بالكبير نجل عبد الله الحيدرى الماورانى. أخذ عن ابن عمه جدنا العلامة الولى الشريف عبيد الله الحيدرى، واخذ عنه والدى وكثير من فحول العلماء.

ومن أجل من أدركت عصره العالم الفاضل المحقق الشريف صبغة الله ابن إبراهيم بن عاصم الحيدرى الماورانى. أخذ العلم عن العلامة صالح الحيدرى، وكمل العلم على جدى العلامة أسعد الحيدى.

ومن اجل من أدركت عصره العالم الفاضل المحقق الشريف السيد محمد أمين نجل عبد الله الحيدرى مفتى الشافعية البغدادى.

ومن أجل من أدركت عصره العالم الفاضل الذكى الشريف السيد إبراهيم بن صبغة الله بن إبراهيم بن عاصم الحيدرى الماورانى.

ومن أجلهم العالم الجامع لأنواع الفنون الفاضل الشريف محمد بن خضر الحيدرى الماورانى.

ومن أجلهم الفاضل الشريف عبد العزيز الحيدرى الماورانى وأخيه الفاضل عبد الغفور الحيدرى.

ومن أجلهم عمنا الفاضل الذكى الشريف عبد السلام الحيدرى البغدادى.

ومن العلماء الذين أدركتهم عمى الفاضل الذكى الشريف عبد الغفور الحيدرى البغدادى مفتى الشافعية طال عمره ووالده الفاضل الأديب الأريب اللبيب السيد محمد أمين، وقد توفى شابا رحمة الله تعالى.

فهؤلاء الذين أدركت عصرهم من العلماء السادة الحيدرية.

وأما الطلبة الذين أدركت عصرهم أولاد عمنا السادة الحيدرية فيبلغون أكثر من خمسين طالباً ذكياً لوذعياً، وقد اقتصرت على تراجمهم لأن شهرتهم تغنى عن مدحهم، وسبق بيان بعض العلماء من غير الحيدرية ولنتم البيان ببعض غير الحيدرية.

فمن أجل من أدركت عصره العالم الفاضل الذكى الجدلى محمد الشوكى الكردى.

ومن أجلهم العالم الفاضل المحقق الصالح حسين الأكوى الكردى.

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكى محمد القاضى الماورانى الكردى.

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكى الأديب محمد الإربلى.

ومن أجلهم العالم الفاضل العامل محمد الكركوكى.

ومن أجلهم العالم الفاضل عمر العسكرى الكردى.

ومن أجلهم العالم الفاضل المحقق عمر الخيالى الكردى.

ومن أجلهم العالم الفاضل داود الديرى الكردى.

ومن أجلهم العالم الفاضل المرشد الكامل الشيخ هداية الإربلى النقشبندى خليفة حضرة مولانا خالد قدس سره وكان من أكابر العلماء، وهو أخذ عن حضرة مولانا خالد قدس سره.

ومن أجلهم العالم الفاضل المحقق اللوذعى الشريف الشيخ عبد اللطيف البرزنجى وابن عمه الفاضل الأديب الشريف الشيخ إسماعيل البرزنجى وجميع هؤلاء

أخذوا العلم عن الحيدرية إما بالذات أو بالواسطة.

ومن أجل من أدركته الفاضل الفهامة اللوذعي علي الموصلي. أخذ عن أبيه الفاضل يوسف عن العلامة جرجيس الإربلي عن جدنا العلامة النحرير الشريف صبغة الله الحيدري، وكان حديد المزاج سيئ الخلق كثير الدعوى، وهو مع فضله وذكائه فيده في العلوم العقلية ليست طويلة، وأخذ عنه بعض العلماء منهم العالم الأديب محمود الآلوسي.

من أجلهم العالم العامل محمد الموصلي، وكان مرضي الأخلاق، وكانت بينه وبين علي الموصلي عداوة عظيمة ما تلاقيا في مجلس إلا تضاربا، ومنشأ ذلك أن الناس يميلون إلى محمد المذكور لصلاحه أكثر وإن كان علي أعلم منه.

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكي اللوذعي الأديب الأريب عبد العزيز الشواف البغدادي، وكان حسن الاخلاق أخذ العلم عن العالم الفاضل احمد الزيادي وعن جدنا العلامة الشريف أسعد الحيدري المفتي البغدادي، وكانت له اليد الطولى في العلوم العربية، وأخذ عنه الفاضل الآلوسي وغيره، وكان شقيقه وأخوه العالم الكامل الأديب عبد الرازق الشواف من أهل الفطنة والذكاء، وقد أدركته.

ومن أجلهم الفاضل اللوذعي الأديب محمد أمين الحلي، وكان صاحب فكرة نقادة. أخذ العلم عن جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري البغدادي وعن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني وعن الفاضل علي الموصلي، وأخذ عنه الفاضل الآلوسي.

ومن أجلهم العلامة المحقق الصالح أحمد العمر كنيدي الكردي، وكان من أجل العلماء المحققين من ذوي الورع والصلاح. أخذ العلم عن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاي، وأخذ عنه كثير من الأفاضل، وله حواشٍ لطيفة على كثير من كتب المعقول، وشرح جيد جامع على الصغرى في المنطق للسيد السند.

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكي الأديب محمود الآلوسي، وكان كثير الفاقة ثم ولاه علي باشا والي بغداد إفتاء الحنفية. أخذ العلم عن الفاضل عبد العزيز الشواف

والفاضل محمد أمين الحلي، ثم لازم الفاضل علي الموصلي. وكمل عليه العلوم، وكانت له اليد الطولى في العلوم النقلية وله النثر العجيب، وفكرته في العلوم العقلية ليست كطول باعه في العلوم النقلية، وقد فسر القرآن وعلق على شرح القطر حاشية، وله آثار لطيفة في العربية، وكان كثير الحفظ مستحضراً ذكياً لا يمل من مجالسته، وكان واعظاً عجيباً كأمثال ابن الجوزي يجتمع في وعظه خلق عظيم.

ومن أجلهم العالم الأديب محمد الطبقچلي البغدادي. أخذ العلم عن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني.

ومن أجلهم العالم الذكي الأديب عيسى البندنيچي. أخذ العلم عن عمنا العلامة الشريف الشيخ عبيد الله الحيدري البغدادي والفاضل حسين الكركوكي، ثم لازم شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني، وكمل العلوم عليه.

ومن أجلهم العالم الفاضل الفقيه الاديب محمد سعيد افندي المفتي البغدادي. أخذ العلم عن جدنا العلامة الشريف أسعد المفتي الحيدري البغدادي، وعن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني وعن أبيه الفاضل محمد أمين، وكانت له اليد الطولى في العلوم العربية والوقوف التام على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وكان جليل القدر وأخوه العالم الكامل محمد أسعد من الصالحين، وقد أدركته.

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكي عبد الله أغا المشهور بطوبال محمد أمين أغا زاده البغدادي، وكان صاحب فكرة دقيقة، وله حواشٍ لطيفة على بعض كتب المعقول. أخذ العلم عن جدي العلامة أسعد الحيدري المفتي البغدادي.

ومن أجلهم العالم الكامل الأديب حسين بن سلوم چلبي البغدادي، وكان ذكياً أخذ العلم عن جدنا العلامة الشريف الشيخ عبد الله المفتي الحيدري البغدادي، وكذلك العالم الأديب محمود بن عمر كاتب الديوان البغدادي. أخذ العلم عن عمنا المشار إليه، وكانا بمنزلة الأخوين لا يفترقان درساً وصحبة.

ومن أجلهم العالم الكامل دوريش بك البغدادي. أخذ العلم عن الفاضل عبد الله مفتي الشافعية ابن غياث الدين البغدادي.

ومن أجلهم العالم الذكي حسين البشدري الكردي. أخذ العلم عن الخطي والمفتي الزهابي.

ومن أجلهم العالم الذكي محمود الديملاني الكردي. أخذ العلم عن الفاضل أبي بكر الإربلي.

ومن أجلهم العالم الكامل الأديب الشيخ داود النقشبندي، وهو من خلفاء شيخنا الولي الكامل السيد عبد الغفور المشاهدي – قدس سره. أخذ العلم عن عدة أعلام منهم شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني.

ومنهم الفاضل الشريف عبد الله الحيدري مفتي الشافعية ببغداد.

ومنهم الفاضل أحمد العمر كنيدي وغيرهم.

ومن أجلهم العالم الفاضل البيتواني الكردي. أخذ العلم عن العلامة الخطي وغيره.

ومنهم الذكي محمد أمين الشيخاني.

ومنهم العالم الصالح الشيخ طه السورسوري، والعالم الفاضل محمد الهرشمي.

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكي الصالح النجيب أسعد الحلي الكردي.

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكي أحمد الشيخ محمود الكردي.

ومن أجلهم العالم الفاضل عبد الله الشيخ محمود الكردي. ومنهم العالم الفاضل محمد البالكي وغير ذلك من الأفاضل الذين أدركتهم ممن يطول الكلام بذكرهم، ولنقتصر على هذا المقدار وجميع إجازات هؤلاء العلماء وغيرهم من علماء العراق يتصل بأجدادنا السادة الحيدرية. إما بالذات أو بالواسطة.

الباب السادس

فى بيان أنهار العراق

التى فى الجانب الشرقى منها والغربى

فأما التى فى الجانب الغربى فمنها الكرخ، وهو نهر يجرى بين المحال والدور، وكان يأخذ من نهر عيسى بن على، ونهر عيسى وهو يحمل من الفرات، وكان عند فوهته قنطرة وعلى جانبيه قرى وضياع كثيرة حتى إذا انتهى النهر إلى المحول تفرعت منه الأنهار التى تخرق مدينة السلام، ثم يمر إلى قرية الباصرية وعليه هناك قنطرة، ثم يمر إلى الرومية، وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية ثم يفضى الى الزياتين، وعليه هناك قنطرة، ثم يمر إلى موضع باعة الأشنان وعليه هناك قنطرة، ثم ينتهى إلى موضع باعة الشوك وعليه هناك قنطرة الغيض، ثم يمر إلى قنطرة البستان، ثم إلى قنطرة المعيدى ثم إلى قنطرة بنى زريق، ثم يصب فى دجلة.

ومن أنهار بغداد: الصراة، وهو نهر يأخذ من نهر عيسى فوق المحول، ويسقى ضياعاً كثيرة، وتتفرع منه انهار كثيرة إلى أن يصل بغداد فيمر بقنطرة العباس، ثم يمر بقنطرة الصينيات، ثم يمر بقنطرة رحا البطريق وهى قنطرة الزبد، ثم يمر بالقنطرة العتيقة، ثم بالقنطرة الجديدة، ثم يصب فى دجلة ويحمل من الصراة نهر يقال له الخندق يدور حول سور مدينة السلام مما يلى الحربية إلى أن يصل إلى باب

الأنبار، وهناك عليه القنطرة، ثم يمر بباب الحديد وعليه هناك قنطرة، ثم يمر بوسط قطيعة أم جعفر ويصب في دجلة، ويحمل من نهر عيسى نهر يقال له كرخايا. أوله تحت المحول ويمر في وسط طسوج بادوريا، وتتفرع منه أنهار كثيرة تنبت في ضياع على جانبيه إلى أن يدخل بغداد من موضع يقال له أبو قبيصة، ويمر إلى قنطرة قطيعة اليهود، ثم إلى درب الحجارة وقنطرة البيمارستان وباب المحول، ويتفرع منه أنهار الكرخ كلها.

فمن أنهار الكرخ نهر يقال له نهر رزين يؤخذ في ربض حميد فيدور فيه ثم ينتهي إلى سويقة ابي الورد ثم يمر إلى بركة زلزل فيدور فيها، ثم يمضي إلى باب الطاق الحرابي ثم تصب في الصراة أسفل من القنطرة الجديدة، ويحمل من نهر سويقة أبي الورد نهر يعبر منه على عبارة على القنطرة العتيقة ويمر إلى شارع باب الكوفة فيدخل من هناك إلى مدينة المنصور، ويمر النهر من باب الكوفة إلى شارع القحاطنة، ثم إلى باب الشام، ويمر في شارع الجسر إلى الزبيدية، ثم يمر نهر كرخايا من قنطرة البيمارستان فإذا صار إلى الدرابات سمى هناك العمود، وهو الذى تتفرع منه أنهار الكرخ الداخلة. فيمر النهر من هناك إلى موضع يعرف بالواسطين، ثم إلى موضع يسمى الخفقة. فيحمل منه هناك نهر البزارين فيخرج في شارع المنصور، ثم يمر إلى دار كعب ثم يخرج إلى باب الكرخ، ثم يدخل البزارين ثم يمر الى الغزازين، ويدخل في أصحاب الصابون، ثم يصب في دجلة، ثم يمر النهر الكبير من المخفقة إلى طرف مربعة الزيات فيقطف منه هناك نهر يقال له نهر الدجاج. فيأخذ إلى أصحاب القصب وشارع القيارين، ثم يصب في دجلة عند سوق الطعام، ويمر النهر الكبير من مربعة الزيات إلى دوارة الحمار فيقطف منه هناك نهر يقال له نهر قطيعة الكلاب حتى يصب تحت قنطرة الشوك في نهر عيسى، ويمر النهر الكبير من دوارة الحمار إلى موضع يقال له مربعة صالح فيقطف منه هناك نهر القلابين، ثم يمر إلى السواقين ثم إلى أصحاب القصب، ويصب في نهر الدجاج فيصيران نهراً واحداً، ويمر النهر الكبير من مربعة صالح، الى موضع يعرف بنهر طابق، ثم يصب في نهر عيسى عند دار البطيخ. فهذه أنهار الكرخ.

وأما أنهار الحربية فمنها نهر يحمل من دجيل يقال له نهر بطاطبا أوله عند أسفل فوهة دجيل بست فراسخ. يسقى ضياعاً وقرى كثيرة فى وسط مسكن، ويحمل منه نهر أول أسفل جسر بطاطبا بشئ يسير ويجئ نحو مدينة السلام، فيمر على عبارة قنطرة باب السلام ثم يدخل بغداد فيمر فى شارع الأنبار وإلى شارع الكبش ويحمل من نهر بطاطبا نهر أسفل من الأول يجئ نحو بغداد، فيمر على عبارة يقال لها الكرخ بين باب حرب وباب الحديد. فيدخل بغداد من هناك ويمر فى شارع دجيل إلى مربعة الفرس. فيحمل هناك منه نهر، ويمر النهر الكبير من مربعة الفرس إلى قنطرة أبى الجوز. فيحمل منه من هناك نهر إلى كتاب اليتامى وإلى مربعة شبيب، ويصب فى نهر الشارع، ويمر النهر الكبير فى قنطرة ابى الجوز إلى الشارع وقصر هانى. ثم إلى البستان، ويصب فى النهر الذى يمر فى شارع القحطانية، ويمر من نهر بطاطبا نهر أوله اسفل من قناة الكرخ يجئ بغداد ويمر على عبارة قنطرة باب حرب. فيدخل من هناك فى وسط الشارع باب حرب ثم يجئ إلى مربعة أبى الفضل العباس ثم إلى مربعة شبيب، ثم إلى باب الشام فيصب فى نهر باب الشام وهذه الأنهار كلها مكشوفة إلا التى فى الحربية فإنها قنوات تحت الارض وأوئلها مكشوف.

أقول: وبغداد المذكورة كانت فى الجانب الغربى من الرصافة، وما بقى منها الآن إلا القليل بالنسبة إلى القديم، وقد انمحت آثارها القديمة وما سبق من محلة الانبار محاليل بغداد القديمة فهو فى عصرنا محلة من محاليل قصبة موصى الكاظم رضى الله تعالى عنه. بينها وبين الجانب الغربى الموجود الآن صحراء مسافة نحو ساعة، ولكن فى تلك الصحراء بساتين، والجانب الغربى الموجود الآن ممتد على شاطئ دجلة بعضه الكرخ، وبعضه الكريمات، وما بعدها الكرادة مشتملة على بساتين كثيرة وكانت فى الاصل من بغداد، وأكثر الأنهار السابقة التى كانت تجرى فى بغداد، وقد صارت اليوم مقاطيع ومزارع، وبعض الانهار جارية وبعضها مندرسة، وقد تبدلت أسماؤها فى عصرنا.

ومن الأنهار الموجودة الآن فى الجانب الغربى المحمودية والاسكندرية

والرضوانية وابو غريب والدجيل والمسيب، وأنهار الجانب الغربى الموجودة الآن كثيرة يشق عدها، وغير ذلك من المقاطيع العظيمة، ولا حاجة لنا بذكرها لأنها معلومة، وإنما الغرض بيان الأنهار القديمة.

واما الأنهار التى فى الجانب الشرقى فمنها نهر موسى. يأخذ من نهر بين إلى أن يصل إلى قصر المعتضد بالله المعروف بالثريا. فيدخل القصر ويدور فيه، ويخرج منه ويصير إلى موضع يقال له مقسم الماء. فينقسم إلى ثلاثة أنهار يمر الأول إلى باب سوق الدواب، ثم إلى دار البانوجة (البانوقة) ويفنى هناك، ويدخل بعضه إلى العلاقين فينصب فى نهر حضرة المعتضد، ويمر شئ منه إلى باب سوق الغنم ثم إلى خندق العباس بباب المخرم، ويمر فى دجلة، ويمر نهر موسى أيضاً إلى قنطرة الأنصار فيحمل منه هناك ثلاثة أنهار يصب أحدها فى حوض الانصار والثانى فى حوض هيلانة والثالث فى حوض. ويمر نهر موسى أيضاً إلى قصر المعتصم بالله فيحمل منه هناك نهر يمر إلى سوق العطش فى وسط شارع كرم العرس، ويصب فى دار على بن محمد الغراب الوزير ويفنى هناك، ويمر نهر موسى ايضاً ملاصقاً لقصر المعتصم إلى أن يخرج إلى شارع عمر الرومى، ثم يدخل بستان الزاهر ويسقيه، ويصب فى دجلة أسفل البستان ثم يمر النهر الثانى من المقسم إلى باب بيرز فيدخل البلد من هناك، ويسمى نهر معلى، ويمر بين الدور، ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب فى دجلة، ويمر النهر الثالث من المقس إلى باب قطيعة موشجير، ثم يدخل إلى القصر الحسنى فيدور فيه ثم يصب فى دجلة.

قال النويرى فى التاريخ: ويحمل من نهر الخالص نهر يقال له نهر الفضل إلى أن ينتهى إلى باب الشماسية فيأخذ منه نهر يقال له نهر المهدى، ويدخل فى المدينة فى الشارع المعروف بشارع المهدى، ثم يجئ إلى قنطرة البردان ويدخل دار الروميين، ويخرج إلى سويقة نصر بن مالك، ثم يدخل الرصافة ويمر فى المسجد الجامع إلى بستان حفص، ويصب فى بركة فى جوف قصر الرصافة، ويحمل من هذا النهر نهر أوله فى سويقة نصر ثم وسط شارع باب خراسان إلى أن يصب فى نهر الفضل بباب خراسان. فهذه من جملة انهار الجانب الشرقى القديمة.

وأقول وأما فى عصرنا هذا فليس فى الجانب الشرقى من تلك الأنهار الداخلة فى البلد القديمة شئ سوى نهر الخالص، وهو نهر عظيم تخرج منه أنهار كثيرة بعيدة عن بغداد مقدار سبع ساعات. حوله قرى كثيرة ذات نخيل وأشجار وبساتين كثيرة، وهو مقاطعة جسيمة.

ومن الأنهار الموجودة الآن فى الجانب الشرقى نهر دياله، وهو نهر عظيم يخرج منه نهر الخالص ونهر خريسان وحول نهر خريسان قرى وأنهار كثيرة، ونهر خريسان مقاطعة جسيمة.

ومن الأنهار الموجودة الآن فى الجانب الشرقى نهر مهروت، وهو مقاطعة جسيمة وشهربان والهارونية ونهر بندنيج وبارين وغيرهما.

وأما نهر شروين فقد أحياه جدى العلامة الشريف أسعد الحيدرى مفتى بغداد بماله ورجاله فى أيام الوزير العلامة داود باشا [١] بعد أن كان مندرسا مدة طويلة وصار مقاطعة جسيمة، وكان فى تصرفنا إلى الطاعون، ثم غصبه منا على رضا باشا والى بغداد [٢]، وهو موجود إلى الآن إلا أنه بعد غصبه منا آل إلى الخراب لأن منفعته ليست كالأول.

هذا ما وقفت عليه من أحوال بغداد مدينة السلام.

---

(١) تولى بغداد من سنة ١٢٣٢ - ١٢٤٤ هـ ١٨١٧ - ١٨٢٨م.

(٢) الذى وقع سنه ١٢٤١ هـ ١٨٣١م.



أحوال البصرة



الباب الأول

فى بيان مدينة البصرة القديمة والجديدة ومسافتها وبنائها وبانيها وبعض أحوالها

قال بعض المؤرخين: بناها المسلمون علي عهد الصحابة رضي الله عنهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم خطها وبنها وساق إليها سبعين الف بيت من اشراف العرب من سكان البادية وأسكنهم فيها، وهي بلدة عظيمة عامرة قرب البحر كثيرة النخيل والأشجار والأنهار. ملحة الماء. سبخة التراب. كان فيها خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالي، وأحصي من فيها من المساكن فكان مائة ألف وستون ألف وأحصيت مساجدها فكانت مائة وسبعة عشر ألف، وفيها نخيل وبساتين متصلة نيف وخمسون فرسخاً كأنها غرست في يوم واحد، وأحصيت انهارها فكانت مائة وعشرين ألفاً منها ما يجري فيه الزورق، ومن عجائبها انك لو التمست ذبابة واحدة علي رطبها في البساتين أو علي معاصرها ما وجدتها، وكذلك الغربان لا توجد فيها. فلا تجد غراباً ساقطاً علي نخلة من نخيلها في جميع الدهر، وإني قد أمعنت النظر حين خروجي إلي الجنوب وقت التمر فلم أجد ذباباً ولا غراباً. وهذا من عجائب الأمور، وهو من لطف الله تعالي، ولولا لطفه لتساقطت ثمرات النخيل بنقر الغربان لأن تمر البصرة مع كثرته التي لا تحصي سريع السقوط. وذكر بعضهم أن ذلك لطلسم عليها، ولا يبعد، وكان فيها جامع عظيم علق علي جداره سبعون ألف

حلقة من حديد لربط خيل من يدخل الجامع من أشراف العرب وأكابر الناس والواردين من النواحي للاستفادة وآثاره موجودة وفيه كان يجلس الخليل وسيبويه وحسن البصري وابن سيرين وحماد وامثالهم من الأئمة العظام لإفادة العلم، وكان فيها من العلماء وأهل الفضل والمجتهدين والتجار والصنائع والعمارة والأموال مالا تمكن الإحاطة به، وهي من أعظم بلاد الإسلام بل لم يخلق مثلها في البلاد، وسكانها لا يحتاجون الي ركوب الخيل إذا ساروا إلي الجنوب وما حاذاه من النواحي لأنهم يركبون الزورق ويسير في الأنهار ومن فوقهم الأشجار مظلة، وهو من عجائب الدنيا، وإني قد رأيت أكثر البلاد كمصر والشام وسائر البلاد العربية والرومية فلم أر بلدة مثل البصرة، ويا لها من بلدة يتحير الناظر من عجائب ما فيها من البساتين والأنهار (وما راء كمن سمعا)...

وهي بندر بلاد الهند ومعدن التجار والعلوم ومنشأ المجتهدين الأعلام كأمثال ابن سيرين وحسن البصري وحماد والخليل ويونس وسيبويه والأخفش وغيرهم من الفقهاء والمفسرين وأهل العربية والزهاد والصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم ممن لا يحصي عددهم، وكانت تسمي قبة الاسلام.

وكان فيها نهر عظيم يجري في وسطها حفره عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمي نهر عمر ورسومه موجودة وكانت في أيام العباسيين في غاية العمارة وحاصرها أصحاب نافع بن الأزرق ونهبوها وأخرجوا كثيراً من أهلها، ثم حاصرها المهلب وأخرج بقية أهلها منها وهزمهم إلي الفرات ثم إلي الأهواز ثم إلي فارس ثم إلي كرمان.. ويحكي أنهم عادوا إليها، ولكن خرب بعضها ثم خربت بالطواعين، وكان خرابها سنة سبعمائة وواحدة من الهجرة النبوية، وطولها مقدار ست ساعات وعرضها مقدار ثلاث ساعات ورسومها باقية، ودفن فيها من الصحابة رضي الله تعالي عنهم خلق كثير منهم الزبير بن العوام وطلحة وأنس بن مالك وعتبة، ومن التابعين رضي الله عنهم كثير. منهم حسن البصري وابن سيرين وحماد ممن لا يحصي عددهم، وقد زرت هذه المشاهد وأثر البلدة موجودة، وهذه هي البصرة القديمة.

وأما البصرة الجديدة فهي بعيدة عن القديمة مقدار ساعتين.. ومقدار طول ما حول سورها ساعتان ونصف وقد خرب أكثرها، ولم يبق إلا نبذة قليلة خربتها الطواعين...

وكانت غاية عمارة الجديدة في أيام الوزير الكامل العاقل الحادي عشر سليمان باشا والي بغداد المشهور بالكبير - رحمه الله تعالي، فإنه قبل وزارته كان متصرفاً في البصرة. فبسط فيها بساط العدل وكذا في بغداد. فحكم في العراق اربعاص وعشرين سنة وعمر البلاد وكثرت العلماء والتجار والأموال والحرث والعمارة والأمن في أيام دولته بحيث صارت بغداد وما حولها كحالها في أيام هارون الرشيد «شكر الله سعيه».

وبعد وفاته هاجت الفتن في العراق فلم يستقر وزير في بغداد مدة. بل كان بعضهم يقتل بعضاً إلي أن ولي الوزير العلامة الكامل المهاب داود باشا رحمه الله تعالي. فحكم فيها خمس عشرة سنة، وقتل كثيراً من أهل الفساد فاستقر أمره، وزادت بغداد في وقته علماً وفضلاً وعمارة.

وكان كثير الاحترام لأهل العلم علي سيرة المرحوم سليمان باشا المشار إليه. إلا أنه في آخر أيامه ازداد طمعه في أموال الرعايا وساءت سيرته معهم. وأما عصيانه علي الدولة العلية فلم يكن حقيقة. بل من الحاج الدفتردار الذي ورد إليه من الدولة العلية. فإنه طلب الخروج من بغداد إلي الدولة العلية فأبي الدفتردار، وطلب قتله وعالجه أياماً علي الخروج فلم يستقر رأي الدفتردار إلا علي قتله فأضطر إلي قتل الدفتردار فقتله.. ومع ذلك فله آثار حميدة وعمارات عجيبة، بني جوامع ومساجد ومدارس كثيرة وجعل عليها أوقافاً كثيرة. وكان له علي أبي وجدي من الأيادي والنعم مالا يحصي، رحمه الله تعالي رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار القرار.

ثم صار الكامل الفاضل عبد الله أغا متصرف البصرة بعد الوزير المشير سليمان باشا رحمه الله تعالي، فإنه لما ولي وزارة بغداد جعل الأغا المشار إليه متصرفاً في البصرة فأحسن السيرة فيها وسعي في بقاء عمارتها، وعامل أهلها

بأحسن المعاملة علي سيرة الباشا المشار إليه، وبقيت عمارة البصرة الجديدة إلي أيام المرحوم داود باشا، ثم خربت بالطاعون وصار اكثرها بلاقع، ولم يأت إلي البصرة متصرف يقوم بأعباء عمارتها بعد المرحوم سليمان باشا سوي عبد الله أغا المشار إليه – رحمه الله تعالي.

وفي سنة ألف وثمانية وسبعين دخلت البصرة في تصرف دولة آل عثمان أرسل السلطان محمد وزيره قره مصطفي باشا فأخذها في تلك السنة من بعض أمراء البصرة، ثم تغلب عليها فرج بن مطلب صاحب الجزيرة فتوجهت إليه عساكر دولة آل عثمان فأخرجوه منها وملكوا البصرة في سنة إحدي عشرة ومائة وألف..

ولخرابها أسباب منها الطاعون، ومنها وخامة الهواء الحاصلة من انكسار سد الجزائر وإحاطة الماء بها ولكن هواءها قد اعتدل الآن، وقلت أمراضها وصح مزاجها ولم أقف علي سببه.

ومنها كثرة المظالم فيها.وأهلها في غاية السكانة والبلاهة بمنزلة الأنعام توارد كثير من المتصرفين إلي البصرة وظلموا أهلها، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة لا تحصي. ولا سيما الملعون سليمان بك، ولم يشتك أحد منهم حاله إلي والي بغداد مع كثرة المظالم عليهم بحيث بلغ الجور عنان السماء علي ما تواترت بذلك الأخبار.

وأهل البصرة والجنوب من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.. وأما سكنة شط العرب فهم رفضة، والرفضة الذين في البصرة ليسوا من أهل البصرة بل من العجم والبحرين، وبعض أهل البادية من شط العرب وغيرهم ممن ترفض فأن كل بصري الأصل سني وكذا كل جنوبي سني وترفض أهل شط العرب وغيرهم من نواحي البصرة إنما هو لعدم العلماء في البصرة ونواحيها..

والبصرة بعد أن كانت دار العلم ومعدن المجتهدين والفضلاء – وكانت أقوال البصريين مرجحة علي اقوال الكوفيين – صارت اليوم دار الجهل، فإنه لا يوجد في عصرنا هذا عالم ولا طالب يقرأ الأجرومية أصلا، وليس فيها من له قابلية التعلم

لغلبة البلادة علي أهلها. سوي بعض التجار من آل زهير ونجد فإن فيهم فطنة وذكاء حاذقاً. فسبحان الذي يغير العالم ولا يتغير..

وقد بعدوا عن التمدن غاية البعد إلا بعض من ذكرنا ممن سافر إلي البلاد ورأي الناس...

وهم محتاجون الي التعلم والتربية وإلي سوق العلماء وبناء المدارس والمكاتب وبث الصنايع والمعارف فيهم.

وأما الجنوب ففيه بعض من يقرأ مقداراً من فقه الشافعية، ولذا لم تعترهم شائبة الرفض. بل هم أهل ديانة وكرم ومكانة...

واما قصبة سيدنا الزبير رضي الله عنه قرب البصرة - وهي في الأصل من محاليل البصرة القديمة - فأهلها كلهم من أهل السنة والجماعة علي مذهب أحمد بن حنبل رضي الله تعالي عنه، وفيهم بعض علماء الحنابلة وكثير من طلبة الفقه علي مذهب ابن حنبل من ذوي الفهم والذكاء، ولهم الصلابة التامة في مثل أهل السنة والجماعة والديانة، وملازمة الجماعات والعبادات والصناعة، ومع ذلك فهم من أهل الشجاعة والإقدام وكلهم من نجد ذوي البأس الشديد الذي ذكره الله في كلامه القديم...

وبالجملة إن أهل الجنوب من أهل البصرة من اكرم الناس ومن ذوي الطبائع السليمة والأخلاق السهلة الأنيسة... الغريب لديهم مكرم، والنزيل عندهم محترم.. أمارة النجابة العربية عليهم ظاهرة ودلائل الشيم العربية عليهم باهرة، إن أوذوا تحملوا، وان كلفوا بما لا طاقة لهم به قبلوا، وإن غدروا سامحو وإن ظلموا سكتوا... الاحتيال لديهم مفقود، وصفاء الخاطر فيهم موجود.

وإني قد درت اكثر البلاد المحروسة ووقفت علي محالها المندرسة. والمأنوسة فلم أجد اناساً كالجنوب من أهل البصرة في تلك الطريقة. فهذا حال من هو من أهلها. لا مجازاً بل علي الحقيقة. إلا أنها قد استولي عليها الخراب كما ذكرنا. فعادت بلاقع وسكنها كثير من لئام المواقع، ولم أر بلدة ولا قرية بمثابة البصرة في خراب

دورها وتسلط الأجانب عليها وعلي أهلها، وفي عدم اهل العلم فيها، وانهدام جوامعها ومدارسها، بعد أن كانت معدن علم الدينا. فيا لها من مصيبة يحزن عليها المسلمون. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد زاد في خرابها متصرفها سليمان بك. فإنه ظلم أهلها وأخذ منهم مالا تحصيه الأقلام وسرق أموال الدولة العلية، وباع كثيراً من أملاك الدولة العلية إلي الأهالي والأعاجم، ودمر الخزينة، ولعب بالبصرة لعب الأولاد بالطين، وقد عرضت أحواله إلي تقي الدين باشا والي بغداد سابقاً. فورد الامر بالامتزاج معه، وعرض بعض الناس أحواله إلي نامق باشا فلم يفد أيضاً.

هذا. وللبساتين الموجودة في البصرة ونواحيها ذات النخيل والأشجار والأنهار حدها من القرنة الي رأس البحر المسمي بالفاو، ويبلغ مقدار ثلاثين ساعة بسير الفارس.. أما الماشي فالمسافة بالنسبة إليه أكثر.. والفرج بين ذلك الخالية عن النخيل ثلاثة يسيرة من البصرة إلي الدواسر،ومن القرنة إلي الكوت الفرنكي أكثر، ولكنها بالنسبة إلي المتصلة بعضها ببعض مقدار عشرين ساعة طولاً علي طرفي شط العرب، وأما عرضها ففي الجنوب يبلغ أكثر من ثلاث ساعات وهي ذات نخيل وأشجار وفواكه لا تحصي كثرة.. وحد البساتين شرقاً فهو من اكتيبان سبع قصبات وجنوباً إلي الفاو، وشمالاً إلي العنبري.

هذا. وإن الكويت من ملحقات البصرة. فهي منها مسيرة ست وعشرين ساعة، وقد امتلأت اليوم من التجار التجادة المسافرين إلي الهند، وصارت محل التجارة الوفية، وفيها خلق كثير وسفن بحرية كثيرة.. ولا يزالون يترددون علي البصرة، ولبعضهم أملاك في البصرة، وكلهم من أهل السنة والجماعة، بعضهم شافعيه، وبعضهم مالكية وبعضهم حنبلية، وهم من نجد اجتمعوا هناك، وأرضها سبخة لا أنهار فيها ولا أشجار، وإنما يشربون ماء المطر، وهي علي ساحل البحر وأهلها أهل ثروة تامة..

وفيها بعض أهل العلم من الشافعية، وليس فيها شئ من الرسومات سوي

الكمرك لشيخهم، ومع ذلك فلشيخهم وظيفة سنوية مقدار مائة كارة تمر من الدولة العلية، وهم مع كونهم تبعة الدولة العلية ومن ملحقات البصرة بعيدون عن أحكام السياسة، ولكن لا فائدة في بلدهم سوي التجارة، واجتماعهم هناك علي صلاح.



الباب الثانى

فى بيان بيوت البصرة الرفيعة

فمن بيوتها الرفيعة العماد بيت المفتى الحلى، وهو بيت فضل ومجد قديم، وقد خمدت نارهم، ولم يبق منهم أحد، وهذه دورهم بلاقع..

وكان افتاء الحنفية منحصراً فى بيتهم أباً عن جد مقدار ثلاثمائة سنة. فانقرضوا وعادت أموالهم وأملاكهم العظيمة لبيت المال، إلا أن نقيب البصرة عبد الرحمن وأخاه محمد سعيد استوليا عليها. لأنهما من أفاضلها واشرافها وساداتها.

ومنها بيت الرفاعى، وهو بيت مشيخة وشرف وفضل، وقد نشأ فيهم رجال أدركت منهم الكامل الكريم الصالح الشيخ رجب نقيب البصرة..

وذلك حين قدومه إلى بغداد ونزوله فى بيتنا أيام وزارة العلامة داود باشا وأنا صغير السن.. وبيتهم بيت خير وطريقة.

وكان الشيخ المذكور من ذوى الخير والجاه الكبير وصاحب الحلقة، وكان يطعم الطعام للفقراء، وهو يقرى الضيف، وهو من خيار الناس رحمه الله تعالى وقد بقى من هذا البيت عدة أناس. منهم فى البصرة ومنهم فى الجنوب ومنهم فى الكويت..

ومن البيوت الرفيعة العماد بيت الزهير، وهو بيت مجد وتجارة ورياسة وخير وصدقات، ولهم الثروة التامة والتقدم والجاه كابراً عن كابر، وكانت لأسلافهم الصولة فى البصرة، ولهم وقايع عظيمة مع عشيرة كعب. حيث إن كعباً هجموا على

نهب البصرة بعد عزل داود باشا عن بغداد، وقبل ورود على رضا باشا إليها فقاتلهم آل زهير مع عشيرة النجادة ودمروهم، ومنعوهم عن البصرة، وهذه همة عالية، وخدمة صادقة للدولة العلية..

وقد نشأ فيهم رجال ثقاة كبار. منهم الشيخ على، وكان أحنف عصره فى العقل والرأى والهمة من دعاة العرب، وكذلك إخوته الشيخ عبد الرازق وعبد العزيز وعيسى وعبد الوهاب وعبد اللطيف وغيرهم. فهؤلاء كلهم من الرجال الدهاة، ولهم الجاه والحيثية التامة، ولهم الخدم والتعلقات الوافرة، وكانت لهم عطايا كثيرة، وكان أبوهم الحاج يوسف من أكابر الناس وخيارهم. ذا تقوى وصدقات، وأخوه الحاج سليمان من الكاملين الأبرار، وكان متوطناً فى حلب، وقد بنى جامعاً قرب بيته، وشقيقه يوسف المشار إليه كان فى قصبة سيدنا الزبير رضى الله عنه، وله بيت فى البصرة أيضاً، وكانا خليطين، ثم بعد وفاة الشيخ على المذكور استولى عيسى شيخ المنتفك على البصرة، وقتل منهم الشيخ عبد الرازق وعبد الوهاب وخالد وأحمد ومصطفى ظلماً، وأخذ أموالهم وغصب أملاكهم وجعل بيوتهم خاوية. ويالها من حادثة تضيق منها صدور المسلمين من ذوى المروءة..

وتشتت أولادهم فى البلدان وانطفت نارهم مدة قليلة. ثم اتى عبد اللطيف الزهير من حلب إلى بغداد فحصل له الجاه وتقلد رياسة التجارة فى بغداد.

ثم قام منهم فى البصرة الآن محمد چلبى بن عثمان من آل زهير بأعباء بيتهم القديم، وجمع الأولاد وآواهم وسعى فى عمارة الآثار القديمة. فوفق لذلك. فأحيا ما اندرس من آثار آبائهم، وعاد بهم كالأول لأن أسلافهم من الأخيار والله يستحى أن ينزع السر من اهله.

ومحمد چلبى المذكور من دهاة الرجال من ذوى الصدق والهمة والخير. كان أحنف عصره رأياً وأدباً ووقاراً وهمة، وبقى منهم أيضاً الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الرازق المذكور شيخ النجادة فى قصبة الزبير – رضى الله عنه، وله الأخلاق الكريمة، ذو خير ووفاء وأدب وكرم.

وهو من أكابر العرب. يقرى الضيف ويبذل الطعام لكل وارد، بشوش كريم وفى حليم..

ومنهم الرشيد الكامل الهميم المنطيق قاسم چلبى نجل محمد چلبى المشار إليه، وهو من الأفراد فى الهمة والرشادة والذكاء.

وبقى منهم أيضاً عدة أخيار، وأصلهم من حرب - على ما حدثنى الصاحب النجيب محمد العبد الوهاب النجدى من العارض، موضع فى نجد - ثم سكنوا قصبة الزبير والبصرة، وسكن بعضهم فى بغداد وبعضهم فى حلب، ولهم الاعتبار والشهرة فى جميع هذه المواضع، ولنا مع هذا البيت حقوق عظيمة موروثة من الآباء..

ومن البيوت الرفيعة فى البصرة بيت الرديني، وهو بيت شرف وسيادة وفضل ومجد، ونشأ فيهم رجال كرام منهم الكامل الفاضل السيد محمد الرديني فإنه بنى مدرسة فوقف عليها كتباً كثيرة من كل فن. تبلغ مقدار ثلاثة آلاف فأكثر، وقد اندرست المدرسة وتفرقت الكتب بزوال العلم من البصرة. وبقى منهم عدة أخيار كرام، وأصلح من بقى منهم السيد يعقوب ..

ومنها بيت الكواز، وهو بيت مجد رفيع وفضل وخير وافر، ونشأ فيهم عدة رجال أخيار كرام، كامثال الشيخ أحمد والشيخ درويش، وكانا من أكابر الناس من ذوى الخير والجاه والمال الوافر والصدقات، وكان جدهم الأعلى الشيخ أنس من الأكابر، وهم من أولاد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .. وبقى منهم بعض الناس

وقد نزل جدى العلامة الشريف أسعد الحيدرى مفتى الحنفية ببغداد فى بيت الشيخ أحمد. فاحترمه وأجله وخدمه بما يتحير به الناظر - على ما ذكره الفاضل عثمان بن سند فى تراجم علماء بغداد - ولنا معهم أيضاً حقوق موروثة عن الآباء حيث إن تعلقنا بالبصرة قديم. لأن جزية البصرة كانت لأجدادنا من القديم ..

ومنها بيت السادة الطباطبائية، وهو بيت علم وصدق وسيادة وأدب. قد شهدت

بصحة سيادتهم الطبقات وكتب التواريخ. كابن خلكان وغيرهم ..

وجدهم الأعلى الشريف إبراهيم طباطبا. كان نقيب الأشراف فى مصر، وكان من أكابر أهل عصره، ومن أجل الأشراف، وكان ألثغ يسمى القبا (طبا) فقال لغلامه: «طبا. طبا» لما سأله غلامه عن القباء الذى أمر بإتيانه على ما فى تاريخ ابن خلكان ..

وهو بيت عظيم الشرف والفضل، وقد نشأ فيهم عدة رجال. منهم الفاضل الشريف السيد ياسين، والفاضل الشريف السيد عبد الجليل، وكانا من العلماء الفضلاء، ولهم النظر الفائق، ولكل منهما ديوان شعر رقيق، وقد رأيت ديوان السيد ياسين، وفيه من المباحث العلمية والأدبيات ما يدل على فضله – رحمه الله تعالى .

وقد بقى أناس أخيار فى البصرة والكويت، وممن بقى منهم فى الكويت الفاضل الفقيه الصالح التقى السيد أحمد، وهو من أشراف العلماء، وله الاطلاع التام على مذهب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه، يدرس فى الكويت .. وليس فى الكويت ولا فى البصرة ونواحيها أعلم منه فى عصرنا هذا، وقد اجتمعت به حين قدومه إلى البصرة لزيارة بعض أقربائه، وتبركت بدعائه الشريف. متع الله تلك البلاد بطول حياته ..

ومن أجل الفقهاء الذين أدركتهم فى قصبة سيدنا الزبير رضى الله تعالى عنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه. العالم الكامل المعمر الشيخ أحمد النجدى رحمه الله تعالى، وكان يعد من السلف الصالح من يرجى دعاؤه، ولما ورد صاحب الدولة نامق باشا إلى الزبير أجله غاية الإجلال، وطلب منه صالح الدعاء ..

ثم توفى، وقام مقامه ولده الفقيه الصالح الشيخ محمد مدة قليلة. فتوفى رحمه الله تعالى ولحق أباه، وخلف ولده الذكى الصالح الشيخ عثمان. فشرع بعد وفاة أبيه فى قراءة بعض كتب الحنابلة والعربية علىّ – وفقه تعالى.

ومن العلماء الموجودين فى قصبة الزبير المحدث الفقيه الصالح الشيخ إبراهيم

الغملاس [1] الحنبلى النجدى، وهو ممن لا تأخذه فى الله لومة لائم، وفى قصبة الزبير جملة من أهل الفقه والصلاح من النجادة.

وأما البصرة ففيها كثير من الجهلة، وليس فيها من يعرف اسم العلم ولا رسمه.

ومن البيوت الرفيعة القديمة فى البصرة بيت رزق، وهو بيت مجد وفضل وتجارة وخير .. وكانت لهم الصدقات الكثيرة، والآثار الحميدة والثرة التامة والعز الكامل، وقد صارت ديارهم بلاقع، وبقى الكامل محمد من الاخيار فى الكويت وأصلهم من نجد.

ومنها بيت الحاج عبد الواحد، وهو بيت عز وتجارة وخير وثروة تامة، وبقى منهم أخيار، وهم من أبى الخصيب وأصلهم من بنى نجد.

ومنها بيت عبدالرازق، وهو بيت مجد وعز وتجارة وقد انطفت نارهم فى البصرة، وبقى منهم الكامل النجيب محمد بن عبداللطيف فى الهند، وبعض الأخيار فى الكويت. وأصلهم من نجد.

ومنهم بيت جمال، وهو بيت مجد وخير وتجارة وعز، ولم يبق منهم أحد فى البصرة، وسكن بعضهم بلدة مسقط.

ومنهم بيت الفداغ، وهو بيت تجارة وثروة وعز وخير، وبقى منهم بعض الناس. وأصلهم من نجد، وغير ذلك من البيوت القديمة التى اندرست آثارها وانطفت نارها ..

وأما التجار الموجودون فى البصرة فى عصرنا هذا الذين توطنوا فيها. فمنهم النجيب الأديب والكامل الذكى اللبيب محمد بن عبد العزيز أبن عبد الوهاب الرياضى

---

(١) راجع كتابه «ولاة البصرة ومتسلموها».

النجدى، وهو من أكابر أهل نجد، وبيتهم فى نجد من بيوت المجد الرفيعة الأصلية، ولهم الحيثية التامة لدى آل سعود أمراء نجد.

ومحمد المشار إليه من أكابر الناس أخلاقاً وذكاء وكرماً وفطنة، وبيته مأوى لأهل نجد وغيرهم، وقد صحبته فوجدت صحبته أرق من النسيم، وحصلت بيننا المودة التامة والألفة القلبية، وله بيت فى البصرة، وبيت فى الزبير وبيت فى الأحساء، ويتردد على بلاد الهند للتجارة - زاده الله تعالى عزاً ومالا وعمرا ...

وهو من عشيرة عائذ من الأزد من القحطانية، وهم بنو عائذ بن الأسود ابن الجمر بن عمران بن عمرو مزيقيا ملك اليمن ابن عامر ماء السماء ملك اليمن الحميرى ..

ومنهم فوزان النجدى، وهو من التجار الأخيار وأصله من عنزة وهو من الثقات..

ومنهم سالم البدر الكويتى، وهو من الثقات الاخيار، له من الثروة التامة والمراسلات إلى الهند وغيرها ولأهل سواحل البحرين من مسقط والبحرين والكويت وبر فارس وغيرها بالمراجعة والتردد إليه، ذو نفس كريمة ومعاملة حسنة. لم يزل بيته مأوى لكل وارد من البحر، وهو من أهل الكويت، وله أخ صالح من التجار فى الكويت، يسمى سليمان البدر، وأصله من عشيرة يقال لها جناعة، وهو من تحريف المولدين، والظاهر أنه قنعة. لأن عرب البادية فى يومنا هذا يبدلون القاف جيماً، وقنعة بطن من العدنانية، وهم بنو قنعة بن سبع بن بكر بن اشجع بن ليث بنىْ غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بالعين المهملة ابن مضر ..

وكان لأشجع المذكور من الولد بكر وسليم وعمر، ومنهم جعدة بن هبيرة الأشجعى الصحابى رضى الله عنه وكانوا عرب المدينة النبوية، وكان سيدهم معقل بن سنان الصحابى ..

قال فى العبر: وليس الآن أحد منهم بنجد إلا بقايا حول المدينة، وبالمغرب الأقصى، فهم حى عظيم يصنفون مع عرب المعقل .. وقد أوضحت هذا النسب لرفع

شبه بعض من طعن فيه. لعدم الاطلاع على أنساب القبائل من عزو الناس إلى آبائهم..

ومنهم إبراهيم المنديل النجدى، وهو من التجار ذو مكر وشيطنة وخدعة، يراسل الى الهند، وله بيت فى البصرة وبيت فى الزبير، وهو من عشيرة الدوس من عشائر نجد، وهو مستحدث النعمة.

ومنهم عبد العزيز الصالح النجدى، وهو كريم الأخلاق حسن الوفاق. من التجار الخيار، ومن الثقات الأذكياء وله المراسلة إلى الهند وغيرها، ذو نفس كريمة لطيفة، وله أخ صالح يسمى عبد الرحمن فى الكويت، وهو فى بلدة تسمى مجمعة من بلاد نجد فى العمار ..

ومنهم عبد الله العودة النجدى، وهو من التجار الأخيار من ذوى النجابة. ذو ثروة تامة، وله مراسلة إلى الهند وغيرها، وأصله من عشيرة عنيزة ..

ومنهم المالع النجدى، وهو من التجار الأخيار له مراسلة إلى الهند وغيرها.

ومنهم محمد الفارسى النجدى، وهو رجل من الأخيار ذوى النجابة، وتجارته إلى الهند، وأصله من بنى حنيفة ومسكنه فى قصبة الزبير - رضى الله تعالى عنه.

ومنهم الحاج سليمان الخصيبى، وهو من التجار المراسلين إلى الهند، ولكنه مستحدث النعمة من أهل الثروة.

وأما بيت الحاج عبد الواحد فقد سبق بيان أصله، وهم من اكابر التجار من ذوى الثروة التامة، لهم المراسلة الى بلاد الهند، ولهم املاك جسيمة، وهم من اهل الخير، وكان والدهم عبد الواحد من أخيار الناس، وأخير أولاده النجيب الحاج محمود، ولهم بيت فى البصرة وبيت فى أبى الخصيب.

ومن التجار الاخيار محمد بن الحاج نعمة، وهو رجل من ذوى الحياء والصدق. له المراسلة إلى بلاد الهند، وله الثروة التامة والأملاك الجسيمة، وأصله من عشيرة كعب من أهل السنة والجماعة.

وأما محمد الياسين أمين النفوس. فهو من أهالى أبى الخصيب، وله نفس كريمة وادب ولم يزل يقرى الضيف من كل جانب.

ومن التجار عبد الرحمن الرفاعى، وله مراسلة إلى الهند، وغيرهم من التجار، وأهل البصرة أكثرهم من النجادة.

وأما السيد عبد الرازق مفتى البصرة فهو من أهل بغداد. من بيت يقال لهم السادة. من ذوى الطريقة القادرية. انتقل هو وابوه السيد عبد الرحمن وأخوه من بغداد إلى البصرة منذ مدة تزيد على خمس واربيعن سنة.

الباب الثالث

فى بيان أنهار البصرة

أنهار البصرة الموجودة فى هذا العصر الكبار المحصورة، والصغار التى لا يحصى عددها ويجرى فيها الماء من شط يقال له شط العرب، وهو مجتمع دجلة والفرات، ويحصل لهذا الشط ولجميع الأنهار المد والجزر فى اليوم والليلة. مرتين فى الليل ومرة فى النهار.

وتختلف ساعات المد تقديماً وتأخيراً، والانهار الكبار لم تزل مملوءة من الماء إلا العشار فإنه يخلو من الماء حالة الجزر .. وأما الصغار فإنها خالية أثناء الجزر. فإذا حصل المد امتلأت الصغار وازدادت الكبار التى تجرى فيها السفن، وجميع الأنهار الكبار خارجة من شط العرب، وبعض الصغار وباقى الصغار من الكبار.

فأول الانهار الكبار ابتداء من البصرة نهر العشار المشهور الداخل إلى البصرة، وهو نهر عظيم تجرى فيه المراكب والسفن وحوله بساتين كبيرة وبيوت، وهو من المحال الجسيمة، ومحل الحكومة على جانبه، وكذا سوق السيمر، وكثير من البيوت والقهاوى والحانات، وتجرى منه أنهار كثيرة.

والثانى نهر المناوى، وهو نهر عظيم حوله بساتين كثيرة وبيوت، وفيه محال العساكر البحرية، وتجرى منه أنهار كثيرة.

والثالث والرابع نهران تابعان لنهر المناوى. يقال لأحدهما (خورة) وللآخر

(مويلح) وحولهما بساتين كثيرة، وتجرى منهما أنهار كثيرة ..

والخامس نهر البراضعية الكبيرة، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

والسادس نهر البراضعية الصغيرة، وهو كبير حوله بساتين، وتجرى منه انهار كثيرة.

والسابع نهر المحاويل، وهو ستة أنهار حولها بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

الثامن نهر السراجى، وهو نهر عظيم، وهو أعظم المحال وحوله بساتين كثيرة، وتجرى منه انهار كثيرة.

التاسع نهر الفريج وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

العاشر نهر الوقف، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

الحادى عشر نهر الوقف أيضاً، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

الثانى عشر نهر المحولة، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

الثالث عشر فجة العرب، وهو سبعة أنهر كبار لها بساتين كثيرة، وتجرى منها أنهار كثيرة.

الخامس عشرة فجة الحاج نعمة، وهو نهران كبيران حولهما بساتين كثيرة، وتجرى منهما أنهار كثيرة.

السادس عشر فجة ابن عامر، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى

منه أنهار كثيرة.

السابع عشر نهر يوسف، وهو من أعظم الأنهر والمحال حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

الثامن عشر نهر حمدان، وهو من أعظم الأنهر والمحال حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

التاسع عشر نهر اليهودى، وهو تسعة أنهار كبار حولها بساتين عظيمة، وتجرى منها أنهار كثيرة، وهو من أعظم الأنهار والمحال، ومن توابعه السبيليات، ولها نهر كبير حوله بساتين كثيرة.

العشرون نهر خوز بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها زاء معجمة، وهو سبعة انهر كبار وحولها بساتين كثيرة وتجرى منها انهار كثيرة.

ومن توابعه نهر أبى مغيرة، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

الحادى والعشرون نهر ابى الخصيب، ويتفرع خمسة عشر نهراً كباراً حولها بساتين عظيمة كثيرة، وتجرى منها أنهار كثيرة، وهذا النهر أعظم الأنهار والمحال وأعمرها وأرغبها، وفيه أناس كرام وبعض طلبة العلم وبعض النقشبندية، وفيه عدة جوامع، وتقام فيه الجمعة والجماعة أكثر من سائر الجنوب.

والأملاك فيه مرغوبة وقيمتها أكثر من سائر الأملاك وسكانه أهل ثروة ودولة كبيت الحاج عبد الواحد، وهو من خيار البيوت على ما سبق بيانه عند عد بيوت البصرة. وأملاكهم مع كثرتها فهى عديمة النظير فى العراق، ولهم المراسلة إلى بلاد الهند، وعندهم مركب بحرى، وكان ابوهم الحاج عبد الواحد من خيار الناس وكرمائهم.

وبالجملة إن فى أبى الخصيب عدة أشراف وسادات وطلبة علم وتجار وأهل املاك من ذوى الخير، وكلهم من خيار الناس، وكذا سائر الجنوب من الأخيار وأهل

ديانة وخير ومكارم أخلاق ..

الثانى والعشرون نهر ابى الفلوس، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة، وهو من ملحقات أبى الخصيب.

الثالث والعشرون نهر العلمية، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

الرابع والعشرون نهر الفياضى، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه انهار كثيرة.

الخامس والعشرون نهر بلجان، وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة، وتجرى منه أنهار كثيرة.

السادس والعشرون نهر الزين، وهو من العظام وتجرى منه الأنهار كثيرة وحولها بساتين كثيرة. وهو عبارة عن خمسة عشر نهراً كلها مشحونة بالبساتين .

السابع والعشرون نهر المطوعة، وهو نهران عظيمان حولهما بساتين كثيرة وتجرى منهما أنهار كثيرة.

الثامن والعشرون نهر القطعة. وهو ثلاثة أنهر كبار تجرى منها أنهار كثيرة.

التاسع والعشرون نهر خورة السيحان، وهو كبير تجرى منه أنهار كثيرة حولها بساتين كثيرة.

الثلاثون الدواسر، وهو من المحال الجسيمة، وفيه بساتين كثيرة ومزارع الرز. وأنهارها الكبار التى لها اكوات ثلاثة. أحدها الخست، وهو نهر السيبة، والثانى نهر كوت بندر، والثالث نهر كورا الخليفة، فهذه الأنهار الكبار للدواسر.

وأما الانهار الصغار الواقعة فى الدواسر فقد تبلغ ستين نهراً. منها نهر الشليسيه ونهر الجالى ونهر الحايل ونهر الحدة ونهر قاع العنبر ونهر الربضة ونهر المجالدة ونهر المحيلة ونهر الخوص ونهر الزبال ونهر الشبيجى ونهر الوقف ونهر الديويب ونهر المرايحى ونهر خوز عباس ونهر ابن جلاوى ونهر الوقف أيضاً

ونهر باب الهوا ونهر كوت الخليفة أيضاً ونهر قاع محمد السلمان ونهرا العشيرة والخشنام.

وفي حوالي جميع هذه الأنهر بساتين كثيرة عظيمة، وهذه عدة أنهر الدواسر الكبار.

وأما الجداول والسواقي الصغار فتبلغ اكثر من مائتين، وطول الدواسر تقابل طول المقاطيع الجنوبية السبعة جميعاً، وأما ما وراء الدواسر فجزيرة الفداغية ونهران، وحولهما بساتين كثيرة، ودورة ابن ابراهيم، وهي عشرة أنهر كبار حولهما بساتين كبيرة، وهي من توابع الدواسر.

الحادي والثلاثون نهر المخراق وراء الفداغية، وهو نهر يخرج إلى البادية ليس في نواحيه نخيل وأشجار.

الثاني والثلاثون نهر المعامر وراء المخراق، وهي من المحال الجسيمة فيها خمسون نهراً كباراً تجري من تحتها السواقي الكثيرة. حولها بساتين عظيمة جداً.

الثالث والثلاثون الفاو، وهو من المحال الجسيمة كثير البساتين والنخيل والأنهار، وكان من توابع المعامر التي هي ملك النجيب راشد السعدون والد النجيب الكريم ناصر باشا. فأكرمه راشد المشار إليه إلى شيخ الكويت. والآن جميع الفاو في تصرف شيخ الكويت، ويمتد الفاو إلى ساحل البحر، وفيه اكثر من خمسين نهراً كباراً حولها البساتين الكثيرة العظيمة، وجميع ما ذكرنا من الأنهار إلى الفاو واقع في جنوب البصرة. إلا العشار فإنه يمر بها، إلا أن الجنوب حسب عرف أهل البصرة عبارة عن المحال السبعة، وهي السراجي ومهيجران ويوسفان وحمدان واليهودي ونهر خوز وأبو الخصيب، وجميع هذه الأنهر المعدودة من الجنوب وغيرها مشتملة على قرى ذات مساجد، وأهلها من أهل السنة والجماعة ..

وأما الأنهار التي في جهة شرق شط العرب فهي ثلاثة وسبعون نهراً عظاماً كباراً، نهر (كنيبان) وهو من المحال الجسيمة فيه عدة أنهار وفيه بساتين كثيرة جداً، ونهر (ابي چلاب) وهو من التي يتفرع منها أنهار كثيرة، وحولها بساتين كثيرة

ونهـر (الشـلة) وهـو مـن الكبار التـى يتفـرع منها أنـهار كثـيرة حـولها بسـاتين كثـيرة، ونهران كـبيران. جزيـرة الصـقر وتسـمى جزيرة العين، ويتـشعب النهـران المذكوران إلى اثـنى عـشر نـهراً، وحـولـها بـسـاتـين كثـيـرة، ونهـر الخراب، وهـو نهـران كـبيـران يتفرع منـهما أنهار حولهمـا بسـاتين كثيرة، والنهـر الدائر على المقاطعات الجـسيمة – أعنـى الكبـاسـى الكبيـر والكبـاسـى الصـغـيـر والحـوطة والريـان، وكل مـن هـذه المحـال يشتمل على أنهار كثيرة وبساتين عظيمة ...

ونهر حسن، وهـو نهران كـبيران يتفرع منهما أنهار وحولهمـا بسـاتين كثيرة، ونهر كـوت السادة وهـو ثلاثة أنـهر كبار حـولها بسـاتين كـثيرة، وكردلان وهـو اربعة انهـر كبار حـولها بسـاتين كثـيرة، وتنـومة نهـران كبيـران وحولهـما بسـاتين كثـيرة، وكوت الجـوع اربعـة أنهر كـبار حـولهـا بسـاتـين كثـيرة، ونهـر كوت البـاشـا، وهـو من الكبـار حوله بسـاتين كثـيرة، وكوت ابـن نعمـة، وهـو ثلاثة أنهـر كبار حـولها بسـاتين كثيرة وكوت زهير[1] أربعة أنهر كبـار حـولها بساتين كثيرة، وكـوت الكـوام والموحية خمسـة أنهر كبار حـولها بساتين كثيرة، وكوت غضـبان وكوت الشـيخ والحبابة تسـعة أنهر كبار حـولها بسـاتين كثيرة، ونهـر جاسـم وهـو عشـرة أنهر كبار، ونـهر الدعيجى وهـو من الكبـار التى يتفرع منهـا انهار. حـوله بسـاتين كثيرة، ونهـر البورى، وهـو من الكبار التى يتفرع منهـا أنهار وحوله بسـاتين كثيرة وجـزيرة البوارين اثنا عشـر نهراً كباراً حولها بساتين كثيرة.

هذا. والعمارة فى جهة الجنوب أكثر من غيرهـا.

وأما الأنهر التى فى جهة الشـمال. فمنها نهر الخندق وهـو من الكبار التى يتفـرع منها أنهار حولها بساتين كثيرة، ونهر الرباط الصـغير، وهـو من الكبار حوله بسـاتين كثيرة، والمطابيج نهران كبيران حولهما بساتين كثيرة، ونهر الجبيلة الصـغيرة، وهـو

(١) قال صاحب الرياض إن كوت زهير نسبة لعائلة آل زهير المشـهورة فى البصيرة.

من الكبار حوله بساتين كثيرة، وكوت الفرنكى وهو ستة أنهر كبار حولها بساتين كثيرة، وهو من المحال الجسيمة، ونهر كوتة على وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة، ونهر كوتة ماجد وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة، ونهر العنبرى، وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة، والهارثة وهى من المحال الجسيمة ذات الأنهار والبساتين الكثيرة، وهى من توابع أراضى المنتفق. إلا أنه لما كان لبعض أهل البصرة فيها أملاك ذكرناها، ويتصل بها الملك الذى تحت يد متصرف المنتفق، وهو ملك عظيم جسيم مشتمل على بساتين لا تحصى ومزارع لا تستقصى..

وأما الجزائر التى فى وسط شط العرب المشتملة على البساتين ومزارع الرز فمنها(المحمودية) وفيها بساتين ومزارع و(أم الخصاصيف) وفيها مزارع الرز وبساتين و (أم الجبابى) وفيها بساتين ومزارع الرز و (أم الرصاص) وفيها مزارع الرز وغيره و (الزيادية) وهى كبيرة جداً، وفيها بساتين ومزارع الرز و (الفداغية) وفيها بساتين ومزارع الرز، وجزيرة العين وفيها بساتين ومزارع الرز و (الصالحية) وفيها بساتين ومزارع الرز والحنطة و (الكليصاوية) وفيها مزارع الحنطة وبعض الصيفيات و (جزيرة المحلة) وهى عظيمة وفيها بساتين عظيمة ومزارع الرز، وجميع هذه الجزائر واقعة فى شط البصرة.

واستخلص جابر المرداو جزيرة المحلة من أملاك الدولة العلية، وتصرف بها من غير حق. لأنها واقعة فى البصرة وقربها، وهى مقاطعة جسيمة تبلغ قريبا من الف كيس، وغفل عنها المتصرفون فى البصرة .

وأما الأنهر والجداول المتفرعة عن تلك الأنهر المذكورة فتبلغ أكثر من عشرة آلاف نهر، والعشائر الساكنة فى هذه المحال بين البساتين لا يحصى عددها.

هذا والبصرة ونواحيها من عجائب البلدان التى لم يخلق مثلها فى البلاد فى كثرة البساتين والأنهر كونها معدن التجارة، وبندر بلاد الهند، ومن اقوى أسباب عمارتها ترتيب الجريب على أملاك اهاليها. لأن التزام محالها أو أخذ الخمس منها قد أضر باهلها ضرراً كلياً لكثرة المظالم، ولكون الخرص يوجب تأخير قص التمر

وفســاده فى غالـب السنين. فيـوجب تأخـير بيـعه إلى أهل الموسـم الواردين من اليـمن والسـواحل وعمـان وبر فارس والهـند فليحـقهم بـذلك ضـرر كلـى، وأكثر أهـل الموسـم يذهبون إلى المحمرة ونواحيها لشراء التمر، ويبقى أهل البصـرة فى الحسـرة والحيرة - كما شاهدت ذلك منهم، على أن فى الخرص غـدراً وظلما يشـق حمله، وقد تكاسلت أرباب الأمـلاك عن العمارة بسبب كثرة المظالم، وآلت مـحال البصـرة إلى الخراب.

ولو وضـع عليها رسـم الجـريب لعادت عمارتها أضـعاف ما فيـها من المعمور. لأن رسم الجريـب معلوم معـين فإذا أعطاه تصـرف فى ملكه كـيفما يـشاء ويختـار. ومتى شـاء قص الـثمـار وباعـهـا فى أوان المـوسـم فـتـزداد بذلك الـرغبـة فـى الـعـمـارة، وتـكـثـر الحـواصـل وتكـثـر الواردات المـيـرية، وتحـصـل الثـروة الـعـامـة لـلـرعـايا. عـلى أن رسـم الجـريب قـد يـسـتوى فـيـه الـشـريـف والوضـيـع، وقـد يكون الملـتـزم مـن أشـراف أهل البـصـرة. فيـخـرص كـيفمـا شاء أمـلاك الـفقـراء وتنجو أمـلاكه، وقـد يكون الملـتـزم من غير أشـرافها بمسـاعدة الأشـراف فلا يتعرض لملك الأشـراف..

ولذا ترى بعض اعيان البصـرة يأبـى عن ترتيب رسـم الجريب. وبالجملة إن فى ترتيبه كـف أيدى الظلمـة والمتـغلبـة عن أملاك الـفـقـراء وسـائر الرعـايا، ويسـتوى فـيه الكبير والصـغير والشـريف والوضـيع والفقير والغنى..

هذا ومـن جملـة ما وقع فـى الجهـة الشـرقـيـة من البـصـرة عـبادان وقـبان، وهـمـا داخلان فى حدود البصـرة، ومـن سـواد العراق. فالمحمرة وعبادان وقبان ودورق ستان كلها داخلة فى ملك الدولة العلية إلى موضـع يقال له البنية، وهـو أيضـاً للدولة..

وقد ذكـر الشـيخ مال الله بن أحـمد القـبانى أنه كان فى قـبان تـسـعـون مسـجداً ومدارس كـثيرة وعـلماء، وكان خـرابه بعد الألـف ومائة وسـبعين من الـهـجرة النبـوية على صاحبها أفضل الصـلاة والسـلام.

هذا من جـهة الـدورق ومما يدخل فـى جانب جـزيرة عـبادان من الجـهة الـعربية مـن أمـلاك الدولـة الـعلـيـة قـديمـاً ام الجـريدية والحـدة ونهـر الـشـيخ وحـوش المـعـامـر وجزيـرة المحبة والـشطبط والبـريم والبويردة والمنجوحى وقـصبة االقصـار وهـى آخر

جزيرة عبادان، وسميت قصبة لأنها منبت القصب.

وأما ما على جانب جزيرة عبادان من الجهة الشرقية فنهر الحياج وكوت شتة ونهر الحدادين ونهر مبيوب والصونيخ فهذه كلها معمورة والبواقى لا غرس فيها..

وما بإزاء نهر الدعيجى فنهر خميسة وسعيدان ونهر يوسف والشاخورة والمعمورة والدربند والخنبنى، وجزيرة عبادان محمودة الأض قليلة الآلام، وهى منبر العراق على ما قاله بعض العلماء، وكان فيها كثير من العلماء والأولياء. ومنهم العلامة قاسم العبادى محشى تحفة ابن حجر المكى الهيثمى – طاب ثراهما، وله عدة تآليف فائقة آخر. منها حاشية على جمع الجوامع فى الأصول المسماة بالآيات البينات، ومنها شرحه على العناية فى فقه الشافعية، ومنها حاشيته على حاشية اللقانى المصرى على شرح التصريف للتفتازانى، ومنها حاشيته على حاشية عصام الدين على شرح الكافية للجامى، وغير ذلك من الكتب المفيدة التى بلغت من التحقيق غايته.

وكان أهل عبادان ونواحى المحمرة فى القديم كلهم على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه كالبصرة ونواحيها، ثم ترفض جميع أهل عبادان ونواحى المحمرة فى القديم كلهم، وما بقى منهم أحد من أهل السنة والجماعة سوى بعض الأفراد من الدورق من عشيرة كعب.

وكانت عبادان فى القديم على ساحل البحر وليس وراءها قرية كما يقال (ما وراء عبادان قرية) والآن قد ظهر من البحر أرض واسعة، وصار وراء عبادان قرى كثيرة، وأما النهر المسمى بهمشير الحاجز بين عبادان والمحمرة فهو يدور على جزيرة عبادان من جهة الشرق إلى أن ينتهى إلى البحر. فجزيرة عبادان المذكورة على جهة النهر المذكور الغربية، وعلى جهته الشرقية جهة قبان وشاطئ نهر بهمشير المقابل لرأس جزيرة عبادان من جهة الشمال المحمرة المشهورة الآن..

وأما المحمرة المشهورة الآن فقد اتخذتها عشيرة كعب وسكنوا فيها، وسموها محمرة، وأهلها كناسة الأرض..

وقد حدثنى الشيخ المعمر على بن محمود النقشبندى الخصيبى بأنه قد رأى

هذا الموضع المسمى الآن بالمحمرة أرضاً خالية ليس فيها أحد ولا بناء، ثم سكن فيها محيسن بن كعب وتجمعوا وتمكنوا فيها، وتوطأوا على النهب وقطع الطرق والإفساد حتى كثرت أموالهم وعمت أذيتهم، ولا سيما على أهل البصرة ونواحيها، وحصلت لهم القوة وشيخهم جابر المرداو، وهو وعشيرته المذكورة من توابع كبار عشيرة كعب الساكنين فى الدورق المسمى بالفلاحية.

ثم عصى جابر المذكور عن طاعتهم بعد أن كان من جملة خدامهم ومنعهم عن الوصل إلى المحمرة وبارزهم، وحصلت له الشهرة والترويج من أكابر الدولة الإيرانية، وقد تحول جابر المذكور عن المحمرة إلى موضع يقال له الفيلية، وهو ذو ثروة غظيمة ودولة لا تحصى.

وذكر لى الشيخ على المذكور منشأ دولته، وهو أن المحمرة سنة ١٢٤٧ هـ قد صار فيها طاعون عظيم أفنى من فيها من التجار. فاستولى على أموالهم ومع ذلك لما كثرت الفتنة بين آل ناصر استولى على مائة قرية فاكثر، وكان لا يعطى العجم إلا شيئاً قليلاً. فهذا سبب كثرة أمواله وأملاكه وسفنه، وصار لدى الدولة الإيرانية أجل من أكابر كعب ومقدماً عليهم...

هذا وقبل انحناء بهمشير إلى البحر نهر يقال له الحفار، وهو كبير واسع وعليه قرى عديدة، وهو يسقى القبان، وفى جانب النهر المنحنى الجارى من كارون المذكور الغربى نهر كبيرمنقطع عن نهر عبادان المسمى بهمشير الشرقى، وفى جانبى هذا النهر الكبير نهران أحدهما ينتهى إلى قرب البحر، والثانى إلى قرب الحفار وتنشق منه أنهر كثيرة شرقاً وغرباً وسواقى كثيرة. فهذا فى الجهة الغربية من نهر قبان، والجهة الشرقية كذلك، وما فى جهة الشمال يصل إلى نهر كارون وهو المسمى بالسليمانية، وما فى جهة الجنوب يصل قرب نهر دورق ستان، وحافته الشمالية هى أرض قبان، وحافته الجنوبية خمس جزائر أحد طرفيها فى نهر دورق ستان والطرف الآخر فى البحر..

وأسماء الجزائر هى: ميان والسليك والمويلح وأما التفاح وجزيرة دورق ستان

التى يظن الناس أن فيها معادن إكسيرية، وفى مقابل هذه الجزيرة نهر يذهب إلى قبان من جهة الشرق، ثم يذهب إلى الشرق، وجوانبه شمالاً وجنوباً هى محال دورق ستان، وينتهى إلى نهر الدورق المسمى بالبزية الذاهب إلى البحر..

وحول نهر البزية أنهر كثيرة تتصل بنهر الجراحى عليها مزارع الرز، وهى مسدودة الرؤوس، ولو فتحت رؤوسها لغرق الدورق المسمى بالفراحية، ولذهب الماء إلى قبان فأحياه كما كان..

وفى الجهة الشرقية من نهر البزية نهر الجراحى، وهو نهر قوى الماء كنهر كارون يصل إلى قبان، ويذهب الجراحى إلى بلاد العجم.

وما وراء البزية انهار كثيرة، وفى جهتها الشمالية مساكن كثيرة – منها موضع يقال له جفال، ومنها الخزاعية وغير ذلك من المساكن العديدة التى نهايتها البنية المذكورة، ويتطاول هذا النهر إلى بهبهان، وعلى حافة نهر كارون الجنوبية قرية قرية تسمى السماعينى، وهى فى مقابلة الخزعلية التى على الجانب الشمالى من الجراحى، وعلى هذه الحافة من كارون محل يسمى الأهواز وهو مكان عال من الأرض..

والأهواز مقابل لمحل فى الجراحى يسمى غريبة، والبنية فى مقابل محل من كارون يسمى العمير.

ونهر كارون يجرى إلى ششتر ودسبول، ونهر بهمشير الذى هو نهر عبادان، والمحمرة ماؤه بين العذب والمالح.

قال اليافعى رحمه الله تعالى فى روض الرياحين: جزى الله أهل عبادان خيراً على صبرهم بشرب الماء المالح.. ويأتى الماء إلى بهمشير من نهر المسرهد الآخذ عن الشط.. والمسرهد فى موضع يقال له سوق الشيوخ المشهور..

وقد خلط سليمان الكعبى ماء كارون بماء الحافر فجرى فى نهر عبادان الذى هو نهر المحمرة ثم يجرى إلى البحر. فصار هذا الماء أعذب وأبيض فسماه العجم

بهمشير، وجميع ما ذكر من البزية والدورق ستان وجزيرته والقبان وجزائره وعبادان فهو ملك الدولة العلية العثمانية. أيدها رب البرية فضلاً عن المحمرة..

الباب الرابع

اسماء بعض المحال الواقعة فى جنوب البصرة

فأما السراجى فنسبته إلى رجل سراجى كان يعمل السروج فى المحل المذكور لآل راشد. الذين ملكوا البصرة بعد تاريخ السبعماية وواحد من الهجرة النبوية. على صاحبها افضل الصلاة والسلام.

وأما مهيجران فهو موضع هجار آل راشد.. ويوسفان كان لرجلين اسمهما يوسف.. وحمدان قبل حفره رجل من آل حمدان.. واليهودى حفره رجل من اليهود، وابو مغيرة حفره المغيرة بن شعبة الصحابى رضى الله تعالى عنه.. والسبيليات كانت ملك الأمير فارس الجد العاشر للأمراء الذين هم أعيان أبى الخصيب. فوقفه وسبله على وجه البر للفقراء والمشائخ الرفاعية. لإطعام الطعام، فسميت سبيليات – أى مسبلة، فاستولى عليها النقيب عبد الرحمن باستيلائه على البصرة فجعلها ملكاً له..

وأبو الخصيب بالخاء المعجمة. سمى بذلك لكثرة ما فيه من الخصب والبساتين، وقيل أصله بالغين المعجمة، وخصيب كان عبداً من عبيد هارون الرشيد الخليفة العباسى سكن فى المحل المذكور وبنى فيه حصناً، وآثار الحصن المذكور

موجودة الآن فى المحل الذى يسمى بريم.

وجيكور[1] اسم أعجمى بمعنى مكان الاعمى. والعامية. سميت بذلك لأنهم لما عمروها واشتغلوا بتعميرها صارت العملة تشتغل فيها وفى غيرها من المحال التى عمرت بعدها، وكان إذا سئل أحدهم: اين تشتغل؟ أجاب بأنه يشتغل فى العامية – أى فى التى عمرت العام فسميت بذلك.

والفياض قيل لكثرة فيضه، وقيل كان لرجل اسمه فياض.

وبلجان كما ذكر أهل التواريخ أنه فى الأصل بولجان، وهو نهر واسع، وكان يأخذ من نهر جندب الذى هو نهر البصرة القديمة.

وجندب هو أبو ذر الغفارى الصحابى رضى الله تعالى عنه، وهو مدفون بجانبه الشمالى، وآثار نهر جندب ظاهرة والقبر المنور ظاهر، وبلجان المذكور هو ذنب نهر جندب.

وقيل لما غضب الله تعالى على إبليس أمر بهبوطه إلى أرض بلجان فوقع فى النهر المذكور، وسكان بلجان إلى الآن أباليس البصرة. على ما حدثنى بذلك الشيخ على الخصيبى.

والزين كان لرجل صاحب جمال وحسن، وهو من طائفة من العرب يقال لهم البادية.

والمطوعة كانت فيه امرأة تقرىء الأولاد وتعلمهم الفقه وتطوعهم، وهى فى الأصل على وزن اسم الفاعل ثم بكثرة الاستعمال غيرها المولدون إلى اسم مفعول.

والدواسر محل عمره طائفة الدواسر وسكنوه، وهم من عرب نجد. وسيأتى – إن شاء الله تعالى – ذكرهم فى بيان قبائل نجد. فنسب إليهم، ولم يبق أحد من

---

(١) يقال إن أصلها چكبور – أى أعور اليسار.

ذريتهم فى عصرنا هذا.

وإنما سكنة الدواسر فى هذا الزمان من سائر العرب، توطنوا فيه واستغلوا كثيراً من مواضعه، وهو مقابل جزيرة عبادان.

والمعامر كانت أرضاً خالية عن الغرس. فاشتراها راشد السعدون والد ناصر باشا من بيت المال وعمرها سنة الألف ومائتين وست وعشرين من الهجرة النبوية، وكذا اشترى المطوعة واشترى البهادرية والفاو، ووقف البهادرية على فقراء المدينة المنورة وأكرم الفاو على شيخ الكويت، والفاو –وهو آخر العمران– يمتد إلى البحر.



أحوال نجد



الباب الأول

فى بيان موقع نجد وحدوده وبعض أحوال أهله مع بيان جزيرة العرب وما فيها من البلاد والمحال

إن النجد فى أصل اللغة ما ارتفع من الأرض، وما خالف الغور - أى تهامة فأعلى نجد تهامة واليمن، وأسفله العراق والشام، وأوله من جهة الحجاز ذات عرق. فهو بين تهامة واليمن والعراق والشام والحجاز، وهذه الأقاليم الخمسة جوانبه - على ما ذكره مجد الدين.

وذكر صاحب نهاية الأرب أن نجداً هى الناحية التى بين الحجاز والعراق، والحجاز هو ما بين نجد وتهامة، وهى جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام، ويسمى بالحجاز لحجزه بين نجد وتهامة. فعلى هذا لا يكون أعلاه تهامة كما ذكره مجد الدين - لوقوع الحجاز فاصلاً بينها وبين نجد، وهو من أحسن الأقطار وأعدلها مزاجاً وأرقها هواء وأعذبها ماء وأخصبها أرضاً وأنبتها أزهارا ونباتاً أوديته كالرياض، وأغواره كالحياض. قليل الأمراض. وقد تمثل الشعراء المجيدون بطيب هوائه ومحاله، وفيه بعض البلدان والقرى، وأكثر أراضيه صحارى وقفار فيها قبائل من العرب لا

يحصى عددهم إلا الله تعالى. معاشهم من الإبل والخيل والغنم، ولا يستقرون فى محل واحد. بل يرحلون من ناحية إلى ناحية، ومن دار الى دار، وماؤه مع قلته فى غاية العذوبة واللطافة والخفة، ولهم بطون وقبائل وشعوب لا تحصى، ولكل عشيرة منهم شيخ نافذ الكلمة بينهم، ولم تزل الحروب والمقاتلة بينهم ويجورون على أهل البلدان والقرى، ويقطعون العراق أحيانا فيغزوهم ابن سعود، وقد يمنع بعضهم عن بعض ويعاقب أهل العدوان ويقتل منهم اناساً ويحبس بعضهم إلى أن يستقيم الأمر، وهم أشجع العرب بل سائر الناس وأشدهم بأسا. كيف وقد وصفهم الله تعالى بشدة البأس بقوله تعالى: «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد» الآية ...

ومع شجاعتهم وشدة بأسهم فهم أهل ثقة وغيرة وصدق وكرم وذكاء مفرط وفطنة وقدرة على سرعة الجواب المسكت بقول وجيز، ولهم مكارم أخلاق كإكرام الجار وإجارة المستجير بهم، ولا يدور الكذب على ألسنتهم، ولا يشهدون الزور، ولا يهذون بكثرة الكلام.

هذا ومساكن العرب القديمة الذين تفرقوا فى الأقطار كانت بجزيرة العرب الواقعة فى وسط المعمور، وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة، حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن. حيث طى وزبيد وما داناهما، ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها، ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج عن بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق، ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء، والحاصل أن السائر على حدود جزيرة العرب مبتدئاً من البلقاء جنوباً إلى أيلة، ثم يسير إلى شاطئ بحر القلزم وهو مستقبل الجنوب والبحر على يمينه إلى مدين إلى البقيع إلى البروة إلى جدة الى أول اليمن إلى زبيد إلى أطراف اليمن من جهة الجنوب، ثم يعطف مشرقاً، ويسير على ساحل اليمن وبحر الهند على

يمينه حتى يمر على عدن ويجاوزها حتى يصل إلى سواحل ظفار من مشاريق اليمن إلى سواحل مهرة، ثم يعطف شمالاً ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه، ويتجاوز سواحل مهرة إلى عمان من بلاد البحرين إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة إلى الكوفة، ثم يعطف إلى الغرب، ويفارق بحر فارس فيسير والفرات على يمينه إلى سلمية إلى البلقاء. حيث بدأ - على ما ذكر صاحب السلطان عماد الدين حماد فى تقويم البلدان - سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأثقال فمن البلقاء إلى الشراة ثلاثة أيام، ومن الشراة إلى أيلة ثلاثة أيام، ومن أيلة وهو فرضة المدينة النبوية إلى الحجاز نحو عشرين يوماً، ومن الحجاز إلى ساحل الجحفة، وهى فرضة مكة المشرفة ثلاثة أيام، ومن جدة إلى عدن نحو شهر، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو شهر، ومن مهرة إلى عمان البحرين نحو شهر، ومن هجر إلى عبادان من العراق نحو خسمة عشر يوماً، ومن عبادان إلى البصرة إلى الكوفة نحو اثنى عشر يوماً، ومن الكوفة إلى باليس نحو عشرين يوماً، ومن باليس إلى سلمية نحو سبعة أيام من سلمية إلى مشارف حور ان دمشق نحو أربعة أيام، ومن مشاريق غوطة دمشق إلى مشارف حوران نحو ثلاثة أيام، ومن مشاريق خوران إلى البلقاء نحو ستة أيام.

ثم اعلم أن الجزيرة فى أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء أخذاً من الجزر ضد المد، ثم توسع فيه فأطلق على كل ما دار عليه الماء، ولما كان هذا القطر يحيط به بحر القلزم من جهة الغرب، وبحر الهند من جهة الجنوب، وبحر فارس من جهة المشرق، والفرات من جهة الشمال أطلقت عليه الجزيرة وأضيفت إلى العرب لنزولهم بها ابتداء ومساكنهم فيها.

قال المدينى. وجزيرة العرب تنقسم إلى خمسة أقسام: تهامة ونجد وحجاز وعروض ويمن. فتهامة هى الناحية الجنوبية من الحجاز، ونجد هى الناحية التى بين الحجاز والعراق، والحجاز وهو ما بين نجد وتهامة على ما سبق، وهو جبل مقبل من اليمن ممتد ومتصل بالشام، وسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة على ما سبق، والعروض هى اليمامة إلى البحرين، ويدخل فى جزيرة العرب قطعة من بادية الشام،

وفى كل قسم من هذه الأقسام الخمسة مدن وبلاد.

فأما الحجاز الذى هو وما حوله من الأماكن أفضل البقاع وأعدلها لأن الكعبة وتربة أشرف الخلائق نبينا محمد (ص) فى أراضيه. ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبوية على مشرفها أشرف الصلاة وأكمل السلام والتحية. قيل هى من نجد، والراجح أنها من الحجاز، وأما تهامة ففيها من البلاد المشهورة مكة المشرفة، وقيل هى من الحجاز، فيها أيضاً من البلاد ينبع، وأما نجد فسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ما فيه من البلاد فى بابه المخصوص به، وأما العروض فيشتمل على ناحيتين. الأولى اليمامة، وقيل هى من الحجاز، وهى مدينة النبى (ص) فى المقدار بينها وبين البصرة ستة عشرة مرحلة، وبينها وبين الكوفة مثل ذلك، وهى أكثر نخيلاً من سائر بلاد الحجاز، وبها كان مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة فى زمن النبى (ص) وقيل فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه، والناحية الثانية بلاد البحرين وهى قطر متسع يجاور لبحر فارس كثير النخيل والانهر والمياه واسع التجارة. بحرها معدن اللؤلؤ الفاخر، وعدد بلدانها يزيد على سبعين لا يوجد مثلها فى الممالك، وهى قريبة من بر القطيف مسافة خمس ساعات، وعن قطر أربع ساعات فى السفن، وعن العقير سبع ساعات مع الريح المعتدل، والمتولى عليها ابن خليفة من وائل، ويسكن أحياناً فى بلدة المناة، وأحياناً فى بلدة المحرق، وهى من ممالك الدولة العلية العثمانية، ولكثرة تردد الإنكليز عليهم فهم على وجل منهم، ولا يدعون الا الانتساب إلى الدولة العلية. إلا ان الدولة لم تسكت عنهم إلا لبعدهم مع كثرة مشاغلهم المهمة التى هى أهم من البحرين، ومع ذلك فأهلها فى حيرة من الإنكيلز، والعجب من ولاة بغداد كيف غفلوا عن هذه البلاد العظيمة مع كونها داخلة فى جزيرة العرب. التى ملك الدولة العلية، وكانوا قبل هذا تحت يد ابن مسعود امير نجد الذى هو من تبعة الدولة العية العثمانية، وكيف لا يمنعون احتجاجات الدولة الإنكليزية عنهم مع وجود صداقتهم التامة بين الدولة الإنكليزية. إنهم مع صحة صداقتهم مع الدولة العلية كيف يتجاسرون على حركات تستدعى التصرف فى أمور البحرين مع ظهور انها ملك الدولة العلية.

وأما دعوى الدولة الإيرانية للبحرين فهى من قبيل دعوى ان مكة والمدينة لهم، وأن

جزيرة العرب من إيران.

وأما انتساب بعض أهل البحرين فى بعض الأحيان إلى الدولة الايرانية خوفاً من تسلط الإنكليز عليهم فهو من قبيل الغريق يتشبث بالحشيش. لانهم يستطيعون دفع عساكر الدولة الإيرانية ولا يستطيعون منع مراكب الدولة الانكليزية. فينسبون انفسهم إلى الدولة الإيرانية لعدم خوفهم منهم. يبتغون بذلك الخلاص من تعرض الدولة الإنكليزية بهم، وكانت دعوى نسبتهم إلى الدولة الإيرانية بعد أن نادوا باعلى صوت من كل جانب بتبعية الدولة العلية فلم يجبهم أحد ومع هذا فهم الآن معترفون بتبعيتهم للدولة العلية ومتأسفون على إعراض الدولة العلية عنهم، وبمساعدة قنصل بندر أبو شهر عزل محمد بن خليفة عن البحرين، ونصب محله أخاه على. فذهب محمد إلى الكويت، وهو من بنى عم شيوخ الكويت فالتمس شيخ الكويت من على عود أخيه إلى البحرين. فعاد ومعه أثناء الدخول محمد بن عبد الله من بنى عمه فاستقبله على بموكب الحرب ومعه ولد محمد بن عبد الله. فلما رأى على محمداً بن عبد الله مع أخيه محمد بن خليفة قال لولد محمد بن عبد الله: والدك من الخائنين معى فتضاربا وقتلا معاً. فذهب محمد بن خليفة إلى بيت أخيه على ثم حبس وصار محمد بن عبد الله شيخاً على البحرين وهذه وقعة عجيبة.

هذا ومن أعظم بلاد البحرين وأشهرها «هجر» بفتح الهاء والجيم، وهى التى كانت قاعدة البحرين فى الزمن المتقدم فخربها القرامطة عند استيلائهم على البحرين، وبنوا مدينة الاحساء ونزلوها، وصارت قاعدة البحرين وسيأتى بيانها إن شاء الله تعالى.

وأما اليمن فهو إقليم متسع الأرجاء متباعد الأطراف وكانت قاعدته القديمة مدينة صنعاء، وهى مدينة عظيمة تشبه مدينة دمشق فى كثرة مياهها واشجارها وأنهارها وجداولها. معتدلة الهواء عذبة الماء، وهى من أعدل البلدان وأسهلها معاشاً وأحسنها مزارعا، وكان لأهلها قوة عظيمة، وامراؤها من الأشراف على ما هو المشهور، وهم ائمة الزيدية، وقد ارتفعت الإمارة فى هذا العصر عن الأشراف لنزاعهم وغلبة أهل

البادية عليهم. فصار أميرهم أحد عرب البادية يحكم بينهم بقوة العرب، وغلبتهم القديمة. قيل أول من احتلها سام بن نوح عليه السلام، وفيها مساجد ما يزيد على ثلثمائة، ومن الحمامات ما يزيد على المائتين وغالب أهلها وأهل باديتها وأشرافها زيدية، وأهل السنة فيها قليلون، وكانت فى تصرف الدولة العلية من القديم ثم صرفوا عنها النظر، وقد استحدث إمام الزيدية عليها حصناً عظيماً فى الجبال مطل على التهائم، وأراضى زبيد، وفوقه منتزه يقال له صهلة قد ساق إليه المياه من الجبال التى فوقها، وبنى فيه أبنية عظيمة فى غاية الحسن فى وسط بستان، وهو منزل بنى رسول ملك اليمن..

ومن بلاد اليمن الشهيرة زبيد بفتح الزاى المعجمة، وهى قصبة التهائم، وموضعها فى مستو من الارض وفيها نخيل كثيرة، ولها سور دائر فيه ثمانية أبواب وبينها وبين البحر خمسة عشر ميلا، وهى من البلاد القديمة وفيه شجر البن، قيل وتوجد فيها المعادن. وأول بنادر اليمن من جهة مكة المشرفة هى الليث والقنفذة وجيزان ولحية وكمران والحديدة ومخا، وهى قريبة من باب المندب وباب المندب، وهو مضيق فى البحر واقع فى جهة الغرب من بر اليمن دون شرقى الصومال، والباب المذكور بغاز اليمن. وقد أخبرنى بعض من أثق به من أكابر تجار نجد بأن الإنكليز قد سكنوا فى البغاز المذكور من مدة ثلاث سنين بحجة أن يجعلوا فيه منارة وعلامة لاهتداء المسافرين فى البحر. مع كونه من أملاك الدولة العلية، والله اعلم بعاقبة مرادهم، وفى اليمن أمم وقبائل كثيرة من العرب، وقد قلت أموالهم ولم تتصل بهم أنظار الدولة العلية وحسن سياسته وعدالته. فآلت بلادهم إلى عدم العمارة التامة، واما بنادر الحجاز فجدة وينبع ورابغ والقصير.

ومن مشاهير بلاد اليمن عدن وهى فرضة اليمن قديماً وحديثاً، ويقال لها عدن ابين سميت باسم بانيها، وهى مدينة على ساحل بحر الهند جنوبى باب المندب، يميل الى المشرق مورد مراكب الهند ومصر وغيرها. بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل. واقعة فى ذيل جبل كالتنور عليها، وتمام الجبل سور إلى البحر ولها باب إلى البر وباب إلى البحر. إلا انها قشفة بايسة ينقل اليها الماء على ظهور الدواب بحسب

العهد القديم. وأما فى عصرنا هذا فقد صارت بلدة عظيمة محصنة غاية التحصين معمورة مزينة قل أن يوجد مثلها على السواحل، وهى من بر العرب ومن أملاك الدولة العلية، وسكانها وشيخهم ويقال له الفضلى. فطلب الإنكليز منه من مدة أربعين سنة أن يضعوا عنده ذخائر المراكب الإنكليزية ويبقوا عليها نفرات منهم لمحافظتها، ثم بعد مدة اشتروا عدناً من الشيخ الفضلى المذكور بألف وخمسمائة ريال على ما تواتر وتولوها وعمروها وصرفوا عليها خزائن كثيرة وحصنوها بالقلاع تحت الجبل، ثم طلبها الفضلى منهم فامتنعوا عن تسلميها إليه، ثم حاربهم فلم تحصل له الغلبة وأيس منها وبقيت فى أيديهم، وقد صارت الآن بسبب خراب بلاد اليمن لما أجروا فيها من حسن المعاملة مع أهلها ومع المترددين إليها، وابطلوا الكمارك والرسومات فيها، وحصلت لأهلها الرفاهية والثروة، ورغب أهل اليمن إلى السكنى فيها من كل جانب. مع أن اليمن لو حلت فيه السياسة العادلة والحرية التامة لكان فى غاية العمارة والمنفعة، ومن البلاد الشهيرة فى اليمن بندر السحل وبندر مكلا، وهما بندران لبر حضرموت وأكثر أهله من الحضارمة القحطانين، وأول بلدان حضرموت بلدة يقال لها أريم، وفيها السادة الحضارمة، وهم من الأشراف الصحيحى النسب، ومن ذوى الصلاح، وفيهم كثير من العلماء وكلهم شافعية، وأهل حضرموت أهل شجاعة وإقدام كاهل نجد. إلا أن اهل نجد أزيد منهم فى مكارم الاخلاق. قال فى نهاية الأرب: ومن مشاهير بلاد اليمن نجران بفتح النون وسكون الجيم، وهى بلدة ذات نخيل وأشجار على الغرب من صنعاء، وهى بين عدن وحضرموت فى الجبال، وتعد من بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمارات ومبان وبه كان افتى بن الافعى الجرهمى الذى تحاكم إليه مضر وربيعة وإياد وانمار اولاد نزار بوصية من ابيهم.

قال بعض الأذكياء من أهل نجد: وأما نجران فلا يحسب من اليمن. بل هو قطر مستقل واقع شرقى وادى الدواسر من أراضى نجد بلد العرب الذين يقال لهم يام، وهم عرب العجمان، وكلهم شيعة على عقيدة (العميديين) العبيديين الذين كانوا فى مصر، وفيهم سادات اشراف يعتقدون بهم غاية

الاعتقاد، ويدعون أنهم يعلمون شيئاً من المغيبات.

قال فى نهاية الأرب ومن مشاهير بلاد اليمن ظفار بالظاء المعجمة بعدها فاء، وهى مدينة على ساحل خور يخرج من بحر الهند بينها وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً، وعلى شمالها رمال الأحقاف التى كان عاد فيها، وهى قاعدة بلاد الشحر، ويوجد فى أرضها كثير من النبات الهندى، ولها بساتين على سواق، ويوجد فى سواحلها العنبر، وغير ذلك من البلاد المتعددة، وقال بعض الأذكياء: وكذلك ظفار ليس من اليمن بل هى أقرب إلى مسقط.

أقول: وما ذكره بعض الأذكياء أولا وأخراً مبنى على ما هو المعتاد الآن من أن اليمن يطلق على ما هو داخل باب المندب من جهة الحجاز، وأما بادية الشام ففيها من جزيرة العرب تدمر بفتح التاء وضم الميم، وهى بلدة قديمة ببادية الشام من أعمال حمص واقعة فى شرقها، وأرضها سباخ، وفيها نخيل وزيتون وأشجار ولها سور وقلعة. بينها وبين حمص نحو ثلاث مراحل، وكذلك عن سلمية، وبينه وبين دمشق تسعة وخمسون ميلا، وبينه وبين الزحلة مائة ميل وميلان، وهى منزل آل ربيعة ملوك العرب بالشام، وكذلك من جزيرة العرب الواقعة فى بادية الشام بلدة تيم، وهى حاضرة طئ، وبها الحصن المعروف بالأبلق المنسوب إلى السموأل بن عادياء، وتبوك وهى بلدة بين الحجر أرض ثمود وبين الشام، وبها عين ماء ونخيل يقال إن بها أصحاب الأيكة الذين بعث الله تعالى إليهم شعيبا عليه السلام.

هذا. وكان اليمن على ماقاله صاحب نهاية الأرب منازل العرب العاربة من عاد وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت، ثم انتقلت ثمود إلى الحجر من أرض الشام. فكانوا به حتى هكلوا - كما ورد فى القرآن الكريم - وهلك من هلك من بقايا العاربة باليمن من عاد وغيرهم، وخلفهم بنو قحطان بن عامر فعرفوا بعرب اليمن، وبقوا فيه إلى أن خرج عمرو بن مزيقيا وعند وقوع سيل العرم، ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا فى الحجاز والشام وغيرها عند حدوث سيل العرم، وكانت أرض الحجاز منازل بنى عدنان إلى أن غزاهم بخت نصر، ونقل من نقل منهم إلى الأنبار من

بلاد العراق، ولم تزل العرب بعد ذلك منتشرة فى الاقطار إلى أن كان الفتح الإسلامى. فوغلوا فى البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك والفرس، وذهبوا إلى اقصى المغرب وجزيرة الإندلس وبلاد السودان وملأوا الآفاق، وعمروا البلاد والأقطار، واكتسبوا العلوم والمعارف، وألفوا ودونوا، وملأت آثارهم الحميدة التى تعلم منها سائر الناس فى جميع الآفاق، وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز فأقواموا به، وبقى من بقى منهم بالحجاز واليمن إلى الآن، ومنهم من تفرق فى الأقطار وملأوا ما بين الخافقين. ثم اعلم أن علماء النسب قد اختلفوا فى العرب العاربة. فذهب ابن اسحاق الطبرى إلى أن العاربة هم عاد وثمود وطسم وجديث وأميم وعميل والعمالقة وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضور والسلف ومن فى معناهم. والمستعربة بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن افخشد بن سام ابن نوح وبنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام من ولد عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة الذين كانوا فى زمنهم، وتعلم بنو اسماعيل العربية من جرهم وبنى قحطان حين نزوا عليه وعلى امه هاجر بمكة شرفها الله تعالى.

وذهب آخرون ومنهم صاحب حماة إلى أن بنى قحطان عاربة، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل فقط، وإلى الأول ذهب جمهور علماء النسب، ورجحه صاحب العبر محتجاً بأنه لم يكن فى بنى قحطان من زمن نوح عليه السلام إلى عابر من تكلم العربية وإنما تعلموها نقلاً عمن قبلهم من عاد وثمود.

وذكر أن اسم قحطان فى التوراة يقطن فعرب قحطان. وقال بعضهم إن قحطان بن الهميع بن تيمن بن ثابت بن إسماعيل عليه السلام. لأن عدنان وقحطان يستوعبان بطون العرب العدنانية والقحطانية لانقراض سائر العرب العاربة من عاد وثمود وأمثالهما.

أقول. وهذا مراد من قال إن جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام. لأنه لا ريب فى بطلان كون عاد وثمود ومن فى معناهما من ولد إسماعيل عليه السلام، ورد أبو عبيد ما قاله البعض ووافقه صاحب نهاية الارب بقوله: وشذ من قال إن

قحطان بن الميع بن تيمن بن ثابت بن إسماعيل عليه السلام.

هذا والعاربة هم العرب الأولى الذى فهمهم الله تعالى العربية ابتداء فتكلوا بها. فقيل لهم عاربة بمعنى الراسخة فى العربية، ويقال لهم العرباء أيضاً. إما بمعنى الفاعلية والمبتدعة للعروبة، والمستعربة هم الذين دخلوا فى العربية بعد العجمة من استفعل كقولهم استحجر الطين اذا صار فى معنى الحجر ليبسه، وربما قيل لهم المعتربة، وذهب بعضهم إلى أن العربية كانت موجودة من عهد آدم عليه السلام، ولقوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها» لتعلقها ببعض دون بعض.

الباب الثانى

فى بيان بلاد نجد ومحاله

وما يتصل به من المحال والبلدان والقرى

فأما أول نجد المعمور من مساكن الحاضرة من جهة الشمال فجوف آل عمر الذي علي شماله خيبر وفيه قري كثيرة، وكان في أيدي عنيزة، ثم صار في أيدي ابن رشيد شيخ جبل شمر بأمر ابن سعد أمير نجد، وجبل شمر هو مستقر ابن رشيد إلي الآن (سنة ١٣٣٩ هـ) منها، ومحل توطنه في الجبل المذكور قري كثيرة منها حائل وقفاً وموقف وجبه وبقعة سميراء والكهفة وغير ذلك من القري الكبيرة، وآل رشيد رؤساد الجبل أهل شجاعة وكرم وهم أمراء الحاج المتوجه من بغداد علي جهة الجبل (إلي الآن) وكبيرهم في عصرنا هذا ابن طلال بندر بن طلال (والآن سنة ١٣٢٩ وهم سعود بن عبد العزيز) في طاعة ابن سعود وأمره، ثم القصيم وهى ناحية من أحسن نواحي نجد، وأهلها من أقوي أهاليه وهم أيضاً في طاعة ابن سعود وتحت أمره، وكبيرهم من جهة ابن سعود، وفي القصيم بلدتان مشهورتان، وهما عنيزة وبريدة. فأما عنيزة فكبيرها رجل من سليم إلي الآن وهم أهل بيت قديم فى عنيزة من عشيرة سبيع، وأما بريدة فكبيرها محمد السديري قد نصبه ابن سعود أميرا علي كافة قري القصيم ومحاله سوي عنيزة، وقري القصيم الاسياح وعين ابن

فهيد وحنيظل وأبو الدود وقصباء وقري بريدة الشنة والعيون والبصة والقرعاء (أرمه الذي ينحدر إلي عنيزة من جهة الشمال) ووادي عنيزة وغير ذلك، وقري الوادي التابعة لبريدة الشيحيات والهلالية والبكيرية والخبراء، وقري الرس: صبيح والنبهانية وقري المذنب ثلاث. هذا هو المشهور من محال القصيم، ثم ناحية سدير وبلدانها الزلفي وقراه خص المجمعه وحرمة ووشي والجوي وجلاجل والنوم والداخلة والروضة والحصون والحوطة والجنوبية والعطار والجنبقي والعودة وتمير وعشيرة والحطامة. فهذه محال سدير، والأصح مركز حكومة الألفي. بلدة الزلفي ومركز الحكومة المجمعة ثم ناحية الرشم محالها شقراء وهي مركز الحكومة وشيقر والقرائن والفرعة وترمد ومرات وتيثية والجريقة والحريق والقصب وعسيلي والبير والدوادي والشعرة والقويمة والرويضة والشمس والخانوقة والحيد فهذه عدد بلدان ناحية الرشم، ثم ناحية المحمل ومحالها نادق وهو مركز الحكومة، والبير والصغرة والرغبة والبيرة ودقلة والقرينية نسبة إلي مقران مؤسسها، وفيها أثار قديمة جداً، وعليها كتابات غريبة وملهم وصلبوخ (الصلبوخ حجر الزناد سمي لصلابة ارضه) ثم ناحية العارض المسمي بوادي حنيفة، وباليمامة وهو مركز إمارة ابن سعود علي كافة نواحي نجد الحاضرة والبادية، وكان مركز إمارته الدرعية فصار مركز الإمارة محلاً يقل له الرياض من محال العارض، والرياض بلدة كبيرة فيها كثير من الناس، وهي من احسن المحال وأول ناحية العارض حريملة ثم سدوس وفيه تمثال دفع عنه الانكليز مبلغ ١٥٠٠ ليرة إنكليزية بارز عن وجه الأرض وعليه كتابات، ويقدر طول البارز منه متران، ثم خرما ثم العمارية ثم ابوكباش ثم الجميلة ثم العينية ثم الدرعية ثم عرجة ثم الرياض ثم منفوحة، وفي جنوب العارض الخرج، وهي بلدة قديمة وفيها أماكن ذات عيون جارية وكان محل عشيرة عائد من قبائل نجد، وصار لهم فيه صولة عظيمة، وكان منهم أهل بادية ومنهم أهل حضر تفرقوا في بلدان نجد وغيرها، ولم يبق منهم أحد في البادية، وقد تفرق كثير من قبائل نجد كعائد المذكورين وآل مغيرة وزغب وآل بشر وقري الخرج الدليم والسلمية واليمامة وزميمة ونعجان والسيح وغير ذلك من القري، ثم الفرع وهو واد معمور وفيه نخيل

كثيرة قوية وغالب سكانه من بني تميم، وهم أهل حضر وأما أهل البادية من تميم فما بقي منهم أحد، وقري الفروع الكبار الحوطة والحريق ونعام والحلوة وهى محل الحكومة من جهة ابن سعود. ثم ناحية الأفلاج وهي أول بلدان قبيلة الدواسر وقراها البلي والبدع والأحمر والهدار وغير ذلك من القري المشحونة، بالنخيل ثم وادي الدواسر، وأوله السليل،وقراه كثيرة منها اللدام والحنابج، وجميع قراه خمسة عشر قرية، والوادي (الذي يقال له وادي حنيفة) المذكور هو مسكن الدواسر البادية والحاضرة وهو آخر نجد من جهة الجنوب، والمعمور من نجد من جوف أجل عمر إلي وادي الدواسر مسيرة خمسة عشر يوماً من جهة الشمال إلي الجنوب. وأما من جهة الشرق إلي الغرب فالمعمور منه مسافة ستة أيام. هذا هو المعمور بالبلدان.

وأما مساكن أهل البادية في العشائر والقبائل فهو طول مقدار شهر وعرض كذلك، وأودية نجد الكبار كثيرة منها. وادي حنيفة، ومنها وادي الدواسر، ومنها وادي القصيم المسمي وادي الرمة، ومنها وادي سدير. وفي نجد عقبات صعبة المسالك، والدهناء هي الرمال الحاجزة دون نجد، ثم من الجهة الجنوبية لنجد بلاد عسير، وهم قبائل كثيرة لا يحصي عددهم من ذوي الشجاعة والإقدام حاضرة وأهل بادية، والحاضرة منهم هم قبيلة شهران من حمير وقدتوالاهم قبل هذا ابن سعود، والآن ليسوا في طاعته وشيخهم الآن محمد بن عائش من عشيرة يقال لهم المنع، وغالب مساكنهم في الجبال لا يزالون يغيرون علي سواحل اليمن فينهبون منها، ومركز حكومة كبيرهم في الجبل في بلدة يقال لها السقا، ولهم أكثر من مائة قرية، وأكثرهم في البادية ثم بلاد اليمن- وقد سبق بيانها-

وفي الجهة الشرقية لنجد الأحساء والقطيف، وهو من الخط الذي فيه جزيرة دارين الملاصقة للقطيف والأحساء في تصرف ابن سعود، وهي قري كثيرة، وأكبر ما فيها من البلاد الهفوف والمبرز فالهفوف مركز الحكومة من جهة ابن سعود. وفي الأحساء ست قلاع فيها عساكر ابن سعود، ويتبعها أكثر من مائتي قرية كبيرة غير البلدتين المذكورتين، وهي بلاد متسعة سهلة المعاش ذات نخيل كثيرة وأشجار ومياه جارية، ولا يأخذ منهم ابن سعود إلا العشر. وفي الأحساء كثير من العلماء الأعلام

من المذاهب الأربعة رضي الله عنهم، ومن أجل علمائها الأعلام العالمين الزاهدين الشيخ ابو بكر، وقد رأيت له تأليفاً جيداً في التصوف وفيها رفضة اكثر من ثلثيها لكنهم في غاية الذل، وأما بلد القطيف فجهة مشرقها علي ساحل البحر تقابل الأحساء في النهر والحواصل، وجميع سكانه رفضة، وهو عن الأحساء مسافة ثلاثة مراحل، والأحساء ونجد مسافة سبع مراحل، وبين الأحساء والقطيف الدهناء، وهي رمال، والصما وهي أرض يابسة لا يوجد فيها ماء، والمسافر منهما إلي نجد لا بد له من حمل الماء، وفي الجهة الشرقية للقطيف بندر العقير الواقع علي ساحل البحر، وهو بندر الأحساء، وفيه محل محصن لبعض عساكر ابن سعود. معد لتجار نجد الذين يسافرون إلي الأحساء. فإنهم إذا وصلوا إلي المحل المذكور جعلوا أموالهم فيه إلي أن تأتيهم الرواحل فتحمل أموالهم إلي الأحساء.

ثم في شرق العقير ناحية قطر، وهي منزل العرب أهل السفائن الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ وهم قبائل منهم من قحطان، ومنهم من وائل، وفي بر قطر بعض من بني هاجر، وفي باديته عشيرة يقال لها المناصير، وفي سواحله عدة محال كثيرة منها البدع وهو رأس الزبارة ونويرط وغير ذلك من البنادر، وقد يتصرف صاحب جزيرة البحرين أحياناً في قطر، وأما بره وصحاريه فهو في تصرف ابن سعود.

ثم في الجهة الشرقية لقطر أول بلاد عمان، وهو بلد ابن جني، وسكان هذا البلد عشيرة يقال لهم بنو ياس وهم من قحطان، وهي قليلة الماء ليس فيها زراعة ولا نخيل وإنما سكنتها أهل سفن يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ، وكبيرهم منهم وهو رجل يسمي زائد.

ثم شرقيها رأس الخيمة وهي بلدة القواسم، وهم قطاع سبل البحر وكانوا في غاية الجسارة من قتل النفس وأخذ اموال الناس، ومن مدة اربيعن سنة هدمت الإنكليز بلدتهم المذكورة وخربوها فتفرق أهلها، ثم رجعوا إليها وعمروها وسكنوا فيها، ولكن قطعت أيديهم من منبع سبل البحر.

ثم شرقيها بلدة يقال لها الشارقة، وهي من توابع رأس الخيمة، وأهلها أيضاً من عشيرة القواسم، ولهم سفن يسافرون بها إلي بلاد الهند ويغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ. كبيرهم منهم ثم في شرقيها دبي وأهلها ايضاً من القواسم، ولكنهم مستقلون بأنفسهم صنعتهم الغوص في البحر، ثم بندر خورنكان وسكانهم قليلون يصطادون السمك من البحر. ثم بندر سحار وهي بلدة كبيرة من توابع صاحب مسقط وفيها واحد من بيت آل أبي سعيد ولاة مسقط، وهي كثيرة النخيل والأشجار، ثم بندر الشوري، وفيه أهل سفن يسافرون في البحر، ثم بندر السويب وهي بلدة فيها نخيل وفواكه وسفن، ثم بندر بركة وسكانه اهل زراعة ونخيل وسفن.

فهذه بنادر عمان، وأما بلاده التي في البر فمقدار مائة وعشرين قرية، وقبائله السعد والمناصير ونعيم وفيه عالم كثير، وهو قطر واسع ذو نخيل كثيرة وفواكه عجيبة وافرة، وفيه الإبل النجائب النعمانيات والخيل فيها قليلة، وغالب أهل عمان علي مذهب الإباضية، والبر الذي بين عمان وحضرموت رمال لا تسكن ولا تسلك، والصحيح انها ارض عاد –علي ما قاله بعض أهل الوقوف علي التواريخ القديمة– وفي قطعة شمال البريمي من عمان قبائل وعشائر كثيرة جداً تحت حكم ابن مسعود، ويغزو أحياناً علي بلاد عمان كما أن له علي والي مسقط في كل سنة عشرة آلاف ريال لصولته عليه وعلي كثير من قبائل عمان الداخلين تحت طاعته. فإن لابن سعود في تلك النواحي صولة وشأناً عظيماً ويداً طولي، ثم في الجهة الشرقية لبندر بركة بندر مسقط المشهور ويتبعه قري كثيرة، وهي بلدة في غاية العمارة مشتملة علي كثير من التجار المتمولين أهل السفن والمراكب ومسافرتهم الي بلاد الهند وجدة، وفي نواحيها بساتين كثيرة ذات نخيل وأشجار وأثمار عجيبة، ولا يوجد مثلها للتجارة وقد وقع الخلاف والمنازعة بين أهل المشيخة من آل أبي سعيد، ولأنها ضعفت حالها، وقد بلغني أن ابن سعود جهز عسكراً عظيماً ومشي علي مسقط في هذه الأيام، وقراها المشهورة الكبيرة مقدار خمس عشرة قرية. ثم في الجهة الشرقية لمسقط بلد سور، وفيها سفن كثيرة، وسكانها أهل تجارة يسافرون إلي جميع

الجهات ليس عندهم زراعة ولا نخيل، ثم في شرقيه رأس الحد ومسافرة سكانه في البحر، وهو آخر بر العرب من جهة الشرق، ثم ينعطف البحر غرب الجنوب إلي خليج اليمن، وهو البحر الأحمر وأول محل العطافة مكان يسمي مصيرة، وسكانه لا يعرفون صيد السمك، ثم مرباط وهو بندر سكانه أهل البحر ثم بلدان المهرة، ولها قري كثيرة وسكانه أهل أسفار وسفن بندر الشحر وبندر مكلا وهما بندر حضرموت.

الباب الثالث

فى بيان بعض أبعاد المسافات الواقعة بين المحال المذكورة

فالبعد من البصرة إلى قصبة الزبير رضى الله عنه ست ساعات، ومن الزبير إلى الكويت يومان، ومن الكويت إلى القطيف على قرب ساحل البحر خمسة ايام، ومن القطيف إلى الأحساء ثلاثة أيام، ومن الأحساء الى نجد سبعة أيام، واما من البصرة إلى اول أراضى نجد على غير طريق الأحساء فمقدار ثلاثة عشر يوماً.

وجميع النواحى المذكورة فى نجد مسافة ما بينها مقدار مرحلتين أو ثلاث مراحل أو أربع وهى غاية البعد، ومسافة بعد بندر العقير عن الأحساء مرحلة ونصف مرحلة، وبعد جزيرة البحرين عن القطيف مقدار خمس ساعات بحراً، وعن العقير مقدار سبع ساعات بحراً، وعن قطر مقدار أربع ساعات بحراً، وهذا مع الريح المعتدل وبعد قطعة شمال البريمى من بر عمان عن سيف البحر ثلاث مراحل إلى أربع، وبعد مسقط عن البصرة بحراً مع الريح المعتدل سبعة أيام، وغاية المسافة عشرة أيام، ومسقط من جملة بلاد عمان، وبعد بلد مطرح عن مسقط نصف ساعة، وبعد جزيرة البحرين عن مسقط بحراً مع الريح المعتدل سبعة أيام، وبعد نجد عن جزيرة البحرين بحراً سبع ساعات وبراً ثمانى مراحل، وبعد الأحساء عن جزيرة البحرين

براً مرحلة ونصف مرحلة وبحراً سبع ساعات، وبعد المدينة المنورة عن القصيم من محال نجد ثماني عشر مرحلة والقصيم اثنتا عشرة مرحلة، وبعد جدة عن البصرة بحراً في المراكب الدخانية خمسة عشر يوماً، وأما في المراكب الريحية مع الريح المعتدل فشهر تقريباً، ومع اختلاف الأرياح فشهران أو أكثر وبعد عمان عن الأحساء أدناه ثلاثة عشرة مرحلة، وهو الأدنى من اليمن، وأقصاه عن نجد خمس وعشرون مرحلة.

الباب الرابع

فى بيان عشائر نجد وغيرها من القبائل العربية من سكان البادية

فمن أعظم عشائر نجد مطير، وهي عشيرة كبيرة كثيرة العدد في غاية فى القوة والشجاعة، وعدد قبائلها كثيرة منها قبيلة الدويس والمرهمة وحبيلان وذوي عون والملاعية ومسلم وبرية والمريخات والهومل. فهؤلاء كبار قبائل مطير والمشهور فيما بينهم أنهم من قحطان، والذي ذكره صاحب نهاية الأرب أنهم بطن من بني طسم من العماليق من العرب العاربة كانت مساكنهم مع قومهم من بني طسم بيثرب إلي أن أخرجهم منها بنو اسرائيل، وشيخهم الأكبر في هذا العصر ما جد الدويس.

ومن أعظم عشائر نجد العجمان، وهم في غاية فى القوة والكثرة والشجاعة، ويتفرعون إلي قبائل كثيرة. منها آل معيض وآل حبيش وآل سسليمان والهلال وآل محفوظ والضاعن والشامر وآل مصرع والشواولة وآل مفلح، وهم من قحطان وشيخهم الأكبر في هذا العصر ابن خليل.

ومن اعظم عشائر نجد آل مرة وهم من اهل القوة والشجاعة والكثرة ولهم قبائل كثيرة منها آل جابر وآل عذبة والغفران وآل علي وغير ذلك، وشيخهم الأكبر

في هذا العصر فيصل المرضف وهم مع العجان علي حد واحد، ولم أقف علي كونهم من بني مرة - بطن من الأوس من الأزد من قحطان، أو من بني مرة بطن من بكر بن وائل من عدنان او من بني مرة بطن من ذبيان من العدنانية.

ومن أعظم عشائر نجد عتيبة، وهي عشيرة في غاية الكثرة والقوة والشجاعة، وهي فرقتان الرومة وبرقا، وتتشعب هاتان الفرقتان إلي قبائل كثيرة جداً، وشيخهم الأكبر في هذا العصر مصلط بن ربيعان، وهم علي ما ذكره صاحب نهاية الارب بطن من جذام القحطانية بنو عتيبة بن اسلم بن مالك بن شنوة ابن بلبل بن حيثم بن جذام. (والذي ذكره أهل اللغة: عتيب بن أسلم بن مالك بن شنؤة بن تدين) ..

قال أبو عبيد: وهم اليوم ينسبون في بني شيبان فيقول عتيبة بن عوف ابن شيبان قال: وإليهم ينسب جعرة عنيث بالبصرة. قال الجوهري: أغار عليهم بعض الملوك فسبي الرجال. فكانوا يقولون إذا كبر صبياننا لم يتركونا حتي يفتكوا لنا فلم يزالوا عنده حتي هلكوا فضربت بهم العرب مثلاً فقالوا: اودي عتيب (وفي الأصل عنيت وهو خطأ) وفي ذلك يقول الشاعر:

ترجيها وقد وقعت بقوم كما ترجو أصاغرها عتيب

(الشعر غلط أيضاً في الاصل اذ ذكره بغره...وعثيث).

ومن أعظم عشائر نجد قحطان. وهم في غاية الكثرة والقوة والشجاعة والإقدام، وقبائلهم كثيرة منها السمر والعاصم والحنافره والروقة والسعيد، ومساكنهم في نجد في جهة الجنوب عن بلدان عسير.

ومن اعظم عشائر نجد سبيع وهم من أهل الكثرة والقوة والشجاعة، ولهم قبائل كثيرة منها الجمالين والعرينات والنبطة والحملة والجمور وآل علي والعذارية والعبادي والصنعة ومليح والقرينات والعزة، وشيخهم عسا، وقيل وهم من بني عامر بن صعصعة من العدنانية.

ومن اعظم عشائر نجد الشهول، وهم في غاية القوة والشجاعة، ولهم خمس

قبائل كثيرة العدد، وشيخهم ابن معدل، وهم بنو سهل بطن من بني بحر من لخم من الحقطانية.

ومن أعظم عشائر نجد الدواسر، وهم خلق كثير حاضر وبادية في غاية القوة والشجاعة والكثرة والعنف، وقبائلهم التي في البادية كثيرة منها المساعرة وآل بريدة وآل أبو سباه والمخازيم والرجبان والخبيلات والشراقا والعيشبان وآل أبى حازم وآل عمار وشيخهم أبو قويد.

قال في نهاية الأرب وهم بطن من العرب باليمن، ولم ينسبهم إلي أحد، وأما بنوا خالد فكانوا أمراء الأحساء فتغلب عليهم ابن سعود وأخذ منهم الأحساء وهم قبائل منهم المباشير والجبور والمشيخة في آل حميد اهل كرم وشجاعة، ومن مشاخيهم الكرام ابن عريعر المشهور، ولم اقف علي كونهم من بني خالد بطن من بني قحطان، أو من بني خالد بطن من عامر بن صعصعة من عدنان، أو من بني خالد بطن من غزية طيء من قحطان، أو من بني خالد عرب حمص بطن من بني مخزوم من قريش، وهم رهط خالد بن الوليد الصحابي رضي الله تعالي عنه. لكن قال الحمداني: عرب حمص يدعون النسب إلي خالد بن الولد، وقد اجمع أهل العلم بالنسب علي انقراض عقبه، ثم قال إنهم احلاف آل فضل عرب الشام -: علي ما نقله صاحب نهاية الأرب - فهذه عشائر بادية نجد ولا يحصي عددهم إلا الله تعالي.

وأما حرب فهم عرب بادية المدينة المنورة، وينقسمان إلي قبيلتين: بني علي ومسروج، وتتفرع هاتان القبيلتان إلي قبائل كثيرة وبطون عسرة الاحصاء لكثرتها أو زيادة شعوبها، وهم في الكثرة وزيادة البطون مثل عشيرة عنيزة ومع كثرتهم فهم أهل قوة وشجاعة، ولم اقف علي كونهم من حرب بطن من الصبر من غسان من الازد من قحطان، أو من حرب بطن من بكر بن وائل من عدنان، أو من حرب بطن من بني حاشد من همدان من القحطانية، أو من حرب بطن من جهلان من القحطانية، والله اعلم: وقد يوجد في نواحي الحجاز في أطراف مكة والمدينة بعض من عتيبة والبغوم.

وأما هذيل فهم في جهة مكة خاصة، وهم بطن من خندف من مضر، وقد يوجد بعض من حرب في جهة مكة. وأما ثقيف ففي الطايف، وهم من هوازن من العدنانية، وزعم بعض النسابة أن ثقيفاً من بقايا ثمود، وكان الحجاج إذا سمع ذلك يقول: كذبوا قال الله تعالي: «وثمود فما أبقي» أي أهلكهم وما ابقي منهم أحداً. قال في الحمير: وثقيف بطن متسع ومنازلهم بالطائف، وهو مدينة من أراضي نجد علي مرحلتين من مكة في شرقها، أو شمالها، وكانت في القديم للعمالقة، ثم نزلها ثمود، وقيل بل سكنها بعد العمالقة عدوان ثم غلبهم ثقيف وسكنوا فيه، وهو الآن مسكنهم. انتهي! ولم أقف علي من عد الطائف من نجد سوي صاحب العبر، وقيل ثقيف موالٍ لهوازن، وقيل انهم من أياد بن نزار بن مضر، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان في العراق الجائر المشهور.

وأما عرب عمان فهم قبائل كثيرة أشهرها المناصيرونعيم والسعد، وكل من هؤلاء القبائل يتفرع إلي بطون كثيرة والله اعلم بعدتهم، وهم بعضهم من الأزد نزلوا عمان لما تفرق الأزد حين أرسل الله تعالي عليهم سيل العرم. وعرب بادية اليمن كثيرون أشهر قبائلهم غامد وزهران وبجيلة وأسعد وشهران وزبيد وبعضهم من «سام» وكلهم من قحطان، ويتفرع من كل من هؤلاء العشائر بطون كثيرة، وعرب جزيرة البحرين والقطيف وهجر من ربيعة وغيرهم، وجميع من تقدم من قبائل العرب فهم من ذوي النسب المعتبر لديهم.

واما العرب الساقطون من الاعتبار المطعون فيهم المحتقرون والنازل لدي العرب النجباء فهم ثلاث عشائر الصليب والعوازمة والرشائدة.

الباب الخامس

فى بيان نسب ابن مسعود أمير نجد مع بيان بعض أحواله ومنشئه ورسم حكومته وصور مكاتباته إلى أهل بلدان نجران

فأما نسبه فهو أن الأمير فى هذا العصر عبد الله بين فيصل بن تركى بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع البريدى العنزى، وهو من مشايخ عنزه، وكان مانع المريدى المذكور جد آل مقرن وآل وطبان يسكن فى بلد الدروع من نواحى القطيف، ثم صار بينه وبين أدرع رئيس حجر اليمامة من بنى عمه مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم. فاستدعاه ابن درع إلى القطيف وأعطاه من ملكه أرض المليبد وغصيبة المعروفتين فى الدرعية فاستقر هو وأولاده فيها، وكان مافوق المليبد وغصيبة لآل يزيد من آل دغير من بنى حنيفة الموجودين اليوم إلى ما دون الجبيلة إلى حريملا

لحسن بن طوق جد آل معمر، ثم ولد لمانع المذكور ربيعة وصارت له صولة، واتسع ملكه وحارب آل يزيد ثم ظهر بعد ذلك ابنه موسى، وصارت له شهرة أعظم من ابيه ربيعة واستولى على الملك فى حياة ابيه، وصارت له وقعة مع آل يزيد وجرح جراحاً كثيرة وضيقوا عليه، واحتال على قتل أبيه ربيعة فجرحه جراحات كثيرة وهرب ربيعة إلى أحمد بن حسن بن طوق رئيس العبينة فأجاره وأجله وأكرمه لما بينهما من سابقة المعروف.

ثم إن موسى جمع جموعاً من المبردة وغيرهم ممن كان عنده، وهم من المؤلفة، واغار على آل يزيد صباحاً فى النعيمة الوصيل وتحاربوا. فصارت الغلبة لموسى فقتل من آل يزيد اكثر من ثمانين رجلا، واستولى على ملكهم ومنازلهم ودمرهم، ولم تقم بعد ذلك لآل يزيد قائمة، وكان يضرب المثل بهذه الواقعة، ويقال صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد، واستمر موسى بن ربيعة فى الولاية إلى أن توفى. فتولى ابنه ابراهيم إلى أن توفى، فتولى ابنه مرخان، وكان لمرخان ولدان ربيعة ومقرن. فأما ربيعة فولده وطبان، وهو جد آل وطبان الساكنين فى قصبة سيدنا الزبير رضى الله عنه، ولوطبان المذكور عدة أولاد ذكور قيل إنهم أربعة عشر ولداً ذكراً. من خرمان أبو زيد الذى تولى الدرعية قبل آل مقرن، وغدره محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقب بخرفاش فقتله وقتل دغيم بن فائز المليحى، وكان معهما محمد بن سعود من آل مقرن فهرب ونجا، ثم بعد ذلك استقل بالدرعية واستولى أولاده على جميع نجد، وهم آل مقرن الذى منهم ابن سعود المشهور، ومنهم محمد بن وطبان جد آل ثاقب، وقد جرى بين آل وطبان قطيعة وسفك دماء.

ويجتمع آل مقرن وآل وطبان فى مرخان، وهما يجتمعان مع أهل خرما وهل أبى الكباش فى ابراهيم بن موسى المذكور، وقتل وطبان المذكور ابن عمه مرخان بن مقرن وهرب من نجد. وقيل وأتى إلى قصبة الزبير رضى الله عنه قرب البصرة، وأما مقرن بن مرخان بن إبراهيم جد آل سعود فله من الأولاد محمد وعياف وعبد الله. فمحمد جد آل عياف. فآل مقرن هم ذرية محمد وذرية عبد الله وذرية مرخان الذى قتله عمه وطبان، وخلف محمد بن مقرن من الأولاد مقرناً وسعودا. فمقرن هذا

ليس له عقب إلا عبد الله الذى جعله عبد العزيز بن محمد بن سعود أميراً فى الرياض حين تغلب عليها، وأما سعود فله عدة أولاد منهم محمد ومشارى وثنيان وفرحان. فمحمد هو الذى استقل بالدرعية وكذا أولاده من بعده الى عصرنا هذا، وهو الذى أوى الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب عالم نجد المشهور. فإنه لما كان فى بلد العبينة عند عثمان بن معمر ورأى منه الجفا قصد محمد بن سعود المذكور فأواه وأيده وامتثل أمره، وجهز الجيوش لنصر دعوته وترويج طريقته المشهورة بالوهابية، ومشارى ابن سعود بن محمد بن مقرن هو الذى أيد أخاه محمد بن سعود فى نصرة الطريقة الوهابية، وكذا ولده حسن بن مشارى فإنه قاد السرايا وقاتل فى الحصون والبلدان والقرايا مع ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن سعود، وله أولاد فرسان شجعان قتلوا فى حرب إبراهيم باشا بن محمد على والى مصر لما حاصر الدرعية، وكذا ابنه عبد الرحمن، وخلف عبد الرحمن ولدا اسمه مشارى الذى قتل ابن عمه تركى أمير نجد.

وأما ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن فإنه كان أعمى ولكن كان مفتوح البصيرة لفرط ذكائه، وكان مستشاراً لأخيه الأمير محمد بن سعود بن مقرن فى الأمور ومن ذريته عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان المذكور، وفيصل بن ناصر بن عبد الله بن ثنيان المذكور، ومحمد بن يوسف بن ثنيان الذى كان فى مصر ثم جاء إلى ابن عمه فيصل أمير نجد.

وأما فرحان بن سعود بن محمد بن مقرن فليس من ذريته إلا سعود ابن إبراهيم بن عبد الله بن فرحان، والباقون من جميع آل مقرن إنما هم ذرية محمد بن مقرن جد آل سعود أمير نجد فى هذا العصر، وذرية أخيه عياف بن مقرن جد آل عياف المذكورين، ولنرجع إلى أولاد محمد بن سعود بن محمد بن مقرن آل سعود أمراء نجد. فخلف محمد بن سعود بن عبد العزيز، وهو الذى قاد الجيوش لنصرة الطريقة الوهابية، وبلغت سراياه وعماله أقصى بلاد نجد، وزالت به الحروب التى كانت تقع بين قبائل نجد، وحصل الأمن والأمان فى البادية والحضر، وكانت الأبل والخيام والأنعام ترعى فى الصحارى وتلد وليس عندها سوى رجل واحد، ولا

يستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئاً.

ثم خلف عبد العزيز سعوداً وهو أيضاً قد قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب، وأذعنت له صناديد العرب وذلت له رؤساؤهم. إلا انه أخطأ خطأ عظيماً فى منع الناس عن الحج وفى الخروج على السلطان، وأنهم غالوا فى تكفير من خالفهم ولو كان من أهل السنة والجماعة، وشددوا فى بعض الأحكام التى لم يرد الشرع بتشديدها، وحملوا أكثر الأمور على ظاهرها، وكذا غالت الناس فى القدح عليهم والانصاف الحالة الوسطى إلا التشديد الذى ذهب إليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد فى سبيل الله ومنعهم الحج.

وأما ما ينسب إليهم من اعتقاد النبى (ص) كالجماد فى قبره والعياذ بالله. فحسب ظنى بقوة إسلامهم أنه لا أصل له. بل مفترى عليهم، ولا التساهل الذى عليه عامة أهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله تعالى، وبناء الابنية المزخرفة بالذهب والفضة والألوان المختلفة على قبور الصالحين والنذر لهم وغير ذلك من الامور التى نهى عنها الشارع (ص) الحاصل أن الافراط والتفريط فى الدين ليس من حق المسلمين، وحقهم اتباع ما عليه الأئمة الأربعة المجهتدون الذين على طريقة السلف الصالح من الصحابة رضى الله عنهم وأكبر التابعين والتجاسر على تكفير بعضهم بعضاً والعياذ بالله تعالى يوجب غضب الله تعالى، ومهما أمكن فى حق المسلم الذى صدر منه ما يخالف ظاهر الشرع. فاللازم تأويله بوجه حسن أن المؤمنين إخوة. فإن لم يمكن التأويل فحينئذ يحكم بما يقتضيه الشرع المبين من التكفيروالتفسيق.

ثم خلف سعود بن عبد العزيز عبد الله، وهو الذى استولى عليه الوزير الغضنفر إبراهيم باشا بن محمد على والى مصر وحبسه وذهب به إلى مصر ثم أرسله إلى استانبول فى أيام الغازى محمود خان، وأمر بضرب عنقه فى ميدان جامع السلطان بايزيد بين ملأ الناس، وعبد الله المشار إليه وإن كان قد علم كأسلافه القبائل أحكام الدين وأمرهم بقيام الجماعات فى الأوقات الخمسة بحيث لا يتخلف

أحد منهم فى بلاد نجد عنها إلى عصرنا هذا إلا انه قد أخطأ فى تجاسره على بلاد السلطان الذى هو إمام العصر وخادم الحرمين الشريفين، ولو اكتفى بنجد وما يليه من عمان وجزيرة البحرين وغيرهما لاستقام أمره وفاز بتعليمه أحكام الدين للقبائل التى كالأنعام بل اضل سبيلاً، وخلف سعود بن عبد العزيز أيضاً فيصلاً وناصراً وتركياً وإبراهيم وسعداً وفهداً ومشارياً وعبد الرحمن وعمراً وحسناً.

فأما فيصل فقد قتل فى حرب الدرعية بعد أن بارز وحصلت لهم الشهرة، وكذا قتل إبراهيم فى تلك الحرب وناصر وتركى ماتا قبلهما، وسعد وفهد ومشارى وعبد الرحمن وعمر وحسن نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر مع أولادهم ونسائهم وماتوا هناك.

رجعنا إلى محمد بن سعود. فمن أبنائه عبد الله، وهو الذى قوى أخاه عبد العزيز وقاتل معه أشد القتال وقاد الفرسان والأبطال، وحصلت له الشهرة العظيمة. فكم كتيبة كر عليها وفرقها وفل جمعها ومزقها، وهو من المشهورين بالشجاعة والإقدام. ثم قام ابنه تركى بن عبد الله الشجاع الذى قاد القبائل إلى طاعته وأمرهم بالقيام بأركان الإسلام بعد أن تهاون اكثرهم بالصلاة وأفطروا فى رمضان وعادوا إلى ما كانوا عليه فى سالف الزمان من شعار الجاهلية. فحاربهم وقاتلهم حتى انضووا بقيام الطاعات. ثم قام مقام ابنه فيصل بن تركى وهو الذى فر من حبس مصر، واستولى على بلاد نجد وأخذه من عبد الله بن ثنيان مع قوته وشدة بأسه فحاربه حرباً عظيماً وأخمد ناره، ودانت له القبائل والبلدان وسكنت جنوده فى نجد وعمان، وجمع فى سياسته بين الشدة واللين وكثرة عطاياه، وكان كثير الإكرام والاحترام لأهل العلم وحملة القرآن ورحيماً بالفقراء والأرامل والأيتام غير مائل إلى سفك الدماء، وقد مدحه الشيخ عثمان قاضى نجد بقصيدة منها:

عفيف شريف النفس للفضل عارف   حليم كريم سالم القلب منصف

ولفيصل بن تركى ثلاثة أولاد عبد الله ومحمود وسعود. فأما عبد الله فهو فى نجد فى هذا العصر، وأما محمد فهو مع أخيه عبد الله وفى طاعته وأما سعود فقد

وقعت بينه وبين أخيه عبد الله منافسة فهرب إلى العسير خوفاً من أخيه عبد الله، ثم عاد وضبط الأحساء والقطيف، وهو بصدد الإمارة فى نجد، ولم يتمكن منها إلى الآن. فهذا ما يتعلق بنسب آل سعود.

وأما رسم حكومتهم فإنهم يأخذون من أهل الحضر من كل مائة صاع من الحبوب خمسة أصواع، ومن كل مائة صاع تمراً خمسة أصواع، وأهل البادية فلا يؤخذ منهم إلا زكاة الإبل والأغنام على الوجه الشرعى. وأما ما يكون ريعه من الأنهر كالأحساء والقطيف بلا سقى فيؤخذ من المائة عشرة، وقد تضيق الواردات عن مئونة نفسه وأهله وأقاربه وعلمائه وقضائه وسائر أهل العلم فى بلاده وقراه والفقراء والعاجزين عن الكسب وغير ذلك من المصارف المرتبة على ما حدثنى بذلك النجيب محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب من أكابر نجد وهو ثقة كريم وليس لابن سعود عسكر موظف للحرب. بل إذا أراد الحرب جمع من العشائر والقبائل ما يريد من الأعداد الكثيرة إلى مائة ألف، وأما الموظف مقدار ألف فى خدمته، وخمسمائة فى الأحساء، وخمسمائة فى القطيف، وخمسمائة فى عمان، ولعسكره قوانين ومرتبات جارية من القديم على أهل البلدان والبادية. كل يعطى ما عليه بحسب قدرته ووسعه، وقد تقاتل المائة منهم ألفاً من غيرهم، والألف آلافاً لشدة شجاعتهم وبأسهم. كما ذكره الله تعالى بقوله، «أولى بأس شديد» وفى بلاد نجد كثير من التجار من ذوى الثروة، وكثير منهم فى نواحى البصرة وبعضهم فى الكويت وبعضهم فى الهند. كالشيخ على بن إبراهيم، وهو من ثقات الرجال الاخيار الكاملين، وقد اجتمعت به فى البصرة، وهو يملك مقدار الف كيس فاكثر، وله عدة أملاك فى نواحى البصرة. عليها ابن اخيه عبد الله عبود بن عيسى، وهو من الاخيار، واولاد الشيخ على المذكور فى الكويت.

وأما مكاتبات آل سعود إلى أهل نجد وعشائره. فصورة مكاتبة تركى بن عبد الله كبير نجد:

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركى بن عبد الله إلى من يقراه من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد. فموجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن أحوالكم والنصيحة لكم والشفقة عليكم والمعذرة من الله إذ ولانى تعالى أمركم. والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم فى الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا ممن إذا أعطى شكر وإذا ابتلى صبر، وإذا أذنب استغفر، والله تعالى يحب الشاكرين ووعده على ذلك المزيد. قال الله تعالى «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد». فالذى أوصيكم به تقوى الله تعالى فى السر والعلانية. قال الله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله ويخشى والله ويتقه فأولئك هم الفائزون» وجماع التقوى أداء ما افترض الله سبحانه وترك ما حرم الله، وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة، ولا يخفاكم ما وقع من الإخلال بها والاستخفاف بشأنها، وهى عمود الإسلام الفارقه بين الكفر والإيمان. من أقامها فقد أقام دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وهى آخر ما أوصى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهى آخر وصية كل نبى لقومه، وهى آخر ما يذهب من الدين، وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وبعض الناس قد يسىء فى صلاته ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلى وحده وفى نخله ورحاله، والمسجد جار له. وفى الحديث لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد، وهم النبى (ص) أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار لولا ما فيهم من النساء والذرية، وقال ابن مسعود رضى الله عنه: لقد رأيتنا وما يختلف عنها إلا منافق معلوم النفاق. وهذه أمور ما يخفاكم وجوبها. لكن الكبرى عدم إنكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس أن كلا ذنبه على جنبه، وفى الحديث «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن النكر ولتأخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق اطرا أو ليعمنكم الله بعقابه» وكذلك الزكاة، وبعض الناس يبخل ويستخف بها، ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله، وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام.

قال الله تعالى «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله

فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون».

وقال النبى (ص) «ما من صاحب ذهب ولا فضة ولا يؤدى حق الله منه إلا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح وأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره، وكلما بردت أعيدت فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد. فيرى سسبيله: إما إلى الجنة وإما إلى النار. ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم. وكل مال تودى زكاته بعلم صاحبه، ونصاب الزكاة تفهمونه وعروض التجارة مثل الزرع الذى يدخره صاحبه، ولو كان من زرع قد زكى إذا حال عليه الحول وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة أو تمراً وأثمانها. كلما اعد للتجارة تجب فيه عند الحول، وهو يبتلى الغنى بالفقير، وطلب منكم اليسير. فمن أداها نرجو أن الله تعالى يقبلها ويخلفها عليه، ومنْ مكر بها فالله خير الماكرين، وكذا معاملة الربا تفهمون انها من اكبر الكبائر وأن مرتكبها محارب لله ورسوله (ص).

قال الله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله» وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون» وقال تعالى: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فأنتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون».

وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهدية فلعنهم سواء» فدل هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية، وأن من لم ينكر على العاصى كالمرابى فهو مثله. وفى حديث آخر: «الربا سبعون ضرباً أيسرها مثل من ينكح أمه» وفى الحديث أيضاً أربعة حق الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها. مدمن الخمر وآكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه، ومن أنواع الربا الطعام بالطعام إلى أجل وبيع الذهب بالفضة والفضة

بالذهب، والفرق قبل القبض، أو بيع الملح بالطعام قبل القبض، وفى الحديث: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح يداً بيد وزناً بوزن كيلاً بكيل فمن زاد أو استزاد فقد اربى. الآخذ والمطعم. فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» ومنه القرض الذى يجر منفعة، وفى الحديث «كل قرض جر نفعاً فهو ربا» وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر إذا كان فى ذمته دراهم فيعجز عن وفائها فأسلمها عليه بطعام، وهذا يشبه ربا الجاهلية، وكذلك بيع العينة، وهى حرام بأن كان عند رجل سلعة فاشتراها منه إنسان إلى أجل، ثم اشتراها منه صاحبها الذى باعها بنقد دون ثمنها، وأنواع الربا لا يمكن حصرها. فيلزم المسلم الذى له معاملة ان يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه، والجاهل يسأل العالم، والخطر عظيم يسخط الرب ويمحق المال. فأنتم استغيثوا بالله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، وكذلك المكاييل والموازين، وانا ملزم لكل أمر بأن يحضر مكاييل بلده كبارها وصغارها وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكيال واحد، وكذلك تفعلون بالموازين وتتفقدون الناس كل شهر، ولا يحل بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذمى. كما فى الحديث «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»، وكذلك تتفقدون الناس عن المعاشر الرعية، والذين يجتمعون على شرب اللبن والنشوق به، وكل أهل بلد لابد ان يرتبوا مجالس الدرس فى الجوامع. فإن كانت خاربة فلا بد أن يعمروها، والذى يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه إلينا وأنا مطلق بالآمر بالمعروف والناهى عن المنكر إذا كان عن علم ينصح أولاً، ويؤدب ثانياً، ومن عارضه من خاص أو عام فأدبه الجلاء عن وطنه، وهذا من ذمتى فى ذمة كل من يخاف الله ورسوله واليوم الآخر. وأنا أشهد الله عليكم أنى برئ من ظلم من ظلمكم، وأنا نصرة لكل صاحب حق، وعون لكل مظلوم، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وأعزكم بعد القلة، وأمنكم بعد الخوف، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم. والسلام.

وهذه صورة مكاتبة فيصل بن تركي

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلي من يراه من المسلمين سلمهم الله تعالي.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. اما بعد.

فموجب الخط إبلاغكم السلام لا زلتم في خير وعافية، والذي أوصيكم به تقوي الله تعالي في الغيب والشهادة، والعمل بما يرضيه، وتجنب معاصيه، والمعاداة والموالاة فيه، قال الله تعالي: «وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب» وأهم الأمور تعلم ما فرض تعالي سبحانه من معرفة أصل دين الإسلام وأركانه وواجباته وجميع شرائعه، ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة، وقوام ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا بد في كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الأمر كما قال تعالي: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله». وقال تعالي: «ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون». وانا ملزم كل من يخاف الله سبحانه وتعالي ويرغب في الفلاح يامر بالمعروف وينهي عن المنكر، وأن يكون الآخر مراعياً للشروط في ذلك. بأن يكون عليماً فيما يامر به. عليماً فيما ينهي عنه. حليماً فيما يامر به. حكيماً فيما ينهي عنه. رفيقاً فيما يامر به. رفيقاً فيما ينهي عنه. والزم كل امير أن يكون عوناً لهم وهم خاصة في الحقيقة عون له علي ما حمله الله تعالي من الأمانة، ويكون لديكم معلوماً أن واضع الجوائز عن المسلمين الحادر والظاهر إذا كانوا معروفين بأداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة. فهي راجعة إليهم علي الوجه المشروع إن شاء الله تعالي، والمطلوب منكم الاستقامة علي هذا الدين، والاجتماع عليه، وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة، وما في التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا. أسأل الله تعالي أن يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو العافية في الدين والدنيا والآخرة.

ومن مكاتبات فيصل بن تركي أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم.

من فيصل بن تركي إلي من يصل إليه الكتاب من المسلمين. وفقهم الله تعالي بالتمسك بالدين الذي بعث به جميع المرسلين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد

فإن أجمع الوصايا وانفعها الوصية بتقوي الله تعالي. قال الله تعالي: «ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم وأن اتقوا الله» وتقوي الله أن يعمل العبد بطاعة الله تعالي علي نور من الله يرجو ثواب الله، وان يترك معصية الله علي نور من الله يخاف عقاب الله، ومعظم التقوي والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي بعثوا به إلي العاليمن، وهو مبدأ دعوتهم لأهلهم، وهو معني كلمة الاخلاص - شهادة أن لا إله إلا الله. فإن مدخولها نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وإخلاص العبادة.

قال الله تعالي: «فاعبد الله مخلصاً له الدين الا لله الدين الخالص» وقد بين الله تعالي هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات. قال الله تعالي: «واذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سسيهدين». فهذا معني لا إله إلا الله، وقد عبر عنها بمعناها من النفي والإثبات قال الله تعالي: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة» والآيات في توحيد العبادة اكثر من أن تحصر، وهذا التوحيد هو الذي جحدته الأمم المكذبة للرسل. كما قال تعالي عن قوم هود: «أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان ان يعبد آباؤنا» وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الأمة. قال الله تعالي: «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب». وأما مشركو العرب فاخبر الله تعالي عنهم انهم قالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب. وانطلق

الملأ منهم أن امشوا واصبروا علي آلهتكم إن هذا لشئ يراد. ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق» واحتج عليهم تعالي بما أقروا به من توحيد الربوبية. فإنه من أقوي الحجج فيما جحدوه من توحيد الألهة كما قال تعالي: «قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون» وأكثر الناس في هذه الأزمنة وقع منهم ما وقع من أولئك المشركين، وهم يقرأون القرآن فعموا وصموا عن هذا التوحيد وأدلته. التي هي أبين في قلب المومن من الشمس في وقت الظهيرة. فيا من يدعي معرفة هذا التوحيد اعرف هذه النعمة وقدرها فإنها أعظم نعمة من الله أنعم بها علي من عرفها وعمل بها ولزمها. فقابلوها بالشكر ولا تكفروها بالإعراض عنها، واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك، واعلموا أنه قد غلط في هذا الطريق طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة فما حصل لهم من العلوم إلا القشور، وقد حرموا لبه وذوقه وقلدوا أسلافا قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل. فيا لها من مصيبة. ما اعظمها وخسارة. ما اكبرها فلا حول ولا قوة إلا بالله، واحذروا النفوس الأمارة وفتنة الدنيا والهوي. فإن الأكثر قد افتتن بذلك وظنوا أنهم قد سلموا، وما سلموا، وتمنوا النجاة، والتمني رأس مال المفلس. نعوذ بالله من سخطه وعقابه. وأنت تري أكثر الناس معبوده ددنياه. لها يوالي وعليها يعادي، ولها يحب ويبغض ويقرب ويبعد قد استثقل بها خلق لأجله يمتهم بها. وقد ذم الله تعالي ذلك كما قال تعالي عند ذكره قارون. «إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» والصحيح أن الإيمان والعمل الصالح والإسلام والقرآن هي النعمة العظيمة، والفرح بها محمود ومحبوب إلي الله قد اوجبه علي عباده المومنين. كما قال تعالي: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

فسر الأول بالقرآن والثاني بالإسلام، وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم: فضل الله الاسلام، ورحمته أن جعلكم من أهله فلا غناء لكم عن تعلم هذا التوحيد وحقوقه من فرائض الله تعالي وواجباته، وأن يكون ذلك اكبر همكم ومحصل

عملكم. ومن أهم ذلك المحافظة علي الصلوات الخمس. حيث ينادي لها - كما كان عليه رسول الله (ص) وأصحابه والتابعون بعدهم، ولذلك عمرت المساجد وشرع الأذان فيها. كما قال تعالي: «حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطي وقوموا لله قانتين» فلا بد في المحافظة من استكمال شروطها وأركانها وواجباتها. فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالي كما سبق في الآية. جعلها الله تعالي طهرة للأنفس والأموال وزيادة وبركة وحجاباً من النار. فالتزموا ما شرعه الله تعالي وفرضه فإن فيه صلاح قلوبكم ودنياكم وآخرتكم. فاسألوا الله التوفيق، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين وأركانه. قال بعض السلف: اركان الإسلام عشرة الشهادتان والصلاة وصوم رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن النكر والجهاد في سبيل الله والجماعة والسمع والطاعة، وهذه العشرة لا يقوم الإسلام حق القيام إلا بجميعها، والقرآن يرشد إلي ذلك جملة وتفصيلاً. كما قال الله تعالي: «كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» وقال تعالي: «ولتكن منكم امة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فالله الله عباد الله في مراجعة دينكم الذي نلتم به ما نلتم من النعم، وسلمتم من النقمة، وقهرتهم به من قهرتم. فقوموا به حق القيام. فجاهدوا في الله حق جهاده، وعظموا أمره ونهية، واعملوا بما شرعه، وتعطفوا علي الفقراء والمساكين وآتوهم من مال الله الذي آتاكم. كما قال تعالي: «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» وتوبوا الي الله جميعاً ابها المؤمنين لعلكم تفلحون، «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.. لو انزلنا هذا القرآن علي جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» فاقرأوا هذه النصيحة في جميع مساجد البلدان وانسخوها وأعيدوا قراءتها في كل شهرين، واعلموا انكم مستقبلون عاماً جديداً. فتوبوا الي الله تعالي واسالوه أن يوفقنا وإياكم اجمعين.

انتهي ما كتبه فيصل بن تركي كبير نجد. أقول: لعل مراده بمشركي هذه الأمة الذين قلدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وغلطوا مع علمهم

وعبادتهم غلاة الشيعة وجهلة أهل السنة. فإنه لما رأي علماءهم في نواحي الأحساء والقطيف ووقف علي كتبهم المشحونة بالغلو في علي واولاده رضي الله تعالي عنهم من كون علي كرم الله وجهه يرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء ويختار، وانه مع أولاده الكرام يتصرفون في عالم الكون كما يشاءون. كما هو اعتقاد كثير منهم، ورأي في نواحي العراق الركوع والسجود لقبور الأئمة والأولياء والطواف حولها وغير ذلك من الطاعات التى لا تليق إلا لله تعالي، وظن أن جميع أهل العراق بهذا الاعتقاد حكم بكفرهم. إلا أن حمل الجميع علي ذلك من بعض الظن لأهل السنة والجماعة. وكذا غير المغالين من الشيعة لا يعتقدون في الأولياء ذلك، والعياذ بالله تعالي. إلا أنهم يقولون نتوسل إلي الله تعالي بقرب الأولياء إليه تعالي. فهو من باب الاستشفاع بهم إلي الله تعالي. لا من باب الاعتقاد بأن الولي هو المعطي والعياذ بالله تعالي، ولا بأس بالتوسل بالكرام عند الله تعالي إليه بل يستحب كما ورد عن النبي (ص) انه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الاعتمار: «لا تنسانا يا أخي من دعائك» فإنه تشريع للأمة بطلب التوسل إلي الله تعالي في إجابة الدعاء، والا فعمر رضي الله عنه هو الذي يحتاج إلي التوسل بالنبي (ص) كما هو ظاهر وقد ثبت أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حين يستسقي يتوسل بالعباس عم النبي (ص) ويسقون، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. غايته أن العوام قد تقع منهم عبارات مبهمة ممنوعة شرعاً، ومع ذلك فقد ركز في قلوبهم وطبائعهم أن المؤثر في الأشياء كلها هو الله تعالي.

نعم إن بعض العوام قد يعتقدون في الأولياء ما يمنع الشرع، ويؤول إلي الشرك والعياذ بالله تعالي، ولا سيما عوام النساء، فمنع امثال هؤلاء عن الأولياء من أهم الأمور الدينية، وكذا يمنع تزيين قبب الأولياء بالذهب والفضة فإن الشارع (ص) نهي عن ذلك، وقال كما في الصحيح: «اولئك شر الناس يوم القيامة» وأما نبأ أصل القبب علي القبور فهو مكروه كما نص عليه الفقهاء. علي ان نبأ القبب المزخرفة بالذهب علي قبور الصالحين يكون سبباً لفتنة العامة وسوء اعتقادهم. وهذا لا ينافي سنية زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء وسائر المؤمنين، واما قوله (ص) «لا

تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد. مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصي فليس المراد منه أنه لا يجوز شد الرحال إلي مكان من الأمكنة إلا إلي احد هذه المساجد الثلاثة، وإلا لزم عدم شد الرحال إلي من مكان من الأمكنة لمصلحة من المصالح. وهو باطل ضرورة. بل المراد أنه لا تشد الرحال إلي مسجد من المساجد التي في البلاد للعبادة فيه إلا إلي أحد هذه المساجد لتساوي المساجد في الفضيلة. فشد الرحال إلي بعض دون بعض يستلزم الترجيح بلا مرجع، وقد تقرر عند علماء العربية أنه يجب في الاستثناء المفرغ أن يقدر المستثني منه مقايسا للمستثني في جنسه القريب وصفته. فيقدر في ماكسوته لباساً إلا جبة. فعلي هذه القاعدة في الحديث المذكور، وقد دل علي جوازه قوله (ص) «من زاراني وجبت له شفاعتي» وقوله (ص) «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها».

وروي ابن أبي شبيبة ان النبي (ص) كان يأتي قبور الشهداء بأحد علي رأس كل حول. فيقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار وقد أطبق العلماء الأعلام من أئمة الشافعية وغيرها علي جواز ذلك. إلا من شذ من بعض المتعصبين كابن تيمية. فإنه مع كونه من الحفاظ قد خالف الإجماع في بعض المسائل. قال المحقق افضل المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقي - طاب ثراه - في كتاب الجنائز من حاشية الدر المختار وهل تندب الرحلة لها كما اعتقد من الرحلة إلي زيارة خليل الرحمن وأولاده، والسيد البدوي وغيره من الأكابر الكرام، ولم أر من صرح به من أئمتنا، ومنع بعض أئمة الشافعية إلا لزيارته (ص) قياساً علي منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة، ورده الغزالي بوضوح الفرق. فإن ماعدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل فلا فائدة في الرحلة إليها، واما الأولياء فأنهم متفاوتون في القرب من الله تعالي ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم.

قال ابن حجر في فتاويه: «ولا تترك لما تحصل عندها من المنكرات والمفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك. لأن القربات لا تترك لمثل ذلك. بل علي الإنسان فعلها وانكار البدع. بل وإزالتها إن أمكن.. انتهي. قلت ويريده ما مر من عدم ترك اتباع الجنازة وإن كان معها نساء ونائحات تأمل.. انتهي ما ذكره ابن عابدين. أقول:

لعل وجه الأمر بالتأمل قياس الزيارة مع المفاسد والمنكرات على اتباع الجنائز مع النساء والفائحات قياس مع الفارق فتصبر، والذي حملني علي توجيه كلام فيصل بن تركي كبير نجد بما ذكرناه سابقاً أنه من أهل السنة والجماعة علي مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ومذهب أحمد استحباب زيارة القبور، كما هو مقرر في كتب الحنابلة كالمنتهي والعمدة وغيرهما، وثبوت كرامات الأولياء عندهم والتوسل بهم إلي الله تعالي – بمعني أن يسأل من الله تعالي بحرمة الولي قضاء الحاجة، والاستشفاع بالأنبياء والمرسلين، لا بمعني أن النبي أو الولي هو المؤثر. إذ لا مؤثر إلا الله تعالي. كما هو مذهب كافة أهل السنة والجماعة من المذاهب الأربعة.

وحمل كلام امثاله علي محمل حسن من لوازم ذمة أهل الدين من ذوي الإنصاف. علي انه قد حدثني الثقة الكريم محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب العائذي النجدي بأن فيصل المذكور كان من العلماء العابدين الزاهدين، وكان يقوم الليل كله بالصلاة وقراءة القرآن، وكان رحيماً رؤوفاً بالناس غير مائل إلي سفك الدماء. وحينئذ فلا بد من حمل كلامه علي وجه حسن، وهو لم يدّع الاجتهاد. بل قلد الإمام بن حنبل، والفتوي والحكم في بلاده علي مذهب ابن حنبل، وكيف يدعي الاجتهاد هو أو قاضيهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع تقليدهم للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه. نعم افتوا ببعض فتاوي ابن تيمية التي خالف بها جمهور الحنابلة – مع كونه منهم – وهذا ليس من باب الدعوي إليه وليس من الإنصاف، وحق المسلم أن يحمل كلام أخيه المسلم علي وجه حسن. فإن حسن الظن بالمسلمين من شمائل أرباب القلوب السليمة. وسوء الظن من سجايا القلوب السقيمة.

نعم إن الأوائل من آل سعود كانوا علي سوء اعتقاد. بدليل منع الحاج. هذا وباب الاجتهاد قد انسد من القرن الرابع. بل من اواخر القرن الثالث، وقد نشأ في هذه الأمة علماء نحول جمعوا بين المنقول والمعقول وتحروا في جميع العلوم، ولم يدعوا الاجتهاد. بل قلدوا الأئمة الأربعة لفقد شروط الاجتهاد فيهم مع جلالتهم وعلو قدرهم ووقور اطلاعهم علي الكتاب والسنة، وكثرة تآليفهم الباهرة كالربيعي والبويطي والمرادي والمزني والقفال والشيخ ابي حامد شيخ العراقين وامام الحرمين

وجنيد البغدادي وحجة الإسلام الغزالي والشيخين الرافعي والنووي والفخر الرازي وأبو إسحاق الشيرازي والبغوي والسبكي والبيضاوي والعسقلاني والزركشي والأسنوي والماوردي والبيهقي والتفتازاني والمناوي والقسطلاني والمحلي والسيوطي وشيخ الإسلام زكريا الانصاري وصاحب القاموس والصحاح والعلامة ابن حجر والعلامة الرملي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله عنه. الذين لا يحصي عددهم إلا الله تعالي، ومن أصحاب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه الإمام ابو يوسف والإمام محمد بن الحسن الشيباني والكرخي وابن المبارك والحسن بن زياد وزفر والسرخشي وشمس الأئمة الحلواني وقاضي خان وصاحب الهداية والقدوري وصدر الشريعة والطحاوي وابن الهمام والسيد الشريف الجرجاني والزمخشري والزاهدي والباقلاني وابن نجيم والعيني والديلمي وصاحب النهر والنسفي والحموي وصاحب الدر المختار وصاحب الدرر والشربنلالي والمحقق عبد الحكيم الهندي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصي عددهم، ومن أصحاب الإمام مالك رضي الله عنه كالخليل وعبد الوهاب وابن الحاجب وبهرام الزرقاني ومحيي الدين العربي والقيرواني والدردير وابن عاشور وأبي الحسن الشاذلي وابي زيد وابن عبد البر وابن بسام وابن خلدون وابن بطال شارح البخاري والبرزلي وابن الطيب وغيرهم من علماء الاندلس وسائر بلاد المغرب من المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصي عددهم، ومن أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه القطب السيد عبد القادر الكيلاني. قدس سره - وابن قدامة وابن الجوزي وابن تيمية وصاحب المنتهي وابن رجب ومرعي وشارح الإقناع والمنتهي وابن البهوتي هشام والطوفي والبعلي والقنوجي والمرداوي وشارح الغاية والتغلبي والشريكي وشهاب الدين العسكري وابن عطوة التميمي والحجاوي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصون، وكل من هؤلاء الأعلام قد بلغ من مراتب العلوم النقلية والعقلية غاية التحقيق والإمعان وملأت تآليفهم المفيدة الآفاق. ومع ذلك لم يدَّع أحد منهم الاجتهاد المطلق. بل هو في ربقة التقليد للأئمة الأربعة العظام، وهؤلاء المذكورون بالنسبة إلي العلماء المقلدين للأئمة الأربعة الذين تركنا ذكرهم لعدم

الإحاطة ببيانهم لوفور كثرتهم كشذرة من شذارت نحر. بل كقطرة من قطرات بحر، ومن راجع كتب الطبقات والتواريخ فقد علم بعض مقدارهم وكلهم في ربقة التقليد، وهذا من أعظم الدلائل علي جلالة قدر الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وعلو منزلتهم في العلم ولشرفهم وكرامتهم. فهم ائمة الهدي وأعلام التقي - جزاهم الله عنا خير الجزاء وشكر سعيهم.

واما منع فيصل شرب النتن فهو مبني علي ما ذهب إليه بعض الفقهاء من التحريم، والخلاف فيه شهير، والكثيرون علي إباحته. إذ لم يرد نص في حرمته، والأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل الحرمة ولا دليل عليها، والقياس ليس من وظيفتنا معاشر علماء النقل فإن العالم في هذه الأزمنة من فهم كلام العلماء المتقدمين وكتبهم، وله الفخر بذلك ودعوي الإسكار في النتن مكابرة وتعصب. كما لا يخفي علي من شربه ولا حظ وجدانه.

هذا وقد حدثني الثقة النجيب محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب العائذي النجدي بأنه كتب الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب إلي العالم الفاضل الكامل الزاهد الكريم ابن فيروز الأحسائي الحنبلي قوله تعالي «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله» الآية فكتب إليه ابن فيروز (قل يأيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد) الآيات. فكتبوا إليه يوعدونه بالقتل فهرب ابن فيروز إلي البصرة وتوطن بها، وانتفع به كثير من أهل العلم كالفاضل المعمر الشيخ عثمان بن سند، والكامل المعمر الشيخ أحمد الجامع وغيرهما، وكان الشيخ ابن فيروز من أكابر العلماء العاملين، وكان صوفي المشرب، وكان ذا ثروة يطعم طلبة العلم من ماله كريم الاخلاق والسجايا، وهو من المشاهير في نواحي نجد والبصرة - رحمه الله تعالي - وكان ممن يقتدى به في نواحي نجد قبل ظهور العلماء المتعصبين. فإن قصد فيصل المذكور بقوله: وقد غلط في هذا الطريق طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة فما حصل لهم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه وقلدوا اسلافا قد ضلوا من قبل واضلوا كثيواً وضلوا عن سواء السبيل العالم العامل الشيخ محمد ابن فيروز وأمثاله من علماء الأحساء ونجد، فهو غلط منه عفا

الله عنه. لأن ابن فيروز من علماء الحقيقة، وقد ذاق لب العلوم والمعرفة بالله تعالي - اللهم إلا أن يقال لا عبرة بأمثال هذا الكلام الصادر بين العلماء. لأن منافسات أهل العلم وتجرؤ بعضهم علي بعض بسوء المقال مما شاع وذاع - عفا الله تعالي عنا وعنهم - وليس غرضي من هذا الكلام كله إلا رفع الخلاف من البين، وحمل كلام إخواننا المسلمين علي وجه حسن مهما أمكن. لأن العارف من نطق بالحكمة والله تعالي الموفق.



الباب السادس

فى بيان علماء نجد وبعض الحوادث الواقعة فيه

فأشهر علماء نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سلمان بن على بن أحمد بن رشيد بن بريدة بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن يعضادر بن ريس بن زاخر بن محمد بن عامور بن وهيب التميمى النجدى الذى تنتسب إليه الوهابية، والنسبة انما هى إلى الشيخ محمد لأنه الذى شيد أركان الوهابية دون ابيه بل خالف اباه المذكور ووقع بينهما جدال - كما سيأتى ان شاء الله تعالى - فنسبت إلى عبد الوهاب مجازاً، وابتداء أمر الشيخ محمد المذكور أنه نشأ فى بلد العيينة من بلاد نجد فى حجر أبيه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان القاضى فى بلد العيينة فى زمن عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر المشهور صاحب العيينة التى تزخرفت فى ايامه وذلك قبل انتقال الشيخ عبد الوهاب ال بلد حريملة من بلاد نجد. فقرأ الشيخ محمد على أبيه الشيخ عبد الوهاب الفقيه على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وكان الشيخ محمد المذكور فى صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد، وأظن كثرة مطالعة الكتب بدون مراجعة العلماء الأسانيد والأخذ عنهم هو الذى حمله على التعصب الذى شاع عنه. فإن العلم بالتلقى والاستقلال فى الرأى

يوقع فى المهالك ومخالفة الجمهور وخرق الإجماع. فصار ينكر على أهل نجد كثيراً من الأمور، فلم يسعفه على ذلك أحد وإن استحسن انكاره بعض الناس. فسافر من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام. فلما قضى نسكه سار إلى المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام. فأخذ فيها عن الشيخ العالم عبد الله بن إبراهيم بن يوسف من آل سيف رؤساء بلد المجمعة المعروفة فى ناحية سدير من نجد، والشيخ عبد الله المذكور وهو والد الشيخ إبراهيم مصنف كتاب العذب الفائض فى علم الفرائض، وأنكر الشيخ محمد المذكور استغاثة الناس واستشفاعهم بالنبى (ص) عند قبره المنور ولم يتنبه لكونه (ص) هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى إلى الله تعالى فى الدنيا والآخرة وفى حياته وبعد مماته (ص) والكل على حد سواء، وقد اطبق جمهور الأعلام على انه (ص) يرزق فى قبره وأنه حى.

وورد أنه تعرض عليه اعمال أمته، وما المانع من ذلك وما المحذور؟ والله الموفق للصواب، ثم رحل من المدينة المنورة إلى نجد ثم رحل إلى البصرة يريد الشام. فلما وصل إلى البصرة اقام فيها مدة، وأخذ فيها عن العالم الشيخ محمد المجموعى من أهل البصرة فأحس الناس به فآذوه وأخرجوه من البصرة وقت الهجيرة ولحق بعض الاذى بالشيخ محمد المجموعى أيضاً لمأواته للشيخ محمد النجدى المذكور. فلما خرج محمد بن عبد الوهاب النجدى هارباً من البصرة وتوسط الطريق فيما بين البصرة وبلدة الزبير رضى الله عنه وقت الصيف فى شدة الحر، وكان ماشياً على رجليه كاد أن يهلك من شدة العطش فوافاه رجل من أهل بلدة الزبير يقال له حميدان ووجده من أهل العلم وسقاه الماء وحمله على حماره حتى أوصله الى بلدة الزبير رضى الله عنه، ثم إن الشيخ محمد المذكور أراد السفر فضاق زاده فانثنى عزمه عن المسير إلى الشام، فقصد الأحساء فنزل بها عند الشيخ العالم عبد الله بن محمد بن عبداللطيف الشافعى الحسائى، ثم خرج من الأحساء وقصد بلد حريملة من بلاد نجد، وكان ابوه الشيخ عبد الوهاب قد انتقل إليها من بلد العيينة فى سنة تسع وثلاثين ومائة وألف بعد وفاة عبد الله بن معمر صاحب العيينة بالوباء الذى وقع فى العيينة فأفناها، وتولى فها بعده ابن ابنه محمد بن احمد الملقب بخرفاش، ووقع بينه

وبين الشيخ عبد الوهاب منازعة فعزل الشيخ عبد الوهاب عن قضاء بلد العيينة وجعل مكانه أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد الله بن النجدى قاضياً فانتقل الشيخ عبد الوهاب إلى بلد حريملة، ولما وصل الشيخ محمد إلى بلد حريملة لازم أباه الشيخ عبد الوهاب، وقرأ عليه ثانياً وأظهر الانكار على أهل نجد فى عقائدهم فوقع بينه وبين ابيه الشيخ عبد الوهاب المذكور منازعة وجدال، وكذلك وقع بينه وبين الناس فى بلد حريملة جدال كثير فأقام على ذلك مدة سنتين حتى توفى أبوه الشيخ عبد الوهاب رحمه الله تعالى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف.

ثم أعلن محمد بن الشيخ عبدالوهاب بالدعوة والإنكار على الناس وتبعه الناس من أهل حريملة واشتهر بذلك، وكان رؤساء بلد حريملة قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وكل منهما يدعى الرئاسة، وليس فى البلد رئيس يحكم على الجميع. وكان لإحدى القبيلتين عبيد يقال لهم الحميان، وهم من ذوى الكثرة والفساد فأراد الشيخ محمد المذكور منعهم عن الفساد والفسق، وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر. فهم العبيد ليلاً بقتل الشيخ المذكور خفية، فلما تسوروا عليه من وراء الجدار علم بعض الناس فصاحوا بهم وهربوا.

فانتقل الشيخ محمد من حريملة إلى بلد العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول وأكرمه وحاول نصرته، وقال لعثمان المذكور: أنا أرجو إن أنت استقمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله تعالى، وتملك نجداً وأعرابها فساعده عثمان فأعلن الشيخ محمد بالدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشدد فى النكير على الناس. فتبعه بعض أهل العيينة وقطع أشجاراً كانت تعظم فى تلك النواحى، وهدم قبة زيد بن الخطاب رضى الله عنه عند بلد الجميلة. فعظم أمره فبلغ خبره إلى سليمان بن محمد بن عزيز الحميدى، صاحب الأحساء والقطيف وما حوله من العربان. فأرسل سليمان المذكور كتاباً إلى عثمان وكتب فيه أن المطوع الذى عندك قد فعل ما فعل، وقال ما قال فإذا وصلك كتابى فاقتله فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذى عندنا فى الأحساء. وكان خراجه ألفاً ومائتين ذهباً وما يتبعها من الطعام والكسوة، فلما ورد الكتاب إلى عثمان لم تسعه مخالفته فأرسل إلى الشيخ

محمد وأخبره بكتاب سليمان، وقال له لا طاقة لنا بحرب سليمان. فقال له الشيخ محمد: إنك إن نصرتني ملكت نجداً، فأعرض عنه عثمان، وأرسل إليه ثانياً بأن سليمان قد أمرنا بقتلك ولا نستطيع مخالفته ولا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروة أن نقتلك فى بلادنا فشأنك ونفسك وخل بلادنا.

فأمر فارساً يقال له الفريد بإخراجه من البلد، فركب الفارس جواده والشيخ يمشى على رجليه أمامه وليس معه إلا المروحة وذلك فى غاية الحر فى فصل الصيف. فهم الفارس بقتله فى الطريق فكف الله يده عنه لما أصابه من الرعب والخوف العظيم، وخلى سبيل الشيخ.

قيل إن عثمان بن معمر هو الذى أمر الفارس بقتل الشيخ عند قبر أخيه، وكذب بعضهم ذلك، فسار الشيخ محمد إلى الدرعية، وكان ذلك فى سنة الألف ومائة وستين، ووصل إليها وقت العصر فنزل فى بيت عبدالله بن سويلم العزبى. فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود صاحب الدرعية فوعظه الشيخ وأسكن جأشه وروعه. وقال سيجعل الله لنا ولك فرجاً فاستقر. فأراد أن يخبر محمد بن سعود بحاله ويرغبه فى نصرته. فالتجأ إلى أخويه مشارى وثنيان، ولدى سعود وزوجته موضى بنت أبى وهطان من آل كثير، وكانت ذات عقل وفهم، فأخبروها بحال الشيخ وصفته من الحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فقذف الله محبة الشيخ فى قلبها، فأخبرت زوجها محمد بن سعود بحاله ، وقالت له: إن هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة فاغتنم نصرته. فقبل قولها، وألقى الله تعالى محبته فى قلبه، ورغبوا محمد بن سعود لزيارته لعل ذلك يكون سبباً لتعظيم الناس له وإكرامه، فسار إليه محمد بن سعود، فلما دخل عليه فى بيت ابن سويلم رحب به وقال: أبشر بالخير والعز والمنعة، فقال له الشيخ، وأنا أبشرك بالعز والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد، وهذه كلمة لا إله إلا الله.. من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهى كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم.

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله (ص) وما دعا إليه، وما عليه أصحابه رضى الله عنهم من بعده من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله، وبأن كل بدعة ضلالة، وأخبره أيضاً بما عليه أهل نجد من البدع والجور والاختلاف والظلم.

فلما تحقق محمد بن سعود المصالح الدينية والدنيوية فيما ذكره الشيخ قبل ذلك، وقال له: أيها الشيخ إن هذا دين الله ورسوله (ص) الذى لا شك فيه، فأبشر بالنصرة لما أمرت به من الجهاد مع من خالفك، ولكن اشترط عليك شرطين: الأول أنا إذا قمنا بنصرتك والجهاد فى سبيل الله تعالى وفتح الله لنا البلاد فلا ترحل عنا ولا تستبدل بنا غيرنا، والثانى أن لى على أهل الدرعية خراجاً آخذه منهم وقت الثمار فلا تمنعنى عن أخذه منهم، فقال له الشيخ: أما الأولى فامدد يدك فمدها، وقبضها وقال له الدم بالدم والهدم بالهدم ، وأما الثانية فلعل الله تعالى أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منه. فبايع محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى إقامة الشعائر، فقام الشيخ، ودخل معه البلد. فلما استقر بالدرعية أتى إليه من البلاد من كان ينتسب إليه من رؤساء المعامرة وغيرهم، وهاجر إلى الدرعية ممن حول عثمان بن معمر من الناس، لما علموا نصرة الشيخ. فلما علم عثمان بن معمر صاحب العيينة أن محمد بن سعود قد نصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأن أهل الدرعية أيدوه، وأن أمره قد تأيد، ندم على ما فعل من إخراج الشيخ محمد من الأحساء وعدم نصرته، وخاف على نفسه من عواقب الأمور. فركب مع عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها وسار إلى الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالوهاب، فلما قدم على الشيخ المذكور جادله على الرجوع معه ووعده بالنصرة. فقال الشيخ: الأمر مفوض إلى محمد بن سعود، فإن رخصنى على الرجوع معك فقد ذهبت معك، وإن أراد الإقامة عنده أقمت ولا أستبدله بغيره، وقد تلقانى بالترحيب والقبول والنصرة إلا أن يأذن لى، فأتى عثمان بن معمر إلى محمد بن سعود يسترخص للشيخ فى الذهاب، فأبى عليه ولم يجد عثمان إلى ما أتى إليه سبيلاً. فرجع إلى بلده وندم ندماً عظيماً وكان أهل الدرعية يومئذ فى

غاية الضيق والحاجة، وكانوا يحترفون لأجل معاشهم، ومع ذلك فقد كانوا يجتمعون فى مجلس الشيخ لسماع الحديث والوعظ ويلازمون على ذلك.

قال ابن بشر النجدى: ولقد شاهدت ضيقهم فى أول الأمر، ثم الدرعية بعد ذلك فى زمن سعود وما عند أهلها من الأموال الكثيرة، وكثرة الرجال والأسلحة المحلاة بالذهب والفضة والخيل والنجائب العمانيات والملابس الفاخرة، وغير ذلك من أسباب الثروة التامة بحيث يعجز عن عده اللسان ويكل من تفصيله البيان، ونظرت إلى موسمها يوماً فى الموضع المعروف بالباطن، فوجدت موسم الرجال فى جانب، وموسم النساء فى جانب آخر، فرأيت من الذهب والفضة والأسلحة والإبل والغنم والخيل والألبسة الفاخرة واللحم، والحنطة وسائر المآكل ما لا يمكن وصفه، والموسم ممتد مد البصر، وكنت أسمع أصوات البائعين والمشترين وقولهم، بعت واشتريت كدوى النحل. فسبحان من لا يزول ملكه. انتهى كلام ابن بشر.

ولما استوطن الشيخ محمد فى الدرعية، وكان أهلها فى غاية الجهالة والتهاون فى الصلاة والزكاة وشعائر الإسلام. علمهم الشيخ المذكور معنى لا إله إلا الله، وأنها نفى وإثبات فلا إله ينفى جميع المعبودات، وإلا الله يثبت العبادة لله وحده لا شريك له، ثم علمهم أصولاً، وهى معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته وإلهيته كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض وسائر الأدلة كالقرآن ومعرفة الإسلام، وأن تسليم الأمر لله تعالى والأنقياد لأمره، والانزجار عن مناهية، ومعرفة أركان الإسلام الذى بنى عليها وما عليها من الأدله كالقرآن ومعرفة النبى (ص) واسمه ونسبه ومبعثه، وأن من أنكره أو شك فيه فهو كافر وما على ذلك من الدلائل، ومعرفة دين محمد (ص) وأصحابه رضى الله عنهم، وهو التوحيد وسائر العبادات وبالغ فى منع الاستغاثة بالنبى (ص) وأمثالها. فلما استقر ذلك فى قلوبهم بعد الجهالة تشرب فى قلوبهم حب الشيخ المذكور ثم إن الشيخ كتب إلى أهل بلاد نجد وإلى رؤسائهم وقضاتهم يطلب الطاعة والانقياد، فمنهم من أطاعه ومنهم من عصاه واتخذه سخرية واستهزأ به ونسبه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء قبيحة، ثم أمر

اليخ أهل الدرعية بالمقاتلة معهم فامتثلوا أمره،وقاتلوا أهل نجد والأحساء دفعات كثيرة إلى أن ادخلوهم فى طاعتهم، وحصلت إمارة نجد وقبائلها جميعاً لآل سعود بالغلبة وكان الشيخ كثير العطايا. بحيث كان يهب غنيمة الجيش مع كثرته إلى رجلين أو ثلاثة. وكانت الغنائم تسلم بيده ثم هو يضعها حيث يشاء ويعطيها إلى من يشاء، ولا يأخذ أمير نجد شيئاً من ذلك إلا بأمره، ولا يصدر جيش ولا يكون راى للأمير إلا بقوله ورأيه ، وكانت طاعة أهل نجد للشيح المذكور كطاعة القوم وانقيادتهم لأمره،وهو من الاتفاقات العجيبة، وهو عندهم بمنزلة الأئمة الأربعة رضى الله عنهم إلى الآن، وإذا ذكره أحد بسوء، قتلوه. ولما فتحوا الرياض من بلاد نجد واتسعت بلادهم وأمنت الطرق وانقاد لهم كل صعب فوض الشيخ المذكور أمور الناس وأموال الغنائم إلى عبدالعزيز الأمير، وانسلخ الشيخ وتفرغ للعبادة وتعليم العلم، ولكن لا يقطع عبدالعزيز الأمير ولا أبوه أمراً ولا ينفذ حكماً إلا بإذن الشيخ عبد الوهاب.

توفى الشيخ محمد فى سنة الألف ومائتين وستة، وهى السنة التى غزا فيها سعود بن عبدالعزيز ناحية جبل شمر وأخذ أهله، وكسب منهم أمولاً كثيرة منها ثمانية آلاف بعير، وقتل منهم عدة رجال، فأخرج خمسها وقسم الباقى على جيشه، وكان الشيخ محمد المذكور من بيت العلم فى نواحى نجد، وكان ابن الشيخ عبدالوهاب عالماً فقيهاً على مذهب الإمام احمد بن حنبل رضى الله عنه، وكان قاضياً فى بلده العيينة ثم فى بلد حريملة، وذلك فى أول القرن الثانى عشر الهجرى، وله معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما، وله سؤالات وجوابات. وكان والد الشيخ عبدالوهاب الشيخ سليمان فقيهاً أعلم علماء نجد فى زمانه، وله اليد الطولى فى العلم، وانتهت إليه رئاسة العلم فى نجد، وصنف ودرس وأفتى إلا أن الشيخ محمد لم يكن على طريقة أبيه الشيخ عبدالوهاب وجده الشيخ سليمان، بل كان شديد التعصب كثير الاعتراض على العلماء، وكان يجوز قتال من خالفه. بل يعتقد كفره، ويسمى قتال المسلمين المخالفين له جهاداً فى سبيل الله تعالى، ويجعل أموالهم كغنائم الكفار، ويمنع من قصد زيارة النبى (ص) والاستغاثة والاستشفاع به (ص) إلى الله تعالى وسائر الأنبياء والأولياء وغير ذلك مما أطبق الجمهور على جوازه. إلا من شذ

كأمثال ابن تيمية، والمشهور عنه أنه كان يدعى الاجتهاد المطلق، والظاهر ما ذكرناه سابقاً من أنه كان يفتى بأقوال ابن تيمية من الحنابلة، ولا يعتقد بخلاف أقواله، وبالجملة أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس أحكام الصلاة وسائر أركان الدين ويأمر الجماعات، وقد سعى غاية السعى فى تعليم الناس وحثهم على الطاعة، وأمرهم بتعليم أصول الإسلام وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة فى المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين فى معرفة الله تعالى ومعرفة دين الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليه من الأدلة، ومعرفة النبى محمد (ص) ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التى لا تنبغى إلا لله تعالى كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والإنابة وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلاً بأحكام الدين، بل كلهم تعلموا ذلك إلى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم. وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة. إلا أنه بالغ فى بعض الأمور، وحمل الناس على اعتقاد عدم الشرك فيما خالفه، وحثهم على قتال المخالفين له وأحل أموالهم، وجعل قتالهم جهاداً فى سبيل الله تعالى، وصار سبباً لإظهار هذه البدع الواهية والفتن العظيمة، وقد صنف الشيخ المذكور ابن الشيخ عبدالوهاب عدة تصانيف منها كتاب التوحيد وتفسير القرآن، وكتاب الشبهات، وغير ذلك من الرسائل والفتاوى الفقيهة والأصوليه، وأخذ عنه عدة مشائخ منهم أبوه الشيخ عبدالوهاب، والشيخ محمد بن حياة السندى المدنى، والشيخ عبدالله بن يوسف وغيرهم.

وقد أخبرنى والدى رحمه الله تعالى أنه قدم إلى بغداد، وأخذ أيضاً عن العلامة النحرير جدى السيد صبغة الله الحيدرى طاب ثراه، ولما رجع جدى العلامة السيد أسعد الحيدرى من مكة على طريق الدرعية اجتمع به فى الدرعية، واحترم جدى المذكور غاية الاحترام. وأعزه وأكرمه سعود إكراماً لائقاً، وجلس جدى فى الدرعية مقدار ثلاثة أشهر ثم حملوه بالاحترام والإكرام إلى البصرة، وأخذ عن الشيخ عدة علماء، منهم أولاده الأربعة الشيخ حسين والشيخ عبدالقادر والشيخ على والشيخ

إبراهيم، فأما الشيخ حسين، فهو خليفة من بعده، والقاضي في بلد الدرعية، ولحسين المذكور عدة أولاد علماء، وهم علي وحمد وحسن وعبدالرحمن وعبدالملك، وأما الشيخ علي بن الشيخ محمد فكان عالماً في الأصول والفروع والحديث والفقه والتفسير، وكان قاضياً في حوطة بني تميم، ثم ولي القضاء في الرياض في أيام فيصل بن تركي، وأما الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد فكان عالماً جليلاً وله مصنفات عديدة، وهو الخليفة بعد أخيه حسين. ولي قضاء الدرعية في زمن سعود وابنه عبدالله، وأما الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد فكان عالماً أيضاً ولكن لم يول القضاء. وأما حسن بن حسين فقد كان فقيهاً ولي القضاء في الرياض في زمن تركي، وعبدالرحمن بن حسن كانت له المعرفة في الفقه والتفسير والنحو وغير ذلك – ولي القضاء في ناحية الخرج في أيام تركي وفيصل، وأما حمد وعبدالملك فكانا من طلبة العلم وأهل الذكاء والمعرفة، وأخذ عن الشيخ محمد المذكور ابن ابنه العالم الفاضل الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ، وقد ولي قضاء الدرعية في زمن سعود وابنه عبدالله. أخذ العلم عن جده في صغره، وأخذ عن الشيخ محمد المذكور والعالم الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان ابن معيمر قاضي الدرعية في زمن سعود، والشيخ العالم الورع الزاهد عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري، وقاضي ناحية الوشم في زمن عبدالعزيز وابنه عبدالله، والشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجي، قاضي حوطة بني تميم في زمن عبدالعزيز وابنه سعود، والشيخ العالم محمد بن سويلم قاضي بلد الدليم وناحية الخرج في زمن عبدالعزيز وابنه سعود، والشيخ العالم عبدالرحمن بن خميس قاضي الدرعية في زمن عبدالعزيز وابنه سعود، والشيخ عبدالرحمن بن نامي قاضي بلد العيينة ثم صار قاضياً في الإحساء في زمن سعود وابنه عبدالله، والشيخ العالم محمد بن سلطان العوسجي قاضي المحمل، ثم صار قاضياً في الإحساء في زمن سعود، والشيخ العالم عبدالرحمن بن عبدالمحسن القاضي في بلد حريملة وبلد الزلفي في زمن سعود وابنه عبدالله، والشيخ العالم حسن بن عبدالله بن عيدان قاضي حريملة في زمن عبدالعزيز، والشيخ العالم عبدالعزيز بن سويلم قاضي ناحية القصيم في زمن عبدالعزيز وابنه سعود وحفيده

عبدالله، والشيخ العالم حمد بن راشد العريني قاضي ناحية سدير في زمن عبدالعزيز. فهؤلاء كلهم أخذوا العلم عن الشيخ محمد بن الشيخ عبدالوهاب، وأخذ عنه كثير من العلماء الذين لم يولوا القضاء، وكان الشيخ محمد المذكور مع علمه من دهاة العرب. إلا أنه شدد في بعض الأحكام وخالف الإمام أحمد بن حنبل وما عليه جمهور الحنابلة في كثير من المسائل، وتوفي وله من العمر اثنتان وتسعون سنة، ورثاه كثير من أهل نجد وغيرهم، ورثاه الشيخ حسين بن غنام بقصيدة طويلة، وفي سنة وفاته توفي ابن عمه الفقيه الكاتب الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ سليمان جد الشيخ محمد المذكور، ومن علماء نجد المتقدمين على الشيخ محمد المذكور العالم الفاضل الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب قاضي العيينة. له من التصانيف: زاد المستنقع، شرح المختصر، وشرح الإقناع، وشرح المنتهى، وحاشية الإقناع، وحاشية المنتهى، وكتاب العمدة، وكل ذلك على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أخذ الفقه والعلم عن العلامة الشيخ منصور السبهوتي شارح الإقناع والمنتهى، والشيخ أحمد بن محمد بن بسام.

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل النجدي المشور في بلد أشيقر. أخذ الفقه عن الشيخ أحمد بن محمد مشرف النجدي، وأخذ عنه كثير كالشيخ أحمد بن محمد بن بسام والشيخ عبدالله بن محمل بن ذهلان، وكان الشيخ محمد ابن أحمد بن إسماعيل المذكور معاصر الشيخ سليمان جد الشيخ مُحمد بن الشيخ عبدالوهاب المذكور، ومن علماء نجد العالم الفقيه القاضي الشيخ سليمان بن علي ابن مشرف جد الشيخ محمد بن الشيخ عبدالوهاب المشهور، وكان الشيخ سليمان المذكور فقيه عصره على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه. متبحراً في المذهب، وإليه انتهت رئاسة العلم في نجد كما سبق.

وجميع علماء نجد المعاصرين له يرجعون إليه في حل المشكلات من الفقه وغيره، وله من التصانيف كتابان: المفاسد وشرح الإقناع. إلا أنه لما وقف على شرح الإقناع للسبهوتي أتلف شرحه - على ما قال ابن بشر النجدي - أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف النجدي، وغيره، وأخذ عنه جماعة منهم ابناه

الشيخ عبدالوهاب المشهور، وهو من مشاهير علماء نجد والشيخ إبراهيم وغيرهما. كأمثال الشيخ أحمد بن محمد القصيرى النجدى. توفى سنة تسع وسبعين وألف.

ومن علماء نجد العالم الفاضل الفقيه الشيخ حسن بن عبدالله المشهور فى بلد أشيقر، كانت له معرفة بجميع فنون العلم، له تعليقات على كثير من الفنون، أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن محمد القصير، توفى سنة ثلاثة عشر ومائة وألف.

ومنهم العالم الفقيه الشيخ أحمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير المشهور فى بلد أشيقر، أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، والشيخ الفاضل سليمان بن على بن مشرف ، وأخذ عنه عدة من العلماء، كالعالم الفاضل الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد بن غضيب الناصرى النجدى، وغيره.

وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف (١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م) ظهر سعدون بن محمد بن عزيز الإحسائى على نجد، وحاصر آل كثير فى العارض وإظهار المدافع من الإحساء. نزل فى عربا المعروفة، وحاصر بلد العمارية حتى هزلت مواشيهم، ثم سار إلى الدرعية ونهب بيوتها، وقتل أهل الدرعية كثيراً من قومه، وفى هذه السنة ولد عبدالعزيز بن محمد بن سعود المشهور، وفيها وقع الطاعون فى العراق ومات فيه مقدار مائة ألف، وفى السنة الثانية من الطاعون توفى جدنا العلامة النحرير صاحب الإفادات والتأليف فى كل فن. أمام عصره بالإجماع. سيد المدققين مولانا صبغة الله الحيدرى البغدادى، وفى السنة الرابعة توفى العالم العلامة العامل وحيد دهره وفريد عصره الشيخ عبدالله بن سالم البصرى الشافعى وكان إمام الحديث فى عصره، وما سمى علماً إلا وله القدح المعلى سهامه. توطن فى مكة المكرمة، وانتهت إليه وفيها رئاسة العلم، وصار ملجأ الوافدين فى جميع الفنون النقلية والعقلية، وله عدة تصانيف منها ضياء البارى شرح البخارى، وقد درس مسند الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الروضة عند رأس النبى(ص)، وله آثار ومناقب عجيبة لا يسع المقام بيانها.

وفى السنة الخامسة مات سعدون بن محمد بن عزيز صاحب الأحساء

المذكور، وفيها عمرت منازل بنى هلال ومنازل آل بنى سعيد وآل بنى سليمان فى بلد الرفضة المعروفة ناحية سدير، وبعد ذلك بمدة ظهر آل سعود فى الدرعية واستولوا على جميع بلاد نجد والأحساء والسير وجبل شمر، وانقادت لهم القبائل والبلاد وحصل من أمرهم ما هو مشهود وغنى عن البيان، وصولتهم على بلاد نجد والإحساء والقطيف وعمان إلى الآن موجودة. وجميع قبائل تلك النواحى فى طاعتهم وملازمتهم للجمعة والجماعات والعبادات غير منفكة عنهم، وأحكام الشرع جارية عندهم، وقوتهم غالبة، ومع ذلك فهم ليسوا مصرين على التشديدات الأولى.

خاتمة تشمل على مباحث شتى

أعلم أن أرض العرب وهى من حد الشام والكوفة إلى أقصى اليمن، وقد نظمها بعضهم وحددها طولاً وعرضاً بقوله:

جزيرة هذه الأعـــراب حدت ..... بحد عمره للحشر باقى

فأما الطـــــــــول عند محققيه ..... فمن عدن إلى ربوا العراق

وساحل جدة إن سرت عرضاً .... إلى أرض الشام بالاتفاق

والأرض التى أسلم أهلها طوعاً أو فتحت عنوة وقهراً، وقسم بين المسلمين وأرض البصرة أيضا بإجماع الصحابة رضى الله عنهم عشرية - على ما فى الدر المختار - لأن العشر الباقى لما فيه من معنى العبادة مع كونه أخف لأنه يتعلق بنفس الخارج، وأما جزيرة العرب فأهلها - وإن لم يكونوا من قبل مسلمين. فلأنه لم ينقل عن النبى (ص)ولا عن أحد من الخلفاء رضى الله عنهم أنه أخذ خراجاً من أراضيهم، وكما لا رق عليهم فكذا لا خراج عليهم - على ما فى النهر والفتح - ولا يوظف الخراج على المسلمين ابتداء - على ما فى الدر المنتقى نقلا عن القهستانى - وما فتح عنوة، وقسم على الكافرين غير أهله فهو خراجى - على ما فى الغنف - والقياس أن تكون البصرة خراجية عند أبى يوسف رضى الله عنه. لأنها بقرب أرض الخراج، لكنه ترك القياس لإجماع الصحابة رضى الله عنهم على ما فى الدر المنتقى.

قال أفقه المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقى طاب ثراه: وحاصله، أن ما أحياه

مسلم يعتبر قربة عند أبى يوسف، وعند محمد يعتبر الماء، والمعتمد الأول، والبصرة أحياها المسلمون لأنها بنيت فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وهى فى حيز أرض الخراج. فقياس قول أبى يوسف أن تكون خراجية. انتهى. وسواد العراق الممتد طولاً شمالاً وجنوباً من الحديثة على دجلة إلى عبادان، والممتد عرضاً غرباً وشرقاً من القادسية إلى حلوان. فيكون السائر من تكريت، وهو على النهاية الشمالية للعراق إلى عبادان، وهى على النهاية الجنوبية له على تقويس الحد الشرقى بمسافة شهر، وكذا من تكريت إلى عبادان إذا سار على تقويس الحد الغربى - أعنى من تكريت إلى الأنبار إلى واسط إلى عبادان، فهو شهر، فيكون دور العراق مسافة شهرين، وما فتح عنوة، ولم يقسم بين المسلمين. سواء أقر أهله عليه أو نقل إليها كفار آخرون، أوفتح صلحاً فهو خراجى. لأنه أليف بالكافر. لأنه يشبه الجزية لما فيه معنى العقوبة. ولأن فيه تغليظاً حيث يجب، وإن لم تزرع الأرض بخلاف العشر فإنه يتعلق بين الخارج لا بالأرض ولا فرق فى الخراجية بين ما إذا سقيت بماء العشر كأنها خراجية. كما انه إذا قسمت بين المسلمين كأنها عشرية - وإن سقيت بماء الخراج - فكل فتح عنوة، وأقر أهله عليه كالعراق والشام ومصر، أو صولحوا ووضع الخراج عليهم فهى خراجية إلا مكة. فإنها - وإن فتحت عنوة. فهى عشرية. لأنها من جزيرة العراق، وأراضى سواد العراق مملوكة لأهلها يجوز بيعهم لها وتصرفهم فيها وتورث عنهم. لأن للامام إذا فتح ارضاً عنوه أن يقر أهلها عليها ويضع عليها الخراج. فتبقى الأرض مملوكة لأهلها، وعند الإمام الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم أن أراضى سواد العراق موقوفة على المسلمين. فلا يجوز بيعها عندهم، ويجب الخراج فى أرض الوقف ا لخراجية، فإن وظيفة الأرض تبقى بعد الوقف كما كانت قبله.

قال فى الدر المختار نقلاً عن الشر بنلالية معزياً للبحر إلا المشتراة من بيت المال إذا وقفها مشتريها فلا عشر ولا خراج، وقد توقفت فى هذا، ثم رأيت الفاضل أفقه المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقى طاب ثراه قد اعترضه بقوله قلت: ولا يخفى ما فيهم. لأنهم قد صرحوا بأن فرضية العشر ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع

والمعقول، وبأنه زكاة الثمار والزروع، وبأنه يجب فى الأرض الغير الخراجية، وبأنه يجب فيما ليس بعشرى ولا خراجى كالمغاور والجيال، وبأن سبب وجوبه الأرض النامية بالخارج حقيقة، وبأنه يجب فى أرض الصبى والمجنون والمكاتب لأنه مؤونه الأرض، وبأن المالك غير شرط فيه. بل الشرط ملك الخارج. فيجب فى الأرض الموقوفة لعموم قوله تعالى: (أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وقوله (ص) (ما سقت السماء فيه العشر، وما سقى بقرب أو دالية ففيه نصف العشر) ولأن العشر يجب فى الخارج لا فى الأرض. فكان ملك الأرض وعدمه سواء - كما فى البدائع.

ولا شك أن هذه الأرض المشتراة وجد فيها سبب الوجوب، وهو الأرض النامية، وشرطه هو ملك الخارج، ودليله وهو ما ذكرنا، وقول المتن يجب العشر فى مستقى سماء وسيح إلخ. فالقول بعدم الوجوب فى خصوص هذه الأرض يحتاج إلى دليل خاص ونقل صريح، ولا يلزم من سقوط الخراج المتعلق بالأرض سقوط العشر المتعلق بالخارج. على انه قد ينازع فى سقوط الخراج حيث كانت من أرض الخراج أو سقيت بمائه بدليل أن الغازى الذى اختط له الإمام داراً لا شئ عليه فيها. فإذا جعلها بستانا وسقاها بماء العشر فعليه العشر أو بماء الخراج فعليه الخراج. مع أن الواقع الآن فى كثير من القرى والمزارع الموقوفة أن يؤخذ منها للميرى النصف والربع أو العشر ، انتهى. وهو وجيه وقد اتفقوا على أن أراضى الشام ومصر خراجية، وإنما اختلفت العلماء فى أنها فتحت عنوة أو صلحاً، وهذا لا يمنع كونها خراجية. لأنه تكون خراجية إذا لم يسلم أهلها. سواء فتحت عنوة ومن على أهلها بها، أو صلحاً ووضع عليهم الخراج والجزية. وذكر فى الفتح أن المأخوذ الآن من أراضى مصر أجرة لا خراج. لأنها ليست مملوكة للزراع لموت المالكين شيئاً فشيئاً بلا وارث صارت لبيت المال، وكذا أرض الشام على ما نقله الفاضل السيد ابن عابدين عن فضل الله الرومى، قال فى الدر المنتقى: فيؤجرها الإمام ويأخذ جميع الأجرة لبيت المال كدار صارت لبيت المال، واختار السلطان استغلالها. وإن اختار بيعها فله ذلك، إما مطلقاً أو الحاجة. فثبت أن بيع الأراضى المصرية وكذا الشامية صحيح، إما من مالكها أومن السلطان، فإن كان

من مالكها انتقلت بخراجها، وإن كان من السلطان كان لعجز مالكها عن زراعتها، فكذلك، وإن لموت مالكها فقدمنا أنها صارت لبيت المال، وأن الخراج سقط عنها، فإذا باعها الإمام لا يجب على المشترى خراج سواء وقفها أو أبقاها.

قلت: وهذا نوع ثالث. يعنى لا عشرية ولا خراجية من الأراضى تسمى أرض المملكة وأراضى الحوز، وهو ما مات أربابه بلا وارث وآل لبيت المال، أو فتح عنوة وأبقى للمسلمين إلى يوم القيامة، وحكمه – على مع، فى التتار خانية أن يجوز وقفه للزراع بأحد طريقين، إما بإقامتهم مقام الملاك فى الزراعة وإعطاه الخراج، وإما بإجارتها لهم بقدر الخراج. فيكون المأخوذ فى حق الإمام خراجا، ثم إن كان دراهم فهو خراج موظف، وإن كان بعض الخراج فخراج مقاسة. وإما فى حق الأكرة فأجرة لا غير لا عشر ولا خراج، فلما دل الدليل على عدم لزوم المئونتين العشر والخراج فى أرض المملكة والحوز كالمأخوذ منها أجرة لا غير. انتهى ما فى الدر المنتقى. هذا وأراضى بيت المال المسماة بأراضى المملكة وأراضى الحوز إذا كانت فى أيدى زراعها لا تنزع من أيديهم ما داموا يؤدون ما عليها، ولا تورث عنهم إذا ماتوا، ولا يصح بيعهم لها، وإن عطلها متصرف ثلاث سنين أو أكثر بحسب تفاوت الأرض تنزع منه، وتدفع لآخر، ولا يصح فراغ أحدهم عنها لآخر بلا إذن السلطان أو نائبه – على ما نقله السيد ابن عابدين فى حاشية الدر المختار عن شرح المنتقى.

ثم أعلم أن ما ذكره فى الفتح أن أراضى مصر ليست مملوكة للزراع قد أقره فى البحر على ما قاله السيد ابن عابدين الدمشقى، ثم قال: قلت لكن عدم ملك الزراع فى الأراضى الشاملة غير معلوم لنا إلا فى نحو القرى والمزارع الموقوفة أو المعلوم كونها لبيت المال، أما غيرها فتراهم يتوارثونها ويبيعونها جيلاً بعد جيل، وقد قالوا: إن وضع اليد والتصرف من أقوى ما يستدل به على الملك، ولذا تصح الشهادة بأنه ملكه، قال الإمام أبو يوسف رحمه الله تعالى فى كتاب الخراج: وأيما قوم من أهل الخراج دخلوا الحرب وبادوا فلم يبق منهمْ أحد وبقت أرضهم معطلة، ولا يعرف أنها فى يد أحد، ولا أن أحداً يدعى فيها دعوى وأخذها رجل فحرثها وغرس فيها وأدى عنها الخراج والعشر فهى له. وهذه الموات التى وضعت لك وليس للإمام أن يخرج شيئاً

من يد أحد إلا بحق ثابت معروف، وفى شرح السير الكبير للسرخسى: فإن صالحوهم على أراضيهم مثل أرض الشام - مدائن وقرى - فلا ينبغى للمسلمين أن يأخذوا شيئا من دورهم وأراضيهم ولا أن ينزلوا عليهم منازلهم. لأنهم أهل عقد وصلح.

قال السيد ابن عابدين بعد نقل هذه النصوص: فإذا كانت مملوكة لأهلها فمن أين يقال إنها صارت لبيت المال باحتمال أن أهلها كلهم ماتوا بلا وراث. فإن هذا الاحتمال لا ينفى الملك الذى كان ثابتاً، وقد سمعت التصريح فى المتن تبعاً للهداية بأن أرض سواد العراق مملوكة لأهلها يجوز بيعهم لها وتصرفهم فيها، وكذا أرض مصر والشام كما سمعته، وهذا على مذهبنا ظاهر، وكذا عند من يقول إنها وقف على المسلمين، وإما فقد قال الإمام السبكى من أئمة الشافعية: إن الواقع فى هذه البلاد الشامية والمصرية أنها فى أيدى المسلمين فلا شك أنها لهم ، إما وقفاً وهو الأظهر من جهة عمر رضى الله عنه، وإما ملكاً وإن لم يعرف من انتقل منه إلى بيت المال فإن من بيده شئ لم يعرف من انتقل منه يبقى فى يده ولا يكلف ببينة، ومن وجدنا فى يده أو فى ملكه مكاناً منها فيحمل أنه أحى أوصل إليه وصولاً صحيحاً. انتهى.

قال العلامة المحقق ابن حجر الشافعى المكى فى فتاواه الفقهية بعد نقله: كلام السبكى لهذا صريح فى أنا نحكم ذوى الإملاك والأوقاف ببقاء أيديهم على ما هى عليه، ولا يضرنا كون أصل الأراضى ملكاً لبيت المال أو وقفاً على المسلمين. لأن كل أرض نظرنا إليها بخصوصها لم يتحقق فيها أنها من ذلك الوقف، ولا الملك، لاحتمال أنها كانت مواتاً وأحييت، وعلى فرض تحقق أنها من بيت المال كان استمرار اليد عليها والتصرف فيها تصرف الملاك فى أملاكهم أو النظار فيما تحت أيديهم الأزمان المتطاولة قرائن ظاهرة أو قطعية على اليد المفيدة لعدم التعرض لمن هى تحت يده وعدم انتزاعها منه.

ثم قال ابن حجر بعد كلام طويل: إذا تقرر ذلك فقد بان لك واتضح اتضاحاً لا تبقى معه ريبة أن الأراضى التى فى أيدى الناس بمصر والشام المجهول انتقالها إليهم

تقر فى أيدى أربابها، ولا يتعرض لهم فيها بشئ أصلاً. لأن الأئمة إذا قالوا فى الكنائس المبنية للكفر أنها تبقى ولا يتعرض لها عملاً بذلك الرأى الضعيف - أى كونها كانت فى برية، فاتصل بها عمارة المصر، فأولى أن يقولوا ببقاه تلك الأراضى بيد من هى تحت أيديهم باحتمال أنها كانت مواتاً فأحييت، أو أنها انتقلت إليهم بوجه صحيح. انتهى ما قاله العلامة ابن حجر.

قال السيد ابن عابدين بعد نقله كلام ابن حجر. وقد أطال - رحمه الله - إطالة حسنة رداً على من أراد انتزاع أوقاف مصر وإقليمها وإدخالها فى بيت المال: فلا يصح وقفها.

قال الشيخ ابن حجر، وسبقه إلى ذلك الملك الظاهر بيبرس: كأنه أراد مطالبة ذوى العقارات ومستندات تشهد لهم بالملك وإلا انتزعها من أيديهم متعللاً بما تعلل به ذلك الظالم، فقام عليه شيخ الإسلام الإمام النووى - رحمه الله تعالى - وأعلمه أن ذلك غاية الجهل والعناد، وأنه لا يحل عند أحد من العلماء المسلمين بل من فى يده شئ فهو ملكه لا يحل لأحد الاعتراض عليه ولا يكلف إثباته ببينة، ولا زال النووى رحمه الله يشفع على السلطان المذكور ويعظه إلى أن كف عن ذلك. فهذا الخبر الذى اتفقت علماء المذاهب على قبول نقله، والاعتراف بتحقيقه وفضله أن النووى نقل إجماع العلماء على عدم المطالبة بمستند عملاً باليد الظاهر فيها أنها وضعت بحق. انتهى ما قاله الشيخ ابن حجر.

قال السيد ابن عابدين قلت: فإذا كان مذهب هؤلاء الأعلام أن الأراضى المصرية والشامية أصلها وقف للمسلمين أو لبيت المال، ومع ذلك لم يجيزوا مطالبة أحد يدعى شيئاً أنه ملكه بمستند يشهد له بناء على احتمال انتقاله إليه بوجه صحيح. فكيف يصح على مذهبنا - أى الحنفية بأنها مملوكة لأهها، أ قروا عليها بالخراج كما قدمناه أن يقال إنها صارت لبيت المال وليست مملوكة للزراع؟ لاحتمال موت المالكين لها شيئاً فشيئاً بلا وارث فإن ذلك يؤدى إلى إبطال أوقافها وإبطال المواريث فيها ووضع العشر أو الخراج عليها لا ينافى ملكيتها - كما هو صريح قول المصنف وغيره ها هنا

إن أرض سواد العراق خراجية، وإنها مملوكية لأهلها، واحتمال موت أهلها بلا وارث لا يصلح حجة فى إبطال اليد المثبتة للملك. فإنه مجرد احتمال لم ينشأ عن دليل، ومثله لا يعارض المحقق الثابت. فإن الأصل بقاء الملكية واليد أقوى دليل عليها، فلا تزول إلا بحجة ثابتة، وإلا لزم أن يقال مثل ذلك فى كل مملوك بظاهر اليد - مع أنه لا يقول به أحد، وقد سمعت نقل الإمام النووى الإجماع على عدم التعرض - مع أن مذهبه أن تلك الأراضى فى الأصل غير مملوكة لأهلها. بل هى وقف أو ملك لبيت المال. فعلى مذهبنا بالأولى، واحتمال كون أهلها ماتوا بلا وارث بعد الإمام النووى أبعد البعد، وهذا ابن حجر المكى بعد النووى بمئات من السنين، وقد سمعت كلامه، والحاصل فى الأراضى المصرية والشامية ونحوها أن ما علم منها كونه لبيت المال بوجه شرعى فحكمه ما ذكره الشارع عن الفتح، وما لم يعلم فهو ملك لأربابه، والمأخوذ منه خراج لا أجرة لأنه خراجى فى أصل الوضع. فاغتنم هذا التحرير فإنه صريح الحق الذى يعض عليه، وأنه إنما أطلت فى ذلك لأنى لم أر من تعرض لذلك. بل تبعوا المحقق الكمال فى ذلك، والحق أحق أن يتبع، ولعل مراد الكمال ومن تبعه الأراضى التى علم كونها لبيت المال، والله تعالى أعلم. انتهى كلام ابن عابدين.

أقول ما ذكره من التحقيق فى هذه المسألة حقيق بالاتباع، لكن ما ذكره من التوجيه لكلام الكمال بقوله: ولعل مراد الكمال الخ. يأبى عنه الإطلاق الظاهر من عبارة الكمال، وهى على ما نقله صاحب الدر المختار بقوله: وفى الفتح المأخوذ الآن من أرض مصر أجرة لاخراج. الا ترى أنها ليست مملوكة للزراع كأنه لموت المالكين شيئاً فشيئاً بلا وارث صارت لبيت المال. قال فى الدر المختار: وعلى هذا - أى على ما فى الفتح من أنها صارت لبيت المال فلا يصح بيع الإمام ولا شراؤه من وكيل بيت المال لشئ منها لأنه كوكيل اليتيم فلا يجوز إلا لضرورة والعياذ بالله. زاد فى البحر أو رغب فى العقار بضعف قيمته على قول المتأخرين المفتى به.

وأفتى مفتى دمشق فضل الله الرومى بأن غالب أراضينا سلطانية لانقراض املاكها فآلت لبيت المال فتكون فى يد زراعها كالعارية. انتهى، وفى النهر عن الواقعات: لو أراد السلطان شراؤها لنفسه يأمر غيره ببيعها ثم يشتريها منه لنفسه.

انتهى، وإذا لم يعرف الحال فى الشراء من بيت المال فالأصل الصحة، وبه عرف صحة وقف المشتراة من بيت المال، وأن شروط الواقفين صحيحة، وأنه لا خراج على أراضيها. انتهى ما فى الدر المختار وما ذكره من أنه يجوز للإمام البيع إلا للضرورة – أى بأن احتاج بيت المال. فقد نازعه صاحب البحر فى رسالته بإطلاق ما فى الحانية والخلاصة من قولها. فإن أراد السلطان أن يأخذها لنفسه ببيعها من غيره ثم يشترى من المشترى. كأنه يدل على جواز البيع للإمام مطلقاً، وبما فى الزلفى من أن للإمام ولاية عامة، وله أن يتصرف فى مصالح المسلمين، والاعتياض عن المشترك العام جائز من الإمام، ولهذا لو باع شيئاً من بيت المال صح بيعه. فقوله نكرة فى سياق الشرط يعم العقار وغيره لحاجة – على ما ذكره أفقه المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقى – طاب ثراه، ثم كتب على قول صاحب الدر المختار، وبه عرف صحة وقف المشتراة من بيت المال، وأن شروط الواقفين معتبرة إلخ.

هذا كله من كلام صاحب النهر، وأصله صاحب البحر، وحاصله أن من اشترى أرضاً مما صار لبيت المال فقد ملكها، وإن لم يعرف حال الشراء – حملا له على الصحة، ولا خراج عليها بناء على ما مر من أنها لما مات ملاكها بلا ورثة عادت لبيت المال وسقط خراجها. لعدم من يجب عليها إذا باعها الإمام لم يجب على المشترى خراجها لقبض الإمام ثمنها، وهو بدل عنها، وتقدم أيضاً أنه لا عشر عليها أيضاً، وقدمنا ما فى ذلك، وحيث ملكها بالشراء صح وقفه لها وتراعى شروط وقفه، قال فى التحفة: سواء كان سلطاناً أو أميراً أو غيرهما، وما ذكره الجلال السيوطى من أنه لا يراعى شروطه إن كان سلطاناً أو أميراً وأنه يستحق ريعه من يستحق فى بيت المال من غير مباشرة للوظائف، فمحمول على ما إذا وصلت إلى الواقف بإقطاع السلطان إياه من بيت المال كما لا يخفى. انتهى، وحاصله أن ما ذكره السيوطى لا يخالف ما قلنا، لأنه محمول على ما إذا لم يعرف شراء الواقف لها من بيت المال. بل وصلت إليه باقطاع السلطان لها – أى بأن جعل له خراجها مع بقاء عينها لبيت المال فلم يصح وقفه لها ولا تلزم شروطه، بخلاف ما إذا ملكها ثم وقفها كما قلنا. قلت: لكن بقى ما إذا لم يعرف شراؤه لها ولا عدمه، والظاهر أنه لا يحكم بصحة وقفة لأنه لا يلزم من

وقفة ما أحياه أقرب إلى أرض الخراج كان خراجياً، وإن كان أقرب إلى أرض العشر كان عشرياً – على ما في النهر وغيره من المتون والشروح، لأن ما قارب الشئ يعطى حكمه. قال في البحر: كفناءالدار لصاحبها الانتفاع به، وإن لم يكن ملكاً له، ولذا لا يجوز إحياء ما قرب من العامر، وكل من الأرض العشرية والخراجية إن سقى بماء العشر أخذ منه العشر، والأرض التي تسقى بماء الخراج أخذ منه الخراج – على ما ذكره صاحب التنوير تبعاً لصاحب الدرر.

قال السيد ابن عابدين: وهو مخالف لما في الهداية والتبيين والكافي وغيرهما من أن اعتبار الماء في ما لو جعل المسلم داره بستاناً. قال في الكافي: لأن المئونة في غير المنصوص عليه تدور مع الماء. كأن كانت تسقى بماء أو عين فهي عشرية، وإن كانت تسقى بأنهار الأعجام فخراجية، ولو بهذا مرة وبهذا مرة، فالعشر أحق بالمسلم. انتهى.

ومقتضاه أن النصوص على أنه عشرى كأرض العرب ونحوه، أو على أنه خراجي كأرض السواد ونحوها لا يعتبر فيه الماء، وعن هذا قال في الفتح بعد كلام: والحاصل أن التي فتحت عنوة أو أقر الكفار عليها لا يوظف عليهم إلا الخراج، ولو سقيت بماء المطر، وإن قسمت بين المسلمين لا يوظف إلا العشرات ولو سقيت بماء الأنهار، وكل أرض لم تفتح عنوة بل أحياها مسلم إن كان يصل إليها ماء الأنهار فخراجية أو ماء عين ونحوه فعشرية وهذا قول محمد، وهو قول أبي حنيفة. انتهى. فتحصل أن الماء يعتبر فيما لو أحيا مسلم أرضا، أو جعل داره بستانا، بخلاف المنصوص على أنه عشرى أو خراجي، وقدمنا عن الدر المنتقى أن المفتى به قول أبي يوسف أنه يعتبر القرب، وهو ما مشى عليه المصنف أولا كالكنز وغيره، وقدمه في متن المنتقى. فأفاد ترجيحه على قول محمد.

وقال الحلبي – وهو المختار كما في الحموى على الكنز عن شرح قرى حصارى وعليه المتون، واعتبار الماء قول محمد. قال في الشر بنلالية قوله له – أي صاحب التنوير، وكل منهما الخ، فيه مخالفة لقوله قبله: وما أحياه مسلم يعتبر

بقربه لأنه اعتبر الحيز ثمة ، وهنا اعتبر الماء، وعلمت أن ذلك قول أبى يوسف وهذا قول محمد. انتهى ما ذكره السيد ابن عابدين، وماء العشر هو ماء السماء والبئر والعين والبحر الذى لا يدخل تحت ولاية أحد، وماء الخراج وهو ماء أنهار حفرتها الأعاجم، وكذا سيحون وجيحون ودجلة والفرات خلافا لمحمد. وحاصله على ما ذكره ابن عابدين إن ما كانت عليه يد الكفرة ثم حويناه قهراً وما سواه عشرى.

والخراج نوعان. النوع الأول خراج مقاسمة، وهو ما يكون الواجب بعض الخارج، كالخص ونحوه وفقاً لا يوضع - أى رأساً إلا على الكافر كالخراج الموظف، فإذا فتحت بلدة، ومن على أهلها بأرضها فله إن يضع الخراج عليها مقاسمة أو موظفاً - بخلاف ما إذا قسمها بين الجيش فإنه يضع العشر، والنوع الثانى الخراج الموظف، ويسمى خراج وظيفة وهو ما يكون الواجب شيئاً فى الذمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالأرض - كما وضع عمربن الخطاب رضى الله تعالى عنه على سواد العراق ووفاء لكل جريب يصل إليه الماء، وتصير الأرض صالحة للزراعة مما يزرع فى تلك الأراضى لا يخير بين الحنطة والشعير، وهو الصحيح - كما فى الكافى - ودرهما من أجود النقود ، وزنه أربعة عشر قيراطاً على ما فى الجوهرة، والصاع هو القفيز الهاشمى الذى ورد عن عمر رضى الله عنه كما ذكره فى الهداية، وهو ثمانية أرطال، أربعة أمنان. وكان صاع رسول الله (ص) وينسب إلى الحجاج. فيقال صاع حجاجى. لأنه الذى أخرجه بعد ما فقد - على ما ذكره الطحطاوى عن الشلبى - ووضع رضى الله عنه لجريب كالقثاء الرطاب والخيار والبطيخ والباذنجان وما جرى مجراه خمسة دراهم، ولجريب الكرم أو النخل عشرة دراهم، والجريب ستون ذراعاً فى ستين - بذراع كسرى - الذى هو عبارة عن سبع قبضات، والقبضة أربع أصابع، وقال بعضهم: المعتبر فى كل بلدة عرفهم، أقول: وعرف نواحى بغداد كالخالص وخريسان ونواحى الحلة ونحوها التقدير بالفدان فى هذا العصر، وكذا مصر والشام.

قال فى البحر: وعلى الأول المعمول، وفى الفتح أن الثانى يقتضى أن الجريب يختلف قدره فى البلدان ومقتضاه أن يتحد الواجب مع اختلاف المقادير، فإنه قد

يكون عرف بلد فيه مائة ذراع وعرف أخرى فيه خمسون ذراعاً، وخراج المقاسمة على ما ذكره الخير الرملى كالموظف مصرفاً وكالعشر مأخذاً، لا فرق فيه بين الرطاب والزرع والكرم والنخل المتصل وغيره. فيقسم الجميع على حسب ما تطيق الأرض من النصف أو الثلث أو الربع أو الخمس، وقد تقرر أن خراج المقاسمة كالعشر لتعلقه بالخارج، وكذا يتكرر بتكرار الخارج فى السنة، وإنما يفارقه فى المصرف لكل شئ يؤخذ منه العشر أو نصفه يؤخذ منه خراج المقاسمة، وتجرى الأحكام التى قررت فى العشر وفاقاً وخلافات، فإذا علمت ما يزرع فى بلادنا وما يغرس ، فإذا غرس رجل فى أرضه زيتوناً أو كرماً أو أشجاراً يقسم الخارج كالزرع ولا شئ قبل أن يطعم. بخلاف ما إذا غرس رجل فى الموظف، ولو أخذها بمقاطعة على دراهم معينة بالتراضى ينبغى الجواز، وكذا لو وقع على عدد الأشجار. لأن التقدير يجب أن يكون بقدر الطاقة من أى شئ كان، ولأن تقدير خراج المقاسمة مفوض لرأى الامام، وكل من الأنواع الثلاثة يفعل فى بلادنا، فبعض الأرض تقسم ثمار أشجارها، ويأخذ مأذون السلطان منها ثلثاً أو ربعاً ونحوه، وبعضها يقطع عليه دراهم معينة، وبعضها يعد أشجارها ويأخذ على كل شجرة قدراً معيناً، وكل ذلك جائز عند الطاقة والتراضى على أخذ شئ فى مقابل خراج المقاسمة لمن يستحقه، ولا شك أن أراضى بلادنا خراجية، وخراجها مقاسمة – كما هو مشاهد – وتقديره مفوض إلى رأى الإمام. انتهى ما ذكره الخير الرملى.

وأما ما سوى ذلك مما ليس فيه توظيف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كزعفران فيؤخذ على حسب ما تطيقه الأرض، وغاية الطاقة نصف الخارج، قال فى التنوير: والتنصيف عين الإنصاف فلا يزاد عليه،. انتهى – أى فيما لم يوظف، وكذا لا يزاد على النصف فى خراج المقاسمة، ولا يزاد فى الموظف على ما وصفه عمر رضى الله تعالى عنه، وإن طاقة الأرض على الصحيح على ما نقله فى الدر المختار عن الكافى، وعطف فى التنوير على الزعفران الذى ليس فيه توظيف عمر رضى الله تعالى عنه قوله: وبستان، وعرف الشارح العلامة العلائى البستان: بأنه كل أرض يحوطها حائط وفيها أشجار متفرقة يمكن الزرع تحتها، ثم قال: فلو ملتفة – أى متصلة لا يمكن

زراعة أرضها، فهو كرم، وحاصل فرقة بين البستان والكرم إن ما كانت أشجاره متفرقة فهو بستان، وما كانت أشجاره متصلة فهو كرم.

قال السيد ابن عابدين: وفى عزاه فى البحر إلى الظهيرية، ومثله فى كافى النسفى، ومقتضاه أن الكرم يفيد أنه غيره، وفى الاختيار: والجريب الذى فيه أشجار مثمرة ملتفة لا يمكن زراعتها.

قال محمد: يوضع عليه بقدر ما يطيق. لأنه لم يرد عن عمر رضى الله عنه فى البستان تقدير. فكان مفوضاً إلى أمر الامام، وقال أبو يوسف: لا يزاد على الكرم. لأن البستان بمعنى الكرم، فالوارد فى الكرم وارد فيه دلالة، وإن كان فيه أشجار متفرقة فهى تابعة للأرض. انتهى، ومفاد هذا أيضاً أن الكرم مختص بالعنب، والبستان غيره بقرينة التعليل أولا وثانياً، وهذا أوفق بما كتب اللغة، ومفاده أيضاً أن الخلاف بين محمد وأبى يوسف فى البستان إذا كانت أشجاره ملتفة، و إن فى المتن هو قول محمد ، وعليه جرى فى المنتقى، وذكر فى البديع مثل ما فى الاختيار. انتهى ما ذكره ابن عابدين، وينقص وجوباً مما وظف إن لم تطق الأرض، وجوازاً إن أطاقت، وليس للإمام – على ما فى الكافى – أن يحول الخراج الموظف إلى خراج القسمة، وكذا العكس فيما يظهر من التعليل بأن فيه نقض العهد – وهو حرام – على ما قاله الخير الرملى وصرح القهستانى بالعكس.

وقال ابن عابدين: وما يفعله أهل التيمار والزعامات من مطالبة أهل القرى بجميع ما عينه لهم السلطان على القرى كالقسم من النصف فهم ظلم محض لأن ذلك المعين فى الدفاتر السلطانية مبنى على أنه لا يؤخذ على الزراع سوى ذلك القسم المعين، والفاضل منه يبقى للزراع، والواقع فى زماننا خلافه، فإن ما يؤخذ ظلماً مما يسمى بالذخائر وغيرها بشئ كثير، وربما يستغرق جميع الخارج من بعض الأراضى ، بل يؤخذ منهم ذلك وإن لم تخرج الأرض شيئاً، ولكثرة الظلم، كثيراً ما ينزل بعض أصحاب الأراضى عن أرضه لغيره بلا شئ، وعلى هذا لا يجوز مساعدة التيمار على ظلمهم. بل يجب أن ينتظر إلى ما تطيقه الأرض كما افتى به الخير

الرملى، ونقل بعضهم عن شمس الأئمة أن من سيرة الأكاسرة إذا أصاب بعض الرعية آفة، عوضوا له ما أنفقه فى الزراعة من بيت مالهم، وقالوا: التاجر شريك الخسران، كما هو شريك فى الربح، فإذا لم يعطه الإمام فلا أقل من أن لا يغرمه الخراج، ولا خراج مقاسمة وموظفاً، ولا عبرة بالأولى على أرض غلب عليها الماءأو انقطع عنها أو أصاب الزرع آفة سماوية كغرق وحرق وشدة برد إلا إذا بقى من السنة ما يمكن الزرع فيها.

ثانياً، بخلاف ما إذا كانت الآفة غير سماوية وأمكن الاحتراز عنها كأكل قردة وسباع وأنعام وفار ودودة أو هلك الخارج بعد الحصاد فإنه لا يسقط الخراج، ولو هلك قبل الحصاد سقط إلا إذا بقى من السنة ما يتمكن فيه من الزراعة صاحبها، وكان خراجها موظفاً وجب عليه الخراج لأنه مقصر، ويعد من التعطيل ما لو زرع الاخس مع قدرته على الأعلى، ويستثنى من التعطيل ما لو جعل أرضه مقبرة أو خاناً للغلة أو مسكناً، فإنه يسقط عنه الخراج، وقيل لا يسقط. والصحيح هو الأول على ما فى الإسعاف، ولو عجز صاحب الأرض عن زراعتها، لعدم قوته وأسبابه فللامام أن يدفعها لغيره مزارعة ليأخذ الخراج من نصيب الملك ويمسك الباقى للمالك، وإن شاء أجرها وأخذ الخراج من الأجرة، وإن شاء زرعها من بيت المال، فإن لم يتكمن باعها وأخذ الخراج من ثمنها.

قال فى النهاية، وهذا لا خلاف فيه لأنه من باب صرف الضرر العام بالضرر الخاص، وعن أبى يوسف يدفع للعاجز كفايته من بيت المال قرضاً ليعمل فيه – على ما فى شرح الزيلعى على الكنز ، ولو عادت قدرة مالكها ردها الإمام عليه إلا فى البيع – على ما فى الذخيرة، ولو اشترى مسلم من ذمى أرض خراج أو أسلم صاحبها يجب عليه الخراج. لما صح أن الصحابة رضى الله عنهم اشتروا أراضى الخراج، وكانوا يؤدون خراجها– على ما فى الفتح، ولو منعه إنسان من الزراعة ولم يقدر على دفعه أو ترك زراعة الأرض لعذر أو غيره، أو رحل إلى قرية أخرى وكان خراج الأرض خارج المقاسمة لا يجب على صاحبها شئ. لأنه إذا منع ولم يقدر على الدفع لم يتمكن من الزراعة، ولأن خراج المقاسمة يتعلق بعين الخارج كالعشر، فإذا لم يخرج من الأرض،

فلا شئ عليه بخلاف الخراج الموظف، فإنه يتعلق بالذمة، ويجب بمجرد التمكن من الزراعة – زرع أم لا – ولو باع أرضاً خراجية، فإن بقى من السنة مقدار ما يتمكن المشترى من الزراعة فعليه الخراج، وإلا فعلى البائع، واختلفوا فى اعتبار ما يتمكن المشترى من زراعته، فقيل الحنطة والشعير، وقيل أى زرع كان، وفى أنه هل يشترط إدراك الريع بكفالة أولا، وفى واقعات الناطقى أن الفتوى على تقديره بثلاثة أشهر، وهذه الفتوى مبنية على اعتبار زرع الدخن. لأن ريع الدخن يدرك فى مثل هذه المدة، وإذا رحل الفلاح من قريته لا يجبر على العود إلى القرية والزراعة. نعم يدفع الإمام أراضى تلك القرية إلى غيره مزارعة أو أجرة أو يبيعها، ولم يقل أحد من الفقهاء بإجبار صاحبها، ولا يؤخذ العشر من الخراج من أرض الخراج، فلو كانت الأرض ملكاً لأحد وكان خراجها موظفاً لا يؤخذ منها عشر الخراج، وكذا لو كان خراجها مقاسمة من النصف ونحوه، وكذا لو كانت عشرية لا يؤخذ منها خراج لأنهما لا يجتمعان، وعند الإمام الشافعى رضى الله عنه يجتمعان. لأن العشر حق الفقراء، والخراج حق بيت المال، ولا يسقط أحدهما بالآخر، ولا يتكرر الخراج بتكرار الخارج فى سنة واحدة، ولو كان الخارج موظفاً فالخراج له شدة من حيث تعلقه بالتمكن من الزراعة، وخفة باعتبار عدم تكرره فى السنة ولو زرعها مراراً، والعشر له شدة وهو تكرره بتكرر خروج الخارج، وخفة بتعلقه بعين الخارج. أما خراج المقاسمة فإنه يتكرر كالعشر بتكرر خروج الخارج، لأنه متعلق بالخارج حقيقة مثل العشر، ولو ترك السلطان أو نائبه الخارج لصاحب الأرض أو وهبه له، بأن أخذه منه ثم أعطاه إياه، جاز ما فعله السلطان عند أبى يوسف، وقال محمد لا يجوز على ما فى البحر.

قال السيد ابن عابدين: ولم يظهر لى وجه قول محمد بأن كل مراده أنه لا يجوز لو كان مصرفاً للخراج، انتهى، وحل لصاحب الأرض أن يتصرف فيما وهبه السلطان له من الخراج لو كان مصرفاً، وإلا تصدق به وبه يفتى، وما فى الحاوى من ترجيح حله لغير المصرف فهو خلاف المشهور – على ما فى الدر المختار – أى مخالف لما نقله العامة عن أبى يوسف – كما فى النهر.

قال فى القنية: ويعذر فى صرفه إلى نفسه إن كان مصرفاً كالمفتى والمجاهد

والمعلم والمتعلم، والذاكر والواعظ عن ألم، ولا يجوز لغيرهم، وكذا إذا ترك عمال السلطان الخراج لأحد بدون علمه. انتهى ، ولو ترك السلطان العشر لأحد فإنه لا يجوز بالإجماع، ويخرجه بنفسه للفقراء - على ما نقله فى الدر المختار عن السراج - لأن العشر مصرفه مصرف الزكاة نفسه. بخلاف الخراج فإنه ليس زكاة. وكذا يوضع على أرض الكافر. قاله ابن عابدين. وهو وجيه، ومقتضى ما فى الأشباه من قاعدة تصرف الإمام منوط بالمصلحة انه يجوز ترك العشر لأحد، وهو معزى إلى البزازية، قال فيها: السلطان إذا ترك العشر لمن هو عليه جاز- غنياً كان أو فقيراً - لكنْ إن كان المتروك له فقيراً فلا ضمان على السلطان، وإن كان غنياً ضمن السلطان العشر للفقراء من بيت مال الخراج لبيت مال الصدقة ، انتهى.

وفى الذخيرة مثلها فى البزازية. قال فى الدر المنتقى: ثم رأيت فى البر جندى فى بيان مصرف الجزية: وكذا لو جعل العشور للمقاتلة جاز له لأنه مال حصل بقوتهم، انتهى. فليحفظ وليكن لله التوفيق.. انتهى.

أى بين القول بالمنع والقول بالجواز يحمل الجواز على المقاتلة، وحمل المنع على غيرهم.. قال ابن عابدين: قلت لكن قوله لو جعل العشور للمقاتلة ليس صريحاً فى جعل عشور أراضيهم - تأمل، انتهى.

أقول: وإن لم يكن صريحاً فى ذلك إلا انه عام يعم عشور أراضيهم، وغيرها، فافهم، ونقل فى الدر المختار عن النهر انه يعلم من قوله الثانى - أى أبى يوسف القائل بجواز ترك الخراج وهبته لمن هو مصرف له حكم الإقطاعات من أراضى بيت المال. إذ حاصلها أن الرقبة لبيت المال والخراج له. انتهى.

قال أبو يوسف رحمه الله فى كتاب الخراج: وللامام أن يقطع كل موات، وكل ما ليس فيه ملك لأحد، ويعمل بما يرى أنه خير للمسلمين وأعم نفعاً.

وقال أيضاً: وكل أرض ليست لأحد وعليها اثر عمارة فاقطعها رجلاً فعمرها. فإن كانت فى أرض الخراج ادى عنها الخراج، وإن كانت عشرية ففيها العشر.

وقال فى ذكر القطائع: إن عمر رضى الله تعالى عنه اصطفى أموال كسرى

وأهل كسرى وكل من فر عن أرضه أو قتل فى المعركة، وكل مفيض ماء أو أجمة. فكان عمر رضى الله عنه يقطع من هذا لمن يقطع.

قال أبو يوسف: وذلك بمنزلة بيت المال الذى لم يكن لأحد ولا فى يد وارث. فللامام العادل أن يجيز منه ويعطى من كان له عناء فى الإسلام ويضع ذلك فى موضعه، ولا يحابى به، فكذلك هذه الأرض. فهذا سبيل القطائع عندى فى أرض العراق، وإنما صارت القطائع يؤخذ منها العشر لأنها بمنزلة الصدقة، وكل من القطعة الولاة المهديون أيضاً من أرض السواد وأرض العرب والجبال من الأصناف التى ذكرنا فلا يحل لمن يأتى بعدهم من الخلفاء أن يرد ذلك، ولا يخرجه من يد من هو فى يده – وارث أو مشتر – ثم قال: والأرض عندى بمنزلة المال، فللإمام أن يجهز من بيت المال من له عناء فى الإسلام، ومن يقوى به على العدو، ويعمل فى ذلك بالذى يرتد أنه خير للمسلمين وأصلح لأمرهم، وكذا الأرضون بقطع الإمام من أحب من الأصناف. انتهى.

قال ابن عابدين بعد نقله كلام أبى يوسف المذكور: فهذا يدل على أن للامام أن يعطى الأرض من بيت المال على وجه التمليك لرقبتهما كما يعطى المال حيث رأى المصلحة. إذا لا فرق بين الأرض والمال فى الدفع للمستحق. فاغتنم هذه الفائدة فإنى لم أر من صرح بها، وإنما المشهور فى الكتب أن الإقطاع تمليك الخراج مع بقاء رقبة الأرض لبيت المال. انتهى، وعلى تقدير كون رقبة الأرض لبيت المال لا يصح بيعه ولا هبته ولا وقفه – على ما فى الدر المختاره.

قال ابن عابدين: وهذا ظاهر، وأما إذا كانت رقبتها للمقطع له كما قلنا، فلا شك فى صحة بيعه وغيره، انتهى، وله إجارته بلا خوف تخريجاً على إجارة المستأجر – على ما فى الدر المختار.

قال ابن نجيم فى رسالته فى الإقطاعات: وصرح الشيخ قاسم فى فتوى وقعت له بأن للجندى أن يؤجر ما أقطعه له الإمام، ولا أثر لجواز إخراج الإمام له أثناء المدة كما لا أثر لجواز موت المؤجر فى أثناء المدة، ولا لكونه ملك منفعة، لا فى مقابلة مال

لاتفاقهم على أن من صولح على خدمة عبد سنة كان للمصالح أن يؤجره. إلى غير ذلك من النصوص الناطقة بإيحار ما ملكه من المنافع لا فى مقابلة مال، فهو نظير المستأجر لأنه ملك منفعة الإقطاع بمقابلة استعداده لما أعد له، وإذا مات المؤجر أو أخرج الإمام الأرض على المقطع تنفسخ الاجارة لانتقال الملك إلى غير المؤجر، أو انتقل الملك فى النظائر التى خرج عليها إجارة الاقطاع، وهى إجارة المستأجر وإجارة العبد الذى صولح على خدمته مدة، وإجارة الموقوف عليه الغلة، وإجارة المأذون، وإجارة أم الولد. انتهى، ولو أقطع السلطان أرضاً لرجل ولأولاده من بعده على أن من مات منهم انتقل نصيبه إلى أخيه، ثم مات السلطان ومات من أقطع له فى زمن سلطان آخر فهل تصير الأرض لأولاد المقطع له عملاً بقول السلطان ولأولاده، فإنه بمعنى أن من مات عن أولاد فلأولاده من بعده، فهو تعليق معنى.

قال فى الدر المختار بعد ذكره هذه الحادثة: لم أره، ومقتضى قواعدهم إلغاء التعليق بموت المعلق فتدبر انتهى. يعنى أنها لا تكون لأولاده ولبطلان التعليق بموت السلطان الذى علق ذلك، وكذا ذكر فى الاشباه أنه يبطل التعليق بموت المعلق، ولو أقطع السلطان أرضاً مواتاً من أراضى بيت المال أو من غير بيت المال، وأذن له بإحيائها – على ما شرطه أبو حنيفة رضى الله عنه فى صحة الأحياء – أو ملكها السلطان بإحياء أو شراء من وكيلى بيت المال، ثم أقطعها ووهبها له جاز وقفه لها – على ما فى الدر المختار – وكذا بيعه ونحوه. لأنه ملكها حقيقة، وإرصاد السلطان بعض القرى والمزارع من بيت المال على المساجد والمدارس ونحوها لمن يستحق من بيت المال كالقراء والأئمة والمؤذنين ونحوهم ليس بإيقاف البتة – على ما فى الدر – لعدم ملك السلطان، بل هو تعيين شئ من بيت المال على بعض مستحقيه، ولا يجوز لمن بعده أن يغيره ويبدله، ولو أحيا رجل أرضاً بإذن الإمام فليس للإمام إخراجه عنها لأنه تملكها بالإحياء، وأما غير الموات فله أن يخرجه منها متى شاء – على ما ذكره ابن نجيم.

والسياسة تجوز فى كل جناية، والرأى فيها إلى الإمام – على ما فى الكافى – كقتل مبتدع يتوهم منه انتشار بدعته، وإن لم يحكم بكفره – كما فى التمهيد – وهى

استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجى فى الدنيا والآخرة. فهى من الأنبياء على الخاصة والعامة فى ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على الخاصة والعامة أيضاً. لكن فى ظواهرهم فقط، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة فى باطنهم لا غيرهم، وأنها تعريف لمطلق السياسة العامة الصادقة على جميع ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام الشرعية وتستعمل أخص من ذلك مما فيه زجر وتأديب ولو بالقتل - كما قالوا فى اللوطى والسارق والحذق إذا تكرر ذلك منهم حل قتلهم سياسة - على ما فى الدر المنتقى. ثم قال: ولهذا عرفها بأنها تغليظ جناية لها حكم شرعى حسما لمادة الفساد، وقوله لها حكم شرعى معناه أنها داخلة تحت قواعد الشرع، وإن لم ينص عليها بخصوصها كان مدار الشريعة بعد قواعد الإيمان على حسم مواد الفساد لبقاء العالم، ولذا قال فى البحر: وظاهر كلامهم أن السياسة هى فعل من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بذلك الفعل جزئ. انتهى، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه نفى من المدينة نصر بن الحجاج سياسة، ولما نفاه قال له ما ذنبى يا أمير المؤمنين، فقال لا ذنب لك، وإنما الذنب لى حيث لا أطهر دار الهجرة منك، وكان نفيه لافتتان النساء به، وإن لم يكن يصنعه. فهو فعل لمصلحة السياسة يكون من القاضى أيضاً على ما نص عليه الفقهاء. وقالوا على ما ذكره ابن عابدين، والتعبير بالإمام ليس للاحتراز عن القاضى. بل لكونه هو الأصل، والقاضى نائب عنه فى تنفيذ الأحكام..

قال فى الدر المنتقى نقلا عن معين الأحكام للقضاء تعاطى كثير من هذه الأمور حتى أدامة الحبس والإغلاظ على أهل الشر بالقمع لهم، والتحليف بالطلاق وغيره، وتحليف الشهود إذا ارتاب منهم ذكره فى التتارخانية، وتحليف المتهم لاعتبار حاله، أو المتهم بسرقة يضربه ويحبسه الوالى والقاضى. انتهى.

وصرح الزيلعى قبيل الجهاد أن من السياسة عقوبته إذا غلب على ظنه أنه سارق، وأن المسروق عنده. فقد أجازوا قتل النفس بغلبة الظن - كما إذا دخل عليه رجل شاهراً سيفه وغلب على ظنه أنه يقتله. انتهى، ولو تشاتم الخصمان بحضور القاضى هل له العفو عنهما. قال فى النهر: لم أره، والظاهر لا. بخلاف قوله: أخذت

الرشوة من خصمى وقضيت على. فقد صرحوا بأنه له أن يعفو والفرق بين. انتهى.

قال ابن عابدين: وفيه نظر. لأنهما إذا تشاتما استوفيا حقهما. لكنهما أخلا بحرمة مجلس القاضى، فبقى مجرد حقه، فصار بمنزلة قوله أخذت الرشوة، فله العفو - يدل عليه ما فى الوالجية لو تشاتما بين يديه ولم ينتهيا بالنهى إن حبسهما وعزرهما فهو حسن. لأن العفو مندوب إليه فى كل أمر، واختلفوا فى أنه هل للإمام العفو. والظاهر إن تشاتمهما عند القاضى، وقوله أخذت الرشوة اجتمع فيه حق الشرع مع حق العبد - وهو القاضى وترجح فيه حقه. فكان حق عبد - كما يفيد كلام الوالجية وإلا يكن له العفو. تأمل. انتهى.

أقول فيما ذكره من النظر نظر. لأن رعاية حق الشرع والحكومة أولى من رعاية حق القاضى نفسه، فالإخلال بحرمة مجلس القاضى إخلال بمقام الشريعة والحكم. فليس للقاضى العفو، وما ذكره من ترجيح حق القاضى على حق الشرع فهو من باب ترجيح المرجوح على الراجح، كما لا يخفى - ولعل هذه أوجه الأمر بالتأمل. هذا ما ظهر لى فأمعن النظر.

والاستعانة بالكافر جائزة عند الحاجة - على ما فى الدر المختار، ثم قال وقد استعان عليه الصلاة والسلام باليهود على اليهود ورضخ لهم انتهى. يعنى أعطاهم قليلاً من كثير، فإن الرضيخة هى الإعطاء كذلك والكثير السهم. فالرضخ لا يبلغ السهم، وذكر فى الفتح أن فى سند حديث استعانته (ص) باليهود ضعفاً، وأن جماعة قالوا: لا يجوز لحديث مسلم أنه عليه الصلاة والسلام خرج إلى بدر فلحقه رجل مشرك فقال أرجع فلن استعين بمشرك - الحديث. وروى رجلان، ثم قال فى الفتح: وقال الشافعى رده عليه الصلاة والسلام المشرك والمشركين كان فى غزوة بدر، ثم إنه عليه الصلاة والسلام استعان لى غزوة خيبر بيهود من بنى قينقاع، وفى غزوة حنين بصفوان بن أمية وهو مشرك ، فالرد إن كان لأجل أنه كان مخيرا بين الاستعانة وعدمها فلا مخالفة بين الحديثين، وإن كان لأجل أنه مشرك فقد نسخه ما بعده. انتهى.

أقـول: ومـفـاد نـقلـه كـلام الامـام الشـافـعى رضـى اللـه عنـه وعـدم التـعـرض بـه ترجيحه القول بجـواز الاستعانة بالكافر عند الحاجة - كمـا فى الدر وغيره على القول بعـدم الجـواز، والـذى يظهـر لـى رجـحـان القـول بالجـواز لـفعـلـه (ص) وإن الحـاجـة قـد تشـتـد، ويضـيق الحـال وتدعو الضـرورة إلـى ذلك، وفـى ترك الاسـتـعانة قد يـخـشـى من مـحـذور عظيم - والـعياذ بالـلـه - ولا سيـمـا فـى هـذه الأعـصـر - أيد اللـه تعالى سـلـطان المسـلمين بنصـره وخذل أعداءه بقهره، ودفع عن المسـلمين كيد المخالفين، وقهر أعداء الدين، آمين بجاه النبى الأمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

هـذا آخـر مـا حـررتـه فـى هـذا الـكـتـاب، واللـه الموفـق لـلـصـواب بـالـبـصـرة أثنـاء الاشـتغال بالنيابة، وختامه في شهـر رمضـان المبارك سنة ألف ومائتين وسـت وثمانين من الـهـجرة النبوية - على صاحبها أفضـل السلام والتحية.



هذا الكتاب

الحمد لله الذي تاهت العقول في بيداء معرفة كنه ذاته المقدسة، وعجزت الأفهام عن درك حقائق مصنوعاته المؤسسة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين بمعجز آياته، وعلى اله وصحبه الذين عمروا البلاد بالآثار والحسنة واقتفوا أثر دلالاته.
أما بعد فيقول الفقير المحتاج الى عفو ربه السيد ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي، وإني قبل هذا سافرت من بلدي مدينة السلام الى دار الخلافة قسطنطينية حماها عن كل سيء رب البرية. ومنها الى مصر والحجاز، وعدت إليها ثانياً لأستوفي الوقوف على بدائعها بالحقيقة لا بالمجاز، ثم خرجت منها الى البلاد السورية وبعض البلاد الأناضولية فاطلعت على تلك البلاد وأحوال العباد ثم رجعت الى بلدي مدينة السلام ذات الثغر البسام، ومكثت فيها بين أهلي وأحبابي غير قليل من الأعوام الى أن رمتني الأقدار بسهام النيابة الى البصرة المسماة بخزانة العرب وقبة الإسلام. فلما وردتها ورأيت ما فيها من عجائب الأنهار وغرائب النخيل والأشجار المتنعة العد والحصر مع ما فيها من المد والجزر في اليوم مرتين. بحيث تمتلئ الأنهار والسواقي وكل عين، وقد آلت الى الخراب فلم يبق منها إلا الاسم واندرست آثارها فلم يبق منها إلا الرسم والوسم أحببت أن أؤلف كتاباً في بيان أنهارها ونخيلها وأشجارها، وبيان بيوتها القديمة من ذوي الثروة العظيمة.